ندوتنا ...

انها حقا ندوتنا ، ندوة مجلاتنا .. هـذه التي عقدها اتحا الكتّاب اللبنانيين ، مطلع هذا الشهر ، في بيروت ، وشارك فيها عدد كبير مـن رؤساء تحـرير المجلات الادبيـة والثقافيـة في القارتيـن الاسيويـة والافريقيـة .

وفكرة تبني اتحادنا عقد ندوة للمجلات الادبية ، انمـا كان الدافع اليها الاحساس العميق الصادق بأن « المجلة الادبية » ، في العالم العربي خاصة ، مهملـة الشـأن ، مكسورة الجناح ، الا ان تكون محمية مـن السلطة ، المثلة بوزارة الاعلام او سواهـا من وزارات الدولـة .

من اجل هذا ، كانت « ندوة المجلات » فرصة ثمينة لطرح جميع القضايا المرتبطـة بدور المجلات الادبيـة في الحياة الثقافيه واوضاعهـا ومصاعبها ، ولالتماس بعض الحلول لما تعانيه من مشكلات وعقبات تحول دون قيامها بدورها المنشود .

ولكن علينا ان نعترف بأن هذه الفرصة الثمينة لم تستغل الاستغلال المـوب ، بالرغم مما حققته الندوة من مكاسب ايجابيه .

ذلـك ان الابحـاث التـي تنـاولت الموضوعات المطروحة كان كثير منها دون المستوى الـذي تفرضه ندوة عالمية حضرها اكبر رؤساء تحرير المجلات الادبية الافريقية الاسيوية . فبعض هذه الابحاث تحوّل الـى مسرد للمجلات المحليه كان الحديث عنها اقرب الـى الدعاية منه الى الدراسة ، وبعضها الاخر كان اشارات خاطفة بعيدة عن الروح العلمية ، توحي بنزعة استخفاف بالموضوع والمجلة والندوة جميعا ، ولا يشفع لها التعلل بتأخر وصول الدعوة ولا بضيق الوقت المتاح للبحث .

ثم ان عددا من الابحاث المقدمة تجنّب الخوض في مشكلات حقيقية تعانيها المجلات ، عربية كانت ام غير عربية ، مراعاة او مجاملة او خوفا من سلطات لا تستطيع ان تقدر دور هذه المجلات تقـديرا صحيحا ، فخرجت تلك الابحاث عن الغاية الاساسية التي انعقدت من اجلها الندوة .

كان المطلـــوب اذن مزيدا مـــن روح الجدّية والمسؤولية والتعمق ادّى افتقادها الى الشعور بأنهـا ندوة لا تختلف كثيرا عن ندوات مماثلة لم تخلّف اثرا عميقا في الحياة الثقافية .

ونحن لا نودّ ان ندافـــع عن « ندوة المجلات » لمجرد اننا عقدناها فـي بلـــدنا او ان اتحـــاد الكتاب اللبنانيين أشرف عليها في اطـــار الكتّاب الافريقيين الاسيويين . فنحن على يقين بأنهـا حملت سلبيات لا شك فيها ، اشرنا اليها سابقا .. ولكننا نظلم الندوة اذا استبعدنا منها مكسبا ايجابيا تمخضت به ، هـو طرحها قضية حرية التعبير بكل حرية ومسؤولية .

بل لعلّها المرة الاولى التي تطرح فيها هذه القضية بغير ضغط ولا تـزمت ولا تضييق ، حـتى ان بعض الوفود المشاركـة شعر بالحرج حين اثيرت مسالـة مسرحية « الرفيق سجعان » التي منعتها السلطـــة اللبنانية في اثناء انعقاد الندوة ، واضطرت هذه الوفود اضطرارا الى تأييد موقف الوفد اللبناني الذي اصرّ على الاحتجاج وعلى الابراق للسلطة المسؤولة باستنكار ما حـدث !

ولقد تبيّن ، فـي اثنـــاء عرض الابحاث وقيام المناقشات ، ان اخطر ما تعانيه المجلات الادبية ، والعربية منها بصورة خاصة ، هو الرقابة التي تحاول قمع الفكر في كثير من البلاد العربية . وربما كان أهمّ التوصيات التي صدرت عن الندوة الاصرار على الدعـوة لالغـاء الرقابة ، في البلدان العربيـــة التقدمية على الاقلّ . والتأكيد بأن هذه الرقابة تعرّض الانجازات الاشتراكية للخطر الشديد ، بعكس ما قـد تـذهب اليه سلطات الرقابة هذه .

ان على مجلاتنا ، اذا ارادت ان تجعل ندوتنا هذه ، ندوتها ، فعّالة ناجعة ، ان تواصل نضالها وصراعها ، بمزيد من الشجاعة والتضحيـــة ، من اجل حريتها الفكرية الكاملة .

سهيل ادريس

لطفي الخولي

دور المجلات الثقافية التقدمية في العالم الثالث

١) ربما كان من الافضل في ندوتنا هذه ان نتفادى الجدل حول تعبير « العالم الثالث» والى اي مدى يمكن اعتباره مصطلحا علميا دقيقا يدل ، على واقع جغرافي سياسي ، او سياسي اقتصادي ، او اقتصادي اجتماعي، له ملامحه المشتركة التي تميزه عن واقع « عالم » البلدان الراسمالية المتطورة ، و « عالم » البلدان الاشتراكية و « عالم » البلدان التي لا تزال تحت النير الاستعماري (الكولونيالي) .

على اية حال ، قد نتفق فيما بيننا اذا قلنا اننا نتعامل ـ هنا ـ مع مجموعة البلدان التي تتوزع على قارات آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية والتي تجري فيها احدى المكونات الرئيسية للعملية الثورية العالمية ، ونعني بها حركة التحرر الوطني ـ في مرحلتها الراهنة ـ وهي الحركة المعادية للامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد .

٢) من هذا المنظور سوف نتفادى التعميمات الخاطئة كما نتفادى الجزئيات والتفصيلات المضللة ، وسوف نجد انفسنا حينئذ امام الوقائع الرئيسية التالية :

أ ـ هذه المجموعة من البلدان اقامت دولا مستقلة بعد ان انهت مهمة السيطرة الاستعمارية . وقد خاضت ـ ولا تزال تخوض ـ معارك صفت واضعفت ، ولا تزال تصفي وتضعف ، مواقع الامبريالية العالمية على كافة الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ب ـ وهذه البلدان جميعا تشترك في انها ـ بعد تحقيق السيادة القوميه ـ تخوض كفاحا اشد قسوة واكثر تعقيدا ، لانها تواجه مهام تثبيت الاستقلال السياسي وتحقيق الاستقلال الاقتصادي والقضاء على ميراث رهيب من التخلف في كافة المجالات . وهي في هذا تتعرض لنوعين من التأثيرات : احدهما ايجابي والاخر سلبي . اما الايجابي فهو يتعلق ببروز الاشتراكية كنظام عالمي يدعم نفوذه بفضل التقدم الذي حققه في بناء المجتمع وبفضل القوة التي تمكنه من مساندة بلدان العالم الثالث في كفاحها الوطني التحريري وفي الجهود التي تبذلها من اجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستقلة . اما التأثيرات السلبية فتتمثل في محاولات الاوساط الامبريالية التي تعتمد على اساليب الاستعمار الجديد لابقاء هذه البلدان في فلك التبعية ، وتعرقل تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

ج ـ وهذه البلدان تتميز بتكويناتها الاجتماعية المتنوعة والمعقدة والمختلطة للغاية ، وذلك على الرغم من الفروق الواضحة والكبيرة واحيانا في مستويات التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي بين هذا البلد او ذاك من بلدان العالم الثالث . فالكتلة الغالبة من السكان تنتمي في عدد من هذه البلدان الى البورجوازية الصغيرة (وهنا يكون الفلاحون والحرفيون غالبية السكان) . وفي بعض البلدان الاخرى لا تزال الاشكال القبلية قائمة .

وفي جميع هذه البلدان ـ مع اخذ الفروق المحلية في الاعتبار ـ تجري عملية تكوين الطبقة العاملة ببطء ، كما تتصف الطبقة العاملة بقلة تعدادها ، وبضعف الوزن النسبي لعمال الصناعة وبارتباط بروليتاريا هذه البلدان بالريف ، ويضعف تمركزها وتنظيمها . وكل هذا لا يؤخر نمو الوعي الطبقي في صفوف الطبقة العاملة فحسب ، وانما ينعكس ايضا وبكيفية متعددة الجوانب على مجمل الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية . فالقوى الطبقية بها ـ باختصار ـ لم تستقطب بعد بكيفية حاسمة .

د ـ وهذه البلدان تشترك جميعا في انها تواجه تحديا خطيرا للغاية ، وهو اللحاق بالثورة العلمية والتكنولوجية . فعلى ضوء منجزات هذه الثورة يتضح اكثر فاكثر درجة التخلف الرهيب الذي تعاني منه هذه البلدان . وفي مواجهة تحديات هذه الثورة ، يقع على عاتق هذه البلدان ان تحسم وفي اسرع وقت القضية المحورية : قضية اختيار اي الطريقين : الطريق الاشتراكي ام الطريق الراسمالي . ولكن حول اختيار الطريق تشتد الصراعات الطبقية والاجتماعية ، وتجري عملية استقطاب ـ تتميز بالمد والجزر والتعقيدات المختلفة ـ بين التيارات والكتل والاحزاب السياسية في تلك البلاد .

هـ ـ وهذه البلدان تشترك جميعا في ان العقبات التي تواجه التحولات الاجتماعية فيها ليس مصدرها مجرد تخلف هذه البلدان فحسب ، وانما ـ ايضا ـ لان هذه التحولات تتم ـ في معظم الاحوال « من اعلى » و « بطريقة ابوية » وعن طريق جهاز الدولة ، وبالاساليب البيروقراطية .

و ـ وتشترك هذه البلدان في ان مجموعة كبيرة من دولها قد اعلنت غداة الاستقلال ان بناء « الاشتراكية » هو سياستها الرسمية . غير ان هذه الطرز من « الاشتراكية » تتعدد وتختلف وتتراوح بين تيارات تقدمية تعكس فكر القوى الديموقراطية الثورية المعبرة عن مصالح البرجوازية الصغيرة والبورجوازية الوطنية الى تيارات « اشتراكية قومية الطراز » تعبر عن مصالح الاجنحة اليمينية في البورجوازية الى اتجاهات محافظة ورجعية تستخدم هي الاخرى اسم الاشتراكية ، وتعبر عن فئات وشرائح رجعية مرتبطة بالامبريالية .

ويقف التيار الاول قريبا من مواقع الاشتراكية العلمية . ويقف

الثاني بعيدا عنها ، ويقف الثالث مناقضا لها . وفي جميع الاحوال لا يزال الموقف الفكري النظري ، في جميع هذه البلدان التي اعلن حكامها عن تبنيهم للاشتراكيه ، بعيداً عن الاعتراف التام بالاشتراكية العلمية خصوصا بالنسبة لعدد من القضايا الاساسية التي يحدد حلها طريق التطور الاجتماعي .

ولسنا في حاجة الى بيان ان النظريات الاشتراكية المتنوعة في بلدان العالم الثالث ـ هي في نهاية الامر ـ خليط من نظريات مختلفة ومتناقضة ، طوباوية واصلاحية . وهي تتولد في العادة عن تعدد النماذج الاقتصادية ، ووجود فئات اجتماعية واسعة تتعلق ـ بدرجات متفاوتة ـ بهذا الشكل او ذاك من اشكال الملكية الخاصة ، وتخشى احيانا ـ او هي لا تعي احيانا اخرى ـ ضرورة اجراء تحولات اقتصادية واجتماعية جذرية تمهد الطريق للسير نحو الاشتراكية .

وهذا كله يجعل من بلدان العالم الثالث ـ بدون استثناء تقريبا ـ ميدان حرب ايديولوجية حامية الوطيس . وتشتد مظاهر الصراع الايديولوجي في هذه البلدان ، لا بسبب التيارات الاشتراكية التي يولدها الواقع المحلي لهذا البلد او ذاك فحسب ، وانما يساهم في ازدياد ضراوة هذا الصراع العوامل التالية :

ـ ان الاشتراكية العلمية لها جاذبية حقيقية في داخل هذه البلدان بين صفوف الطبقة العاملة والمثقفين وبقية القوى الديموقراطية الثورية فيها ، بل واحيانا بين عدد من قادة دول العالم الثالث انفسهم.

ـ في مواجهة انتشار افكار الاشتراكية العلمية في العالم الثالث تلقي الامبريالية بكل ثقلها ، معتمدة اساسا على اساليب الاستعمار الجديد ، لوقف انتشار هذه الافكار . وتعتمد في هذا ـ بشكل خاص ـ على الجناح اليميني للبورجوازية الوطنية ، واجهزة الثقافة ، وعلى تأجيج التعصب الديني والعنصري ، وعلى تجميل اسلوب او نمط الحياة الراسمالي . ويجد الاستعماريون الجدد ، انسب الظروف لممارسة تخريبهم الايديولوجي مستندين الى عدد من السلبيات الخطيرة في بلدان العالم الثالث ، وفي مقدمتها :

١ ـ تفشي الامية والعجز او البطء في تصفيتها .

٢ ـ تخلف نظم التعليم وطابعها اللاديموقراطي .

٣ ـ عجز دول العالم الثالث عن القيام بثورتها الثقافية، وهي الثورة التي تقوم اساسا على : محو الامية ، مقرطة نظام التعليم (وهذه المقرطة لا تعني اقرار المجانية رسميا فحسب ، او تنقية البرامج من الثقافات الراسمالية والاقطاعية ، بل تعني مساعدة العمال والفلاحين على الالتحاق بمعاهد التعليم على اختلافها) . ورفع مستوى الثقافة للجماهير الشعبية وتمكينها من المساهمة فيها ، وتغليب الايديولوجية العلمية : وهو ما يعني بالدقة تحرير الشعب من الجهل والخرافات ، واشراكه في ادارة الدولة وتمكينه من المشاركة الواعية في بناء المجتمع الجديد .

٣) ان هذه السلبيات التي تطبع الواقع الايديولوجي والثقافي في بلدان العالم الثالث بطابعها القوي ، تحتم علينا ـ في الوقت نفسه ـ ان نتفهم موقف وحركة ودور هذه الشريحة الاجتماعية التي وصفها لينين بقوله : انها تجسد وتعبر « عن المصالح الطبقية والتكتلات السياسية في المجتمع باسره وذلك باوعى واحزم وارق شكل ممكن للتجسيد والتعبير » ونعني بهذه الشريحة : المثقفين .

وفي هذا يمكن ان نرصد الوقائع التالية :

ـ ان تعريف المثقفين في العالم الثالث اوسع بما لا يقاس مما هو عليه في البلدان المتقدمة . فهو لا يشمل العاملين بالفكر والفنانين والمهنيين فحسب ، بل يدخل فيه ايضا الموظفون كما يشمل عموما الشباب المثقف والطلاب وكل من تلقى تعليما عاليا او متوسطا .

وعلى الرغم من ان كتلة المثقفين في البلدان النامية التي تنتمي الى البورجوازية الصغيرة تجمع في داخلها بين متناقضات عجيبة ، في مقدمتها العداء للامبريالية والتعالي ـ في الوقت نفسه ـ عن جماهير الشعب الفقيرة ، الا ان المثقفين قد لعبوا ولا يزالون يلعبون دورا هاما وطليعيا في حياة بلدان العالم الثالث ومن اجل تقدمها . ففي المرحلة التي سبقت تحقيق الاستقلال لعبوا دورا طليعيا في الحركة الوطنية . وفي مرحلة ما بعد الاستقلال ناضل اغلبيتهم من اجل تطوير التعليم والصحة وحل مشكلات الاسكان واشاعة الديموقراطية في الحياة السياسية ، وهم ينقدون ويقاومون البيروقراطية والفساد في اجهزة الدولة (*) .

ومع ذلك فان مرحلة ما بعد الاستقلال تطرح عليهم ان يحسموا الاختيار بين طريق التطور الاشتراكي وبين طريق التطور الراسمالي .

وبسبب مشاكلهم الخاصة ، وبسبب الانتماءات الاجتماعية لاقسام منهم ، وتحت تأثير التطلعات الطبقية ، يحدث في صفوفهم تمايز يشتد يوما بعد يوم ، بحيث يمكن ان نتبين في صفوفهم :

أ ـ الفئات البيروقراطية المدنية والعسكرية التي تقود اجهزة الدولة واجهزة القمع الحكومية . وهي فئة قليلة العدد ، ولكن ذات نفوذ اقتصادي وسياسي كبير .

ب ـ اصحاب المهن والتكنوقراطيون ، وهم رغم موقفهم الانعزالي عن الشعب والطبقة العاملة يرتبطون ـ في غالبيتهم ـ بقضايا انشاء الصناعة وتنمية المجتمع على اسس وطنية ومعادية للامبريالية .

جـ ـ المعلمون والاطباء والصحفيون والمحامون وفئات نصف بروليتارية من صغار موظفي الدولة ومستخدمو المؤسسات الحكومية والخاصة ، وغالبيتهم العظمى لا يملكون وسائل الانتاج ويبيعون قوة عملهم ، ومستوى مرتباتهم بالغ الانخفاض ولا يفي بالحد الادنى الضروري للحياة .

د ـ طلاب المعاهد والجامعات ، وتنتمي غالبيتهم العظمى الى الفلاحين الفقراء وابناء الموظفين والعمال .

وهاتان الفئتان الاخيرتان تكونان الكتلة الاساسية من المثقفين الثوريين الديموقراطيين .

وفي غمار الصراع المحتدم حول اختيار طريق التطور الاجتماعي ، تلعب هذه الكتلة دورا متزايد الفعالية من اجل حماية الاستقلال ، ومن اجل التقدم الاجتماعي ، وتظل في مجموعها ـ خلال مرحلة طويلة باكملها ـ حليفا وفيا للعمال والفلاحين .

وبوجه عام يحدث في بلدان العالم الثالث ، بعد تحقيق الاستقلال الوطني ، تمايز في صفوف المثقفين ..

فقسم تجذبه افكار الاشتراكية العلمية ، ومن ثم يربط نفسه بالدفاع عن قضايا التغيير الاجتماعي والتنمية الاقتصادية المستقلة ، والدفاع عن مصالح العمال والفلاحين .

وقسم اخر يجذبه التكتيك الجديد للمستعمرين الجدد ، خاصة الاستعمار الامريكي ، ويتلخص هذا التكتيك في الظهور بمظهر المؤيد لتنفيذ برامج التنمية الاقتصادية واجراء الاصلاحات الاجتماعية معتمدا على انفاق الملايين في ارسال الخبراء واساتذة الجامعات وانشاء المكتبات والتوسع في المنح الدراسية لابناء بلدان العالم الثالث ..

نقول تحت تأثير هذا النشاط تتكون فئات من المثقفين الذين يروجون لنمط الحياة الراسمالي ، وتحت تاثيره ايضا تنمو وتتفاقم الفكريات الغيبية وغيرها من الايديولوجيات الرجعية .

وبين هاتين الفئتين من المثقفين ، توجد شريحة ثالثة تنصرف عن السياسة والعمل السياسي ، تحت تأثير الاحباط الذي اصابها من جراء الاوضاع التي نشات بعد جلاء المستعمرين .

(*) التركيب الطبقي للبلدان النامية ـ تأليف مجموعة من العلماء السوفييت ترجمة داوود جيد ومصطفى الدباس . مطبوعات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٢ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

٤) في ظل الاوضاع السياسية والاجتماعية التي تسود بلدان العالم الثالث التي اشرنا اليها ، وفي ظل واقع ايديولوجي وثقافي محدد ، وعلى ضوء وضع المثقفين ، يمكن اثبات الملاحظات التالية بالنسبة لاوضاع الصحافة ووضع الصحفيين في العالم الثالث :

أ ــ في مرحلة النضال التحريري ضد الاستعمار نمت اهمية الصحافة المحلية نموا كبيرا وازداد عدد الصحفيين وقوي دورهم الاجتماعي ، وهذا راجع الى طبيعة المهنة التي تمكن الصحفيين من ان يكونوا على اتصال اكثر اتساعا من الفئات المثقفة الاخرى بالطبقات وبالفئات الاجتماعية المختلفة من السكان .

ب ــ ان الصحفيين من هذا الموقع يعرفون الرأي العام وتتوافر لديهم امكانية التأثير فيه والتعبير عنه ، بحيث يمكن القول بان اي شخص يعتنق معتقدا سياسيا يستطيع من خلال عمله كمحرر او معلق في صحيفة او مجلة ان يدافع عن القضية التي يتبناها اكثر مما لو كان موجودا في اي مركز اخر (1) . ومن هنا لا نبالغ اذا قلنا ان الصحفيين يشكلون العنصر الاكثر نشاطا لطليعة المثقفين على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم السياسية والاجتماعية .

جـ ــ ان مشاكل صحفيي العالم الثالث لا تنفصل بوجه عام عن مشاكل الكتلة الاساسية من مثقفي بلادهم . فهم في قلب المعارك الايديولوجية المحتدمة ، ومن خلال المعارك الاجتماعية والصراعات الطبقية تتحدد مواقف المنابر التي يصدرونها او يعملون فيها .

واذا طبقنا هذا على المجلات الثقافية امكن القول :

ــ ان هناك مجلات تعبر عن اتجاهات تقدمية وديموقراطية، ويتبنى بعض هذه المجلات نظريات الاشتراكية العلمية كما يتبنى بعضها الاخر نظريات اشتراكية اخرى تقترب من الاشتراكية العلمية ، ويدافع عن مصالح المثقفين والفلاحين والبورجوازية الصغيرة في المدن .

ــ وهناك مجلات ثقافية رجعية ومضادة لعملية احداث التحولات الاجتماعية والاقتصادية والجذرية في المجتمع وهي تقدم ايديولوجية العودة الى الماضي ، والتعصب الديني ، وتعادي الاشتراكية العلمية، وتناضل ضد انتشار وجهة النظر العلمية وضد العصرية .

ــ وهناك مجلات ثقافية تعتزل (او تبدو كذلك) « معركة الايديولوجيات » وتزعم انها « تخدم الثقافة للثقافة » وتدير ظهرها للقضايا الاجتماعية والثقافية المطروحة .. ، تلف هذا كله في اغلفة من الفكر الاكاديمي المتعالي والمجرد .

٥) وفي هذا الاطار تقف المجلات الثقافية التقدمية على ارضية متميزة تماما عن الطائفتين الاخريين من المجلات .

ان دورها يتمثل في الاساس ، في بلورة الوعي في صفوف المثقفين ، وطلائع العمال والفلاحين وتعزيز الترسانة الايديولوجية لحركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، وذلك في تعارض تام مع ايديولوجية القوى اليمينية والمحافظة ، وفي مواجهة حادة مع ايديولوجية الاستعمار الجديد .

ولهذه المجلات التقدمية برنامج قد يكون معلنا وقد يكون غير معلن، وفي جميع الحالات ، فان هذه المجلات تتولى شرح فقرات هذا البرنامج وتخوض معاركها على الجبهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفلسفية .

ان خطها السياسي هو خط النضال ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، وضد الطبقات المخلوعة ، الاقطاعية والقبلية والراسمالية الكبيرة . وفي المجال السياسي تحاول ان تجيب على القضايا المصيرية التي تطرحها الحركة الثورية في البلدان النامية بعد كسب الاستقلال : ما هي طبيعة السلطة ؟ وما هو دور الدولة ؟ وما هو دور المؤسسات المختلفة السياسية والتشريعية والنقابية ؟ وما هو بالتحديد ــ طبيعة ودور الحزب السياسي او الجبهة القائدة ؟

وفي مجال الاقتصاد تعالج مشكلات التخطيط : ضرورته ودوره ونواقصه ومتطلبات نجاحه ، وتناقش الاصلاح الزراعي وتنقد النواقص في نظريته وتطبيقه ، وتناقش القطاع العام ركيزة الاستقلال الاقتصادي وتدافع عنه ضد الفساد البيروقراطي من داخله وضد التطويق الراسمالي من خارجه . وتناقش القطاع الحرفي والخاص ، وكافة القضايا المتعلقة باستثمار الموارد والثروات الطبيعية والبشرية .

وفي مجال الاجتماع تحاول ان تناقش قضايا التمايز الطبقي (او التدرج الاجتماعي) وحركة الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة ، فترصد التمايز الواقع داخل البورجوازية الوطنية وحركة اقسامها المختلفة ، كما ترصد التمايز الذي يجري في الريف وحركة ودور اغنياء الفلاحين ، وتطور علاقات الملكية ، ومطالب واوضاع صغار الفلاحين وعمال التراحيل .

وفي مجال الفلسفة ، تحتل قضية القيم مكانا خاصا لا سيما في مجتمع تخلص من نير السيطرة الاستعمارية والاقطاعية ، ويتجه الى بناء حياة جديدة . وذلك بخبرات وامكانيات محدودة او ضعيفة ، كما تحتل مكانا هاما قضية احلال مناهج الفكر العلمي محل الفكر المتخلف والخرافي .

واذا كان من الصحيح والسليم ايضا ان هذه المجلات التقدمية تهتم ــ من خلال معالجة القضايا المشار اليها ــ باستكشاف وتعبيد الطريق النوعي والخاص نحو الاشتراكية لهذا البلد او ذاك ، فانها تقوم ايضا بدور الوسيط الذي ينقل التجارب والفكر الاشتراكي والثوري والنظريات الاجتماعية التقدمية في البلدان الاشتراكية وفي اوروبا وامريكا .

وفي غمار هذا العمل ، تبذل هذه المجلات اجتهادات لا تتوقف لصياغة نظرية للتقدم هي وطنية واممية في آن واحد . ومن ثم تتجه من خلال عملين : فكري ونضالي يومي ، لكي تحل على افضل وجه طائفة من القضايا التي تبدو متناقضة ، منها على سبيل المثال :

ــ كيف تحل التناقضات بين مهام الكفاح الوطني ضد الامبريالية والاستعمار وبين مهام التحرر الاجتماعي ضد القوى الاجتماعية المتخلفة، وضد التطلعات الطبقية الانانية لقوى اجتماعية داخلة في الحلف الوطني ؟

ــ كيف تحل العلاقة بين الاتجاه الطبيعي في الحركة الوطنية الى احياء التراث القومي وبين التراث الانساني التقدمي المعاصر ومنجزات العلم الحديث ؟

وفي كل هذا قدمت المجلات الثقافية التقدمية ، ولا تزال تقدم، مساهمات ايجابية تغني الفكر الثوري في بلادها ، وفي بلدان العالم الثالث ، وفي الحركة الثورية العالمية ، وتلعب دورا ديموقراطيا وتقدميا عاما ، ودورا توحيديا ، يثبت ويعزز النضال الانساني العام ضد الامبريالية ومن اجل الدفاع عن السلم والتقدم .

٦) على ان هذا العمل الذي تتصدى له المجلات التقدمية في بلدان العالم الثالث لم يكن في يوم من الايام ــ ولن يكون ــ بالمهمة السهلة . ويرجع هذا الى طائفة من الاسباب الموضوعية :

ــ في مقدمة هذه الاسباب ، ان هذه المجلات تصدر في مجتمعات لم تستكمل بعد استقطاب قواها الاجتماعية . ومن هنا فان هذا الواقع الموضوعي ينعكس على ما تكتبه بين الحين والحين بنوع من الميوعة الفكرية ، والانفصال عن الواقع ، بل والميل الى تسطيح هذه المشكلة او تلك من المشاكل السياسية والاجتماعية الحادة .

ــ من هذه الاسباب الموضوعية ان كثيرا من بلدان العالم الثالث يقوم فيها نظام الحزب الواحد . وفي اطار مثل هذا التنظيم الذي يجمع قوى اجتماعية متعددة ومتمايزة المصالح ، تختلط قضايا الفكر وتتسطح ، وتختفي الحلقة الرئيسية في النقاش او تطمس ، وبالتالي

---

(1) التركيب الطبقي للبلدان النامية : ص ٣٩٢ .

تفقد الصحافة عموما والمجلات التقدمية خصوصا فاعليتها الفعالية . ويزداد الامر صعوبة عندما يمارس التنظيم الواحد رقابته الرسمية او الفعلية على هذه المجلات فيحدد لها اطر حركتها كما يحدد نوعية القضايا التي تعالجها .

— ومن هذه الاسباب الموضوعية ان هذه المجلات ، مهما اتيح لها من حرية في معالجة هذه القضية او تلك ، ومهما اتيح لها من فرص الانفتاح على الفكر الثوري والتقدمي في العالم ، فانها تظل اسيرة واقع يعاني من تخلف اجتماعي وثقافي خطير .

ولنحاول ان نرى بعض الامثلة على الطبيعة :

فبينما تذكر الاحصاءات ان في العالم : ٣٠٠ مليون جهاز تليفزيون، ٢٢ الف محطة اذاعة و ٧٠٠ مليون جهاز راديو ، و ٨٠٠٠ دورية يومية (١) .. فاننا نجد ان نصيب قارة افريقيا من هذا ٦٠٠ الف جهاز تليفزيون (منها ٣٧٥٠٠٠ في جمهورية مصر العربية) و ٤٠ محطة اذاعة (لا يدخل فيها ١٠ محطات للنظم الاستعمارية والعنصرية) و ٦ ملايين جهاز راديو (اكثر من نصفها في البلاد الافريقية الناطقة بالعربية) و ٢٠٠ صحيفة يومية (وحتى عام ١٩٦٩ كان هناك سبعة بلدان افريقية لا تملك صحفا يومية الا في شكل نشرات حكومية و ١٥ بلدا اخر ليس لها صحف بتاتا ») (٢)

فهنا لا يحتاج التخلف الثقافي الى اي تعليق . وربما اضفنا اليه ان الامية المتفشية تشكل عائقا في سبيل انتشار المجلات الثقافية لكن ربما اضفنا ايضا ما هو اشد ايلاما ، وهو ان المجلات الثقافية في العالم الثالث محدودة الانتشار بسبب تدهور القوة الشرائية لدى جماهير الموظفين والعمال والحرفيين .

— في الوقت نفسه يتفاقم الوضع عندما نعلم مثلا (وهذا سبب موضوعي اخر) ان وكالة الولايات المتحدة للاستعلامات لها مراكز قوية في اكرا وكينشاسا توزع فيها نسخا مجانية من مجلات نيوزويك ولايف وايبوني،وهي تملك اجهزة لاسلكية تتلقى الانباء وتقدمها مجانا الى الصحف الافريقية ، كما ان صوت امريكا يذيع من اديس ابابا ومن مونروفيا وكينشاسا تماما كما يذيع من مدن امريكية اخرى في داخل الولايات المتحدة .

هنا ايضا لا نحتاج الى تفصيل عن النشاط الايديولوجي الواسع الذي يمارسه الاستعمار الجديد في الغالبية الساحقة من بلدان العالم الثالث .

والواقع ان « النمط الامريكي » في الصحافة قد فرض نفسه — باستثناء البلدان الاشتراكية — في معظم بلدان العالم الراسمالي وبلدان العالم الثالث .

فبعد الحرب العالمية الثانية انتشر النموذج الامريكي للمجلات الشعبية « مجلات التسلية » في كل الاقطار . وهي مجلات تستهدف كل طبقات المجتمع ، وكل الاذواق والميول والاعمار وتفترض وجود نموذج مشترك يميل قراؤه الى ان يتمثلوه في انفسهم ، نموذج معيشي مرتفع يزداد ارتفاعا ، ووسائل تخفف من عناء العمل باستمرار ، وافخر الملابس واحدثها ، وكذلك افخر واحدث المنازل والسيارات والمساحيق والفيتامينات ، والعقاقير العجيبة ... ومع ان هـذه المجلات مليئة بالمعلومات ، فهي — في المحل الاول — لا تستهدف تنشيط الفكر ولا التشكيك في القيم السائدة ، .. ومجلات اخرى يستمد منها القارىء مشاعر العدوان ، دون ان يعتدي ، وتمنحه فرصة الهرب الى دنيا السوء والخيال والجنس والحرية والمغامرة » .

(١) اليونسكو (اللجنة الدولية تاريخ البشرية — المجلد السادس — الجزء الثاني تطور المجتمعات — ترجمة راشد البراوي واخرين ص ٤٣٦ — الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر « القاهرة ١٩٧١ » .

(٢) اليونسكو : المرجع السابق ص ٤٣٧ .

وفي مواجهة انتشار هذا « النمط الامريكي » من المجلات فان اللجنة الدولية التي وضعت « تاريخ البشرية » تحت اشراف اليونسكو تضيف ما يلي :

« اما دوريات الراي والمجلات الادبية التي تثير مسائل حول القيم في الثقافة الجماهيرية ، وعن القوى الصناعية والسياسية ، والمجلات الاسبوعية ، هذه المجلات وجدت صعوبة متزايدة في الاستمرار بقيد الحياة ، لان طريقها لا يجتذب الا عددا خاصا . ومواقفها الانتقادية ، كان معناها تحديد مجال التوزيع . ولهذا فلم يجتذب عددا كبيرا من المعلنين اللازمين لزيادة ايرادها . بينما تزداد نفقات النشر ، بحيث يمكن مواجهتها بمجرد رفع قيمة الاشتراك . » ثم تقول :

« والواقع ان قوى اقتصادية كبرى تميل الى تركيز نشر المجلات الشعبية في ايدي عدد قليل من دور النشر الكبرى . فمن الضروري استثمار رؤوس اموال ضخمة في هذه الصناعة ..

... وكل هذه العوامل جعلت من الصعب على الناشر الفرد ان يستمر في عمله (١) . »

واذا كان هذا هو المصير الذي تلاقيه كثير من الدوريات والمجلات الجادة في البلاد الرأسمالية المتطورة ، فانه في اطار الايديولوجيات المنتشرة في العالم الثالث والواقع الثقافي هناك تجد المجلات الثقافية نفسها محاصرة .

واذا كان هذا هو المصير الذي انتهى اليه عدد كبير من الصحف والمجلات الجادة في البلدان الراسمالية المتقدمة ، فانه في اطار الظروف والملابسات التي تحياها شعوب العالم الثالث تجد المجلات الثقافية التقدمية نفسها محاصرة ومطالبة بان تشق طريقها في ارض وعرة للغاية. ويزداد الامر صعوبة . اذا كانت هذه المجلات تعبر عن فكر الاشتراكية العلمية . فحيث تكون الطبقة العاملة ضعيفة سياسيا وتنظيميا، وحيث يكون التحالف بينها وبين الفلاحين والمثقفين الثوريين ضعيفا ، او غير قائم ، وحيث يشتد التمايز الطبقي في بعض البلدان وتنفصل الاجنحة اليمينية للبورجوازية عن الطبقات الشعبية ، وحيث تشدد هذه الاجنحة قبضتها على الدولة على الحزب الواحد ، وحيث يؤدي التعثر في بناء اقتصاد مستقل واشتراكي الى تصدير التضخم الى بلدان العالم الثالث فترتفع اسعار الورق ومستلزمات الطباعة ارتفاعا جنونيا ، وحيث تقوم شركات او مؤسسات تحتكر التوزيع ، نقول حيث يحدث هذا كله او بعضه تجد المجلات التقدمية والاشتراكية بوجه خاص ، نفسها في صراع حياة او موت . وفي افضل الظروف تجد نفسها مطالبة بان تحدد توزيعها بنفسها .

٧) وربما كان من المفيد ان نضيف الى الصعوبات الموضوعية وجود صعوبات ذاتية ايضا . ويمكن ان نسجل هنا الملاحظات التالية :

الاولى : تخص نوعية العلاقة الكفاحية بين التيارات والاحزاب والتنظيمات السياسية التقدمية في بلدان العالم الثالث — ففي كثير من البلدان بسبب تعدد وتنوع المذاهب الاشتراكية نشا جو من التعصب للراي ومن التناحر بين هذه القوى تغلب فيه عوامل الخلاف على عوامل الوحدة فيضعف او ينعدم — بالتالي — الاساس الموضوعي للتعاون والتضامن بين المجلات التقدمية .

الثانية : هي ضعف الارتباط بالقوى المحركة للثورة الوطنية والاجتماعية ومحاولة تعويضه بالبحث النظري المجرد والدراسات الكلاسيكية رغم ضرورتها . ولهذا الضعف اساسه الكامن في طبيعة المثقفين وفي انتماءاتهم الطبقية . ففي هذه الحالة تفقد المجلة بالتدريج بدء قيامها ووجودها كما تفقد في المدى البعيد وسائل الارتباط والالتحام بالقوى السياسية المنظمة التي تستطيع ان تغذيها بالتجربة الثورية وتوضح لها افاق الصراع الاجتماعي القائم .

(١) اليونسكو (اللجنة الدولية) : المرجع السابق ص ٤٤١ .

الثالثة : انه بغض النظر عن الفروق الموجودة في مستوى التطور الثقافي بين البلدان النامية ومستوى العمل الذي يبذل في كل بلد لاحياء التراث القومي ، فان عمل القوى التقدمية في هذا المجال لا يزال صغيرا وضعيفا . بل انه ـ على الرغم مما تحقق ـ لا يزال من حيث الكم والكيف اضعف من الجهد الذي بذلته بعض الطبقات البورجوازية الوطنية ـ في بعض البلاد ـ عندما قادت الثورة السياسية ضد الاستعمار ، وربطت بين هذه الثورة وبين الدعوة الى انها من الثقافة القومية .

الرابعة : ان ما ينقل ويترجم في المجلات التقدمية من التراث الاجنبي التقدمي ، يقل من ناحية الكم اقل مما يتطلبه المستوى الذي وصلت اليه الحركة الثورية في البلدان النامية ـ كما انه من حيث الكيف يفتقر الى التخطيط والاختيار الواعي .

٨) المهام والاقتراحات :

تطرح الحياة على المجلات الثقافية في العالم الثالث مهام ملحة لا تحتمل التاخير . في مقدمة هذه المهام هو انه مع عدم المساومة على المبادىء والافكار الرئيسية التي تعتنقها القوى الاشتراكية المختلفة ، فان هذه القوى يجب ان تنطلق من ضرورة التضامن والتقارب لا التنافر والتضارب .

فالواقع انه لا يوجد حائط لا يمكن اجتيازه بين التيارات الاشتراكية القومية والاصلاحية والطوباوية وبين الاشتراكية العلمية.(1)

ان الخلط بين التشدد الايديولوجي والتمسك بالمبدأية ، وبين عدم التساهل بازاء كل الاراء المخالفة لا يمكن الا ان يفتت جبهة القوى التقدمية ، ويفسح الطريق امام تعزيز الايديولوجيات الرجعية .

من هذه المهام ايضا ان الاستعمار الجديد يكثف حملته في ظل الانفراج الدولي ويشددها بشكل خاص على الجبهة الايديولوجية.

ومن هنا لا بد من ان تضع المجلات التقدمية على راس واجباتها التصدي لهذا الهجوم الايديولوجي وكشفه وفضحه على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والفلسفية . ونحن نشدد هنا على اهمية الدراسات الفلسفية لان الاسلحة الايديولوجية للمجلات الثقافية تحتاج الى تأصيل ، وهذا التاصيل يفرضه نضج الحركة الثورية في كثير من بلدان العالم الثالث ، فضلا عن ان هذا التأصيل هو العامل الحاسم في انزال الهزيمة بالايديولوجيات المعادية والرجعية وفي الوقت نفسه ضرورة التصدي لقوى الرجعية والبورجوازية اليمينية التي تحاول ـ متعاونة مع الاستعمار الجديد ـ ان تشوه الاشتراكية ، تارة بالهجوم السافر عليها وتارة بارتداء اقنعة « اشتراكية » مزيفة .

ولما كانت القضايا المتعلقة بحل الخلافات الفكرية بين القوى التقدمية والديموقراطية الثورية لا تتم في فراغ فانه يقع على عاتق المجلات الثقافية واجبان :

الاول : هو البحث عن اساليب ملموسة للتعاون بين مختلف الحركات الوطنية الديمقراطية والحركات الاشتراكية .

الثاني : هو الربط المستمر بين قضايا الفكر والتطبيق . فمن خلال هذا الربط تكتسب المجلات الثقافية الحركة الثورية وتحقق الارتباط الموضوعي مع القوى المحركة لها .

٩) اقتراحات :

وعلى ضوء هذه المهام العامة تتقدم « الطليعة » بالاقتراحات المحددة التالية :

(١) ان ينعقد مؤتمر شبه دوري بين المجلات الثقافية التقدمية حول موضوع محدد بذاته : سياسي او اقتصادي او ثقافي .. الخ محلي ، او قومي ، او عالمي .

(٢) ان يتم في هذه الاجتماعات تبادل الخبرات المختلفة بين هذه المجلات ومناقشة المشاكل والصعوبات التي تعترضها وان تسعى الى تحديد اوجه التعاون بينها .

---

(1) التركيب الطبقي للبلدان النامية .

(٣) ان يتم تبادل الزيارات بين الكتاب ، وان يتم تبادل المقالات بين محرريها .

(٤) ان تطرح على البحث قضية النهوض باساليب الصحافة التقدمية في التحرير والاخراج والتوزيع . وفي موضوع التوزيع تتقدم الطليعة باقتراح تكوين اصدقاء المجلات الثقافية لقراءتها جماعيا ، وتنافس اساليب تحسين توزيعها .

عن مجلس تحرير « الطليعة »

لطفي الخولي

ملحق البحث : دراسة عن تجربة « الطليعة »

(١) حين صدر العدد الاول من « الطليعة » في يناير ١٩٦٥ ـ انما صدر استجابة لواقع موضوعي هو اتاحة الفرصة للحوار والصراع الديمقراطي بين مختلف القوى الوطنية والديمقراطية والثورية حول اعادة صياغة المجتمع والانسان العربيين في تلك المرحلة من تطورها ...

وقد عملت « الطليعة » دائما على ان تظل مخلصة لما جاء في الخطوط العامة لافتتاحية العدد الاول منها ، وقد جاء في هذه الافتتاحية :

« ان الصياغة التي نستهدفها هي الصياغة الاشتراكية العلمية لواقعنا وعلاقاتنا الاجتماعية ، ومهمة « الطليعة » الاساسية هي دراسة وبحث ومناقشة اساليب ووسائل واشكال هذه الصياغة المتكيفة مع الواقع والظروف ، ولهذا فان الطليعة تدعو وتجند جميع المفكرين والمثقفين الثوريين الى مواجهة مشاكل الواقع وقضاياه ، مواجهة صريحة واعية لاستنباط الحلول الجذرية والملائمة ... » .

وحددت « الطليعة » منهجها في دراسة هذه الصياغة :

« ونحن ننطلق لمعالجة مشاكل وقضايا الثورة العربية التحررية المعاصرة وموقفها من تطور العالم وحركته ، معالجة واقعية ثورية ، ونحن في نفس الوقت حريصون كل الحرص على ان ننفتح برحابة ونظرة موضوعية على التطور الانساني التقدمي ككل ، تاريخا واتجاهات وتجارب ، سواء في نطاق حركة التحرر القومي العالمية بجبهاتها الافريقية والاسيوية وامريكا اللاتينية ، او في نطاق البناء الاشتراكي للمجتمعات الاخرى ، او في نطاق التقدم العلمي والتكنيكي الباهر ... » .

كذلك حددت اسلوبها في هذه الدراسة :

« ... وهي لا تمارس مسئولياتها باسلوب فردي ، وانما باسلوب جماعي ، والجماعة في مفهومها ليست جماعية عددية ميكانيكية، وانما هي جماعية ديناميكية متجددة الحركة عميقة الابعاد ، بمعنى انها لا تصادر الذات المفردة ، ... ولا تذيب مسئولياتها المحددة المهام في شيوع المسئولية الجماعية العامة .. » .

واكدت « الطليعة » انها ليست منغلقة على وجهات نظر كتابها او محرريها لكنها :

« حريصة من ناحية على ان لا تغلق الباب دون اي رأي او وجهة نظر علمية في اشتراكيتها وثوريتها ، ولكنها من ناحية اخرى حريصة على ان تضع كل الاراء ووجهات النظر تحت اضواء النقد والنقد الذاتي والمناقشات المفتوحة من كتابها واصدقائها على السواء . »

(٢) ولعل اهم ما حرصت « الطليعة » على تناوله بالدرس والمناقشة والتحليل انما هو التجربة الثورية المصرية في خطوطها النظرية والتطبيقية الاساسية وما صاحبها من ايجابيات وسلبيات .. على هذا الاساس تضمنت الاعداد الصادرة منها خلال عاميها الاوليين دراسات ومناقشات فكرية وتطبيقية عن اهم ملامح هذه التجربة ، اقتحمت دراسات عن :

الارض والفلاح ـ الديمقراطية والتنظيم السياسي ـ السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة وموقفها من الصراعات العالمية المتعددة ـ البيروقراطية ـ الطبقة العاملة ـ التخطيط ـ القطاع العام ـ التعاون ـ القانون والنظام القضائي والشرعية الثورية ـ التعليم ـ الكادر السياسي ـ الطريق المصري الى الاشتراكية وغيرها .

(٣) وفي بعض هذه الدراسات لم تقتصر « الطليعة » على آراء

كتابها او جهود محرريها لكنها لجأت الى اسلوب « الشهادات الواقعية او « البحث الميداني » بحيث كانت تجمع آراء وشهادات وخبرات اصحاب المشكلة انفسهم ، ثم تعرضها بعد ذلك على اصحاب الراي كي يدلوا بآرائهم فيها ، وهكذا قدمت « الطليعة » ـ على سبيل المثال ، لا الحصر :

ـ رؤية الطبقة العاملة للموقف الراهن يناير ١٩٦٨ .
ـ رؤية الفلاحين للموقف الراهن فبراير ١٩٦٨ .
ـ رؤية الموظف الصغير للواقع الراهن ابريل ١٩٦٩ .
ـ عمال الترحيل : المشكلة والحل يناير ١٩٧١ .
ـ هكذا يتكلم الادباء الشباب سبتمبر ١٩٦٩ .
ـ الادباء الشباب في الوطن العربي ديسمبر ١٩٦٩ .
ـ البحث العلمي في مصر يونيو ١٩٧٣ .
ـ رؤية شعبية لحرب اكتوبر نوفمبر ١٩٧٣ .

(٤) كذلك اعتمدت « الطليعة » اسلوب تركيز جهدها كله حول قضية واحدة تعتبرها اهم القضايا الجديرة بالمناقشة وطرح وجهات النظر المختلفة حولها ، وهكذا قدمت في بعض اعدادها « الدراسة المتكاملة » حول احدى هذه القضايا .. ونذكر على سبيل المثال :

ـ قضية : الديمقراطية والتنظيم السياسي ، وقد تناولتها الطليعة على النحو التالي :

* مفهوم وطريق الديموقراطية في الميثاق .
* حول المنظمة الجماهيرية ، الحزب والكادر الثوري .
* التنظيم والعمل القيادي في وحدات الانتاج .
* قضايا ومشاكل جديدة في التجربة المصرية لبناء التنظيم السياسي .
* القوة الجماهيرية العاملة للاتحاد الاشتراكي في الريف والمدينة .

(عدد فبراير ١٩٦٥)

ـ قضية : القطاع العام ، وقد تناولتها على النحو الاتي :

* القطاع العام في القطاع الراسمالي .
* القطاع العام في القطاع الاشتراكي .
* الوضع الراهن للقطاع العام في مصر .
* حول تنظيم وادارة القطاع العام .
* « ندوة » حول : القطاع العام من الداخل .

(عدد اغسطس ١٩٦٥)

ـ قضية : التعليم والثورة ، وتناولتها على النحو التالي :

* سياسة القبول بمراحل التعليم .
* محو الامية وتعليم الكبار .
* التعليم الخاص .
* المناهج وقضية المضمون .
* قضية المعلم والنقابة .

(عدد اكتوبر ١٩٦٨)

(٥) ولم تقتصر « الطليعة » على تناول مشكلات الواقع في مصر ، بل عمدت الى القاء اضواء جديدة على مراحل هامة في تاريخها الحديث ، وقدمت بهذا الصدد عددا من الدراسات ، من اهمها :

* حركة التاريخ المصري بين ٤ فبراير ١٩٤٢ و ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

(مارس ١٩٦٥)

* ثورة ١٩١٩ ، وقد تناولتها على النحو التالي :

ـ المقدمات والمواقف الطبقية .
ـ سعد زغلول وفكره السياسي .
ـ مختار رائدا .
ـ يوميات ثورة ١٩١٩ . (مارس ١٩٦٩)

* الثورة العرابية ، وقدمتها على النحو التالي :

ـ ملامح من الخريطة الفكرية للثورة العرابية .
ـ الواقع الطبقي للثورة العرابية .
ـ قيادة الثورة وفكرة السلطة .
ـ التيار الاصلاحي والثورة العرابية .
ـ الثورة العرابية والملاك العقاريون .
ـ اضواء حول معارك الثورة العرابية .

(سبتمبر ١٩٧١)

* الليبرالية المصرية ، نشاتها وتاريخها ومنجزاتها ، وكانت اهم عناصر الدراسة :

ـ الليبرالية في نظر الماركسية .
ـ بدء ظهور الليبرالية المصرية .
ـ موقع الفكر الاسلامي الحديث من الاتجاه الليبرالي .
ـ وعادت الليبرالية تيارا مصريا .
ـ دستور ١٩٣٦ ، صراع حول السلطة .
ـ الليبرالية في التطبيق (١٩٢٤ ـ ١٩٥٢) .

(اغسطس ١٩٧٢)

(٦) كذلك لم تقف « الطليعة » عند حد تقديم الدراسات ذات الطابع التاريخي البحت ، بل عمدت الى تقديم « ملفات » خاصة عن عدد من رواد الفكر المصري والعربي الحديث ، فقدمت ملفات عن :

ـ سلامة موسى .
ـ العقاد .
ـ مندور .
ـ رفاعة الطهطاوي .
ـ احمد شوقي .
ـ محمد عبد الحليم عبدالله .
ـ شبلي شميل .
ـ ابن رشد
ـ عبد الحميد بن باديس .

(٧) واعتمدت « الطليعة » اسلوب الحوار مع المفكرين العرب وغير العرب على السواء ، فنحن نجد بين صفحاتها ـ على سبيل المثال لا الحصر :

ـ حوار بين « فتح » و « الطليعة » مايو ١٩٦٩ .
ـ حوار مع ممثلي منظمة الشباب يونيو ١٩٦٦ .
ـ حوار بين « الجبهة الديمقراطية » و « الطليعة » نوفمبر ١٩٦٩ .
ـ حوار مع جارودي يناير ١٩٧٠ .
ـ حوار مع مكسيم رودنسون فبراير ١٩٧٠ .
ـ حوار مع اوليانوفسكي يونيو ١٩٧٠ .

(٨) كما اعتمدت اسلوب « التحقيق الميداني » للتعرف على التجارب الثورية في الوطن العربي وخارجه . فقدمت :

السودان من داخل السودان . (اغسطس ١٩٦٩)
ـ العم هو : الرجل ـ الثورة ـ الفكر (اكتوبر ١٩٧٠) .
ـ جمهورية اليمن الشعبية : الواقع المشكلات ، آفاق المستقبل (يوليو ١٩٧٠) .
ـ العراق من داخل العراق ، تحقيق سياسي (يناير ١٩٧٣) .
ـ تحقيق سياسي من عدن ، اليمن الديمقراطية من داخل اليمن الديمقراطية . (فبراير ١٩٧٣) .
ـ حركات الكفاح المسلح بعد فيتنام ، وتناولتها كما يلي :

* الثورة الفلسطينية وخرافة الطريق المسدود .
* الكفاح المسلح في افريقيا بين التصعيد والتهدئة .
* آسيا : اخصب تجارب النضال المسلح .
* الكفاح المسلح في امريكا اللاتينية بعد جيفارا (مارس ١٩٧٣) .

(٩) وقبل ان تقرر « الطليعة » اصدار ملحق خاص بالادب والفن (بدءا من يناير ١٩٧٢) ، فقد كانت تهتم دائما بهذه القضايا من حيث هي تعبير عن جانب من جوانب « البنية العليا » للمجتمع المصري ، وقدمت بهذا الصدد دراستين اساسيتين :

* المسرح وقضايا الشعب ، ونشرت فيها الدراسات التالية :

ـ حركة المسرح المصري من الماضي الى المستقبل .

ـ اتجاهات المسرح المصري المعاصر .
ـ المسرح المصري وتراث الشعب .
ـ المسرح المصري والطبقة المتوسطة .
ـ اين الغضب في مسرحنا الغاضب . (مايو ١٩٧١)
والدراسة الثانية بعنوان :
* الرواية مرآة الشعب ، وقدمت فيها :
ـ صورة الفلاح في الرواية المصرية .
ـ الرواية المصرية والمقاومة الوطنية .
ـ الموجة الجديدة في الرواية المصرية .
ـ الرواية المصرية تنادي حزيران .
(اغسطس ١٩٧١)

ومنذ اصدرت « الطليعة » ملحقها للادب والفن وهو يحاول ان يتابع هذه القضايا ـ في الواقع المصري والعربي والعالمي ـ صادرا عن المنطلقات نفسها التي تنطلق عنها « الطليعة » الام ..

(١٠) وقد كانت « الطليعة » دائما تستهدف المستقبل ، فتقف الى جانب الشباب تناقش حركاتهم ومشكلاتهم في العالم العربي وخارجه ، وقدمت بهذا الصدد اكثر من دراسة :

* شباب ٦٨ يهز العالم ، الخريطة العالمية لحركة الشباب والطلبة وضمت عناصر هذه الدراسة :
ـ منابع الالهام الفكري والنضالي .
ـ الحركة في العالم الراسمالي .
ـ الحركة في العالم الاشتراكي .
ـ الحركة في امريكا اللاتينية .
ـ الحركة في مصر والوطن العربي .
ـ ثورة الشباب والموجات الجديدة في الادب والفن .
(اغسطس ـ سبتمبر ١٩٦٨)

* الشباب : الحياة والمشاكل والمسئولية ، وضمت عناصر هذه الدراسة :
ـ تنظيم الشباب سياسيا .
ـ التحليل الاجتماعي لمشكلات الشباب .
ـ السلبية وكرة القدم والصراع الفكري بين الشباب .
ـ نحو سياسة تعليمية جديدة للشباب .
(اكتوبر ١٩٦٨)

(١١) وكما وقفت « الطليعة » الى جانب الشباب ، وقفت الى جانب « الجديد » فافردت بابا خاصا ـ لا زالت حريصة عليه حتى الان ـ بعنوان « كتابات جديدة » ، وحددت هدفه بانه « يستهدف اتاحة الفرصة المنظمة امام جميع الطاقات العربية الشابة والثورية التي تجد ـ بحكم مقاومة القديم موضوعيا لكل جديد ـ عنتا وصعوبة في التعبير عن آرائها وفي نشر افكارها وابحاثها ، ويستهدف هذا الباب ـ الذي لا يعترف بخرافة لمعان الاسماء ويشق طريقا ممهدا خلال السدود والحواجز التقليدية ـ تسهيل عمليات التحام اجيال الخلق والابداع في مجتمعنا بعضها ببعض وتجديد قواها وحيويتها باستمرار » .

(١٢) وقد كانت «الطليعة» دائما تفتح صدورها وصفحاتها لتجارب المناضلين في العالم الثالث بوجه خاص ، واذا شئنا ان نستعرض اسهاماتها بهذا الصدد فعلينا ان نستعرض صفحات اعدادها جميعا ، لكننا نلفت النظر الى بعض دراساتها بوجه خاص :
* ندوة افريقية .
* مسار التجربة الثورية في الجزائر .
* التعبئة الشعبية : خبرات وتجارب ثورية في كوبا وفيتنام ، انجولا وموزمبيق وغينيا بيساو .
* حركة التحرر الوطني في امريكا اللاتينية : خبرات في الفكر والعمل السياسي :
ـ الصراع ضد السيطرة الامريكية .
ـ البرلمان كطريق الى السلطة الديمقراطية الوطنية .
ـ سلطة وطنية في شكل عسكري .
ـ امريكا اللاتينية بين البندقية والانجيل والمنشور السري .
* درس فيتنام : انتصار حرب الشعب :
ـ قراءة سياسية لاتفاقية فيتنام .
ـ من الثورة الوطنية الى الثورة الاشتراكية .
ـ الجبهة الوطنية ، اعظم التجارب السياسية في فيتنام .
ـ الاضافة الفيتنامية لاستراتيجية وتكتيك حرب التحرير الشعبية .
ـ الديمقراطية عامل اساسي في النصر .
ـ الربط بين العمل السياسي والعمل العسكري .
ـ مسيرة ثورة فيتنام المنتصرة .
* شيلي : التجربة ، الانقلاب ، المقاومة .

(١٣) كذلك حرصت « الطليعة » دائما على ان تلاحق المتغيرات الدولية بالتحليل والتفسير ، من حيث ان فهم هذه المتغيرات ضروري كي تكسب حركتنا مرونة وفاعلية على جبهتي الاصدقاء والاعداء جميعا، ونشير هنا الى اهم دراساتها في هذا الصدد :

* امريكا : الوجه والقناع في الشرق الاوسط ، وضمت عناصرها ما يلي :
ـ الامبريالية الامريكية وتصدير رأس المال الامريكي .
ـ المؤسسات المالية الامريكية في لبنان ودورها في السيطرة على راس المال العربي .
ـ العرب وامريكا في مرآة التبادل التجاري بعد ١٩٦٧ .
ـ الوجود العسكري الامريكي في الوطن العربي .
ـ امريكا وحركة التحرر الوطني العربية .
ـ امريكا : العدو الرئيسي .
ـ الهدف الحقيقي للحل الامريكي .
ـ حصان طراودة الامريكي او الغزو من الداخل .
* اوروبا الغربية وموقعها من حركة التحرر العربي ، وكانت كما يلي:
ـ ماذا تملك اوروبا الغربية بالنسبة لازمة الشرق الاوسط ؟
ـ العضو رقم ١٦ في حلف الاطلنطي (اسرائيل) .
ـ العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية والسوق المشتركة .
ـ الوجه الحقيقي للاشتراكية الديمقراطية في اوروبا .
ـ ثلاثة مجالات للنشاط الفرنسي .
ـ المانيا الغربية تشارك في بناء اسرائيل .
* المتغيرات الدولية : حدود جديدة ام اشكال جديدة للصراع ؟

(١٤) ولم تغفل « الطليعة » عن دراسة التجارب الثورية ، والثوريين في تاريخ العالم ، فقدمت في هذا الصدد عددا من الدراسات، لعل اهمها :
* لينين ـ عدد خاص ـ مارس ١٩٧٠ .
* كوميونه باريس ـ عدد خاص ـ يونيو ١٩٧١ .
* جورجي ديمتروف ـ ملف خاص ـ يوليو ١٩٧٢ .

(١٥) وفتحت « الطليعة » ابوابها لاقلام مناضلين ومفكرين احرار واشتراكيين من الوطن العربي ومن العالم . فكتب لها واسهم في تحريرها كل من :

برتراند راسل (انجلترا) ، شارل بتلهايم (فرنسا) اوسكار لانجه (بولندا) ، (شي جيفارا) (كوبا) ، ب . فوكومتشيش (يوغوسلافيا) ف. يرابيزنيكوف .أ. ليبرمان (الاتحاد السوفييتي) ، المهدي بن بركه (المغرب) ، عبدالله الطريقي (السعودية) خيري حماد (فلسطين) .. وغيرهم .

١٦ ـ والآن .. بعد ١٠ سنوات من التجربة ، وفي ضوء الواقع الجديد وتحدياته ، فان « الطليعة » لا زالت حريصة على ان تظل ـ كما جاء في افتتاحية عددها الاول ـ متخذة مكانها « في صف المحاولات الثورية الجادة لفهم الواقع وتفسيره والسيطرة عليه وتغييره لصالح الوجود الحر للانسان والسلام والحياة » .

الياس خوري

البحث عن دور ممكن

حول دور المجلات الثقافية في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي

يستطيع الباحث ، حين يطرح على نفسه سؤالا محددا عن دور المجلات الثقافية في حركة التحرر الوطني ، ان يحيل هذا السؤال الى شبكة معقدة من الاسئلة ، تعيد بحث المفاهيم الاساسية التي يفترضها هذا العنوان ، وتتداخل مع مستويات تاريخية ، سياسية ، ايديولوجية عديدة . لكن هذه الاسئلة تقود بدورها الى نقطة مركزية اساسية، هي مسالة تكون المثقف العربي الحديث . اي ضمن اية اتجاهات او مسارات جرت عملية التكون هذه ، وقادت نحو اشكال تعبيرية جديدة في الثقافة العربية ؟ غير ان طرح مسالة التكون هذه ، لا يمكن ان يجدي الا داخل حقل الممارسة الاجتماعية الذي جرت فيه هذه العملية . هنا يعود السؤال ليربط بين طرفيه بشكل دقيق . فاذا كانت مسالة تكوّن المثقف العربي الحديث تجيب على الشق الاول من السؤال ـ دور المجلات ـ على اعتبار انها احد الاشكال التعبيرية الحديثة ، فان حقل الممارسة الاجتماعية يفترض الشق الثاني من نفس السؤال ـ العلاقة بحركة التحرر الوطني ـ .

ان المجلة الثقافية ـ التي يصدرها مثقفون بالضرورة ـ سوف تناقش من ضمن المهمات التي وجد المثقفون انفسهم امامها . واذا كانت هذه المهمات ليست من وضعهم ، فان دراسة مساهمتهم فيها هو امر يسمح لدراسة المستوى الايديولوجي والصراعات التي تخاض فيه، بالتقدم في سبيل الكشف عن عنصرين اساسيين :

١ ـ الدور الواقعي الذي تستطيع حركة ثقافية ان تلعبه في بلاد تابعة حدود هذا الدور وآفاقه .

٢ ـ اوالية عملية الصدام مع الغرب الراسمالي ، التي افرزت على المستوى الايديولوجي اهم جدل داخل الحقل الايديولوجي العربي.

ان دراسة هذين العنصرين لا يمكن ان تتم من خلال المجلة الثقافية بوصفها اطارا . بل بوصفها مؤشرا . فلقد عبرت حركة الثقافة العربية الحديثة عن نفسها باكثر من شكل وطريقة . لذلك تصبح المجلة الثقافية مجرد مؤشر يسمح لنا باحاطة اولية ـ منهجية بموضوع البحث . يقود هذا الافتراض الى وضع اطار خاص لمسار هذه الدراسة . فهي ليست دراسة تطورية ، تاريخية ، تهتم بدراسة تاريخية للخط الذي قطعته حركة الثقافة العربية من خلال مجلاتها . بل هي اقل طموحا واكثر تحديدا . انها تريد البحث عن التيارات الايديولوجية الاساسية وشروط ولادتها ، لتقوم بعد ذلك باقتراح فلجة داخلية لحركة الصراع داخل المستوى الايديولوجي . من هنا، تصبح النقاط التطورية ـ التاريخية مداخل ، تسمح للتحليل بالتقدم في سبيل تقديم اقتراح منهجي اساسا . اي ان الهدف المنهجي الذي يريد ان يقدم عناصر تحليل اولية لدور المثقف في المجتمع العربي ، هو المحرك المركزي لهذه الدراسة . من هنا فنحن لا نبحث عن نتائج نهائية ، او حلول . بل نبحث عن الاسئلة التي يجب طرحها في سبيل استنطاق حركة صراع وطنية ، طبقية ، بالغة العنف ، اجوبتها الحقيقية ، التي تعيد بها الاعتبار للحقيقة العلمية ، بوصفها جدلا لعناصر تمول قصر من التحالفات الطبقية ، على ضوء مقتضيات الصراع، وعلى ضوء تطور وعي الذات ، وقدرة الطبقات الشعبية على قيادة التحالف الطبقي الوطني .

البحث عن الاصالة

١ ـ ارتبطت الاسئلة الجديدة في الحقل الايديولوجي العربي الحدث ، بثلاث ظاهرات اجتماعية كبرى .

ا ـ الاحتلال العسكري المباشر الذي مارسته اوروبا الراسمالية، والذي بدأ عمليا مع حملة بونابرت على مصر . هذا الاحتلال الذي كشف عن الهوة الكبيرة بين تقدم الغرب الصناعي و « تاخر الشرق » . والملاحظ ان هذا الاحتلال قد ادخل ، ولو بشكل اولي ، الصحافة ، بوصفها وسيلة اعلامية حديثة . (١)

ب ـ ولادة دلة محمد علي في مصر . وهي اول محاولة نهضوية حديثة حاولت بناء دولة مركزية ، مركزة على عنصرين اساسيين :الجيش الحديث والتعليم العالي . لكن جرت تصفية هذه المحاولة بشكل تدريجي ، بفضل الهجمة المباشرة التي قام بها التحالف الاوروبي العام ضدها . فبانحسار هذه المحاولة وتراجعها ، فتح الباب واسعا امام تغلغل النفوذ الاستعماري في جميع مرافق الحياة العربية .

ج ـ نمو المدن التجارية وتوسعها على حساب ضرب الحرف المحلية . اي نمو مدن التبادل (بيروت) على حساب المدن الحرفية (حلب ودمشق) حيث ولدت طبقة تجارية تلعب دور الوساطة مع الصناعات الغربية التي اجتاحت المنطقة (٢) . هنا اتى التعليم الحديث والجامعة ، بواسطة ارساليات اجنبية ، ساهمت في غرس بذور الاجتياح الاستعماري للمنطقة ، وزرعت بذور الاستعمار الثقافي الذي لا نزال نعاني منه الى الان .

تحجب هذه الظاهرات الثلاث ، بالشكل التصنيفي السريع الذي قدمناها به ، العديد من ظواهر التحولات الاقتصادية والاجتماعية الهامة ، التي نتجت عن ثورات وحروب وانتفاضات شعبية ، لم تستطع مقاومة منطق الراسمالية الغربية الصاعدة والتي تجتاح العالم. ففرضت التبعية المطلقة على المنطقة وتجري تخريب اقتصادها لمصلحة نمو راسمالي تابع ، ياخذ من الراسمالية مظهرها الاستهلاكي ـ

التبادلي ــ ويفرض غيابا للتصنيع الذي هو اساس اية نهضة فعلية (٣) . من هنا كان الطابع التهميشي الذي فرض على هذا المجتمع ليبقى خارج القدرة على تقرير مصيره بنفسه .

هذا الطابع الصدامي المباشر فرض على النهضة العامة طابعين متلازمين :

١ ــ ان تنشا داخل توجه دولة مركزية . والنموذج الامثل هو التوجه النهضوي لدولة محمد علي ، حيث قامت الدولة بضبط عمليتي التنفيذ والثقافة ، ضبطا شبه كامل .

٢ ــ التطلع الى نموذج التقدم « الغربي » ابتداء بتنظيم الجيش وحتى التعليم العالي (٤)

ضمن هذا التوجه العام ، كان نموذج المثقف هو المثقف التقليدي ــ علم الدين ــ الذي يضع نفسه في خدمة الدولة . ويعطينا نموذج رفاعة رافع الطهطاوي مثالا حيا وبالغ الدلالة على قدرة التكييف مع مستلزمات نهضة اولوية (٥) .

ان صيحة النهضة الاولى التي اطلقها الطهطاوي ورجال البعثات الذين ارسلهم محمد علي للدراسة في اوروبا ، اثمرت اجابات محددة على مستلزمات نهضة وطنية عامة . الترجمة ، معاهد التعليم العليا الحديثة . تنظيم الجيش الحديث وقادت الى طرح اسئلة محددة تمس المستوى الايديولوجي من داخل عناصره السائدة . اي ان الدولة الاقطاعية المركزية التي بناها محمد علي لم تطرح في بنيتها الطبقية والسياسية اسئلة شاملة تمس الموروث الثقافي ، بل بقي تعاملها مع هذا الموروث السائد من ضمن اعادة تنظيمه ليصبح اكثر قابلية لخدمة هذه الدولة واهدافها الطموحة ، وادخلت عليه مفاهيم جديدة ، هي ثمرة الاحتكاك مع النموذج الغربي الذي سيصبح الخطر الوحيد على هذه الدولة . تجعل هذه المرحلة المبكرة دلالة هامة على المسار الذي قد تكون في داخله المثقف . فهو يتكون من الداخل ، اي من مهمات محددة تفرضها ضرورات بناء دولة . وهو يقوم بالعلاقة الوثيقة مع هذه الدولة بمحاولة تحريفية تطال العديد من مرافق الحياة ، دون ان تحدث خلخلة فكرية حادة ، اي دون ان يبدأ الفرز الايديولوجي العنيف الذي سيحصل لاحقا كمؤشر لصراعات طبقية عنيفة ، من ضمن مهمة التحرر الوطني . لكن النهاية المبكرة لدولة محمد علي ، تعرضها للهجمة الاوروبية الشاملة ، ومن ثم تفسخها الداخلي ، سوف يحكم على هذه التجربة الاولى بالفشل . وستبقى العامل الاساسي الذي ستنمو في ظلاله دعوات الاصلاح والنهضة التي سوف تخاض الان خارج السلطة بل ضدها (٦) .

يقيم هشام شرابي في خاتمة بحثه « المثقفون العرب والغرب » مقارنة بين النهضة اليابانية التي تمثلت في الشعار التاليفي الاتي : « الاخلاق الشرقية والعلوم الغربية » وبين النهضة العربية التي لم تتحقق لانها « لم تستطع بغية المحافظة على القيم التقليدية وتبني الوسائل العلمية ان تتجنب التناقضات المتاصلة في هذا النمط من المسعى » . مهملا النقطة الاساسية وهي تعرض المنطقة العربية للغزو الامبريالي المبكر الذي كان في اساسه عدم السماح لهذا التطور . (٧)

اذا كانت هذه المحاولة الاولى قد سقطت بفعل العديد من العوامل ــ العامل الخارجي ــ الذي هو في اساس اخلالها الداخلي ، فانها قدمت العديد من النماذج الواقعية ــ السياسية والثقافية ، للقدرة على تمثل مقتضيات الخروج من الانماط السائدة . وتعطي الوقائع المصرية وهي الجريدة الرسمية التي انشاتها الدولة ، قدرة على الاستفادة من كل مقتضيات العناصر الثقافية الحديثة ، حين تحولت بفضل الطهطاوي وجماعته الى منبر فكري ، ثقافي ، بالاضافة الى كونها جريدة الدولة الرسمية .

لقد كان الاحتلال الانكليزي لمصر ، والتغلل الاستعماري في بقية اجزاء المنطقة العربية ، احتلالا مباشرا (تونس ، الجزائر) وغير مباشر (لبنان) هو الحافز المركزي لارتفاع الاصوات المطالبة بالخروج من دوامة الاحتلال الى افق استقلالي وطني . ونتيجة للعوامل المتشابكة في تكوين الخريطة الطبقية والثقافية ، فقد كان هناك ردان اساسيان على هذا الواقع .

الرد التقليدي

وهذه ليست تسمية مطابقة ، انما نستعملها هنا للاشارة الى احد اكثر اشكال الرد فعالية ، وهو الرد الذي يحتمي بالدين وبالتراث بوصفهما عاملين موحدين ايديولوجيا واجتماعيا . وقد اتسم هذا الرد اساسا بتعبيره عن الفئات الاجتماعية والطبقات التي لم يستطع الاحتلال تحويل المجاري الرئيسية في نمط حياتها ، او التي دمرها بشكل كامل . كما اتسم بكون مثقفيه ، هم المثقفين العضويين التقليديين منذ زمن بعيد ، والقادرون على تعبئته باسم قيم لا تزال فاعلة ومحركة .

الرد الحديث

وهو محاولة التمثل لجميع القيم الليبرالية الغربية واعتبارها مقياسا اساسيا في عملية النهضة الوطنية المفترضة . وقد حاول هذا التيار الذي نما اساسا في كنف الارساليات الاجنبية وفي معاهدها العالية ادخال قيم العلوم الوضعية في الفكر العربي الحديث .

قد يبدو هذا التقسيم مفرطا في عموميته ، لانه لا يميز داخل هذين الردين ، الفروقات والاختلافات الكبيرة التي تقسمها ايضا . انه مجرد تقسيم وصفي ، ياخذ الظاهرة الخارجية دون ان يحللها ودون ان يعيد انتاجها نظريا على ضوء تحليل طبقي دقيق . لكن هذا المؤشر الوضعي يسمح برصد حركة جذب عنيفة تعرض لها المستوى الايديولوجي فيما هو يحاول طرح اسئلته (٨) . تتعدد داخل هذين المستويين المواقف . ففي حين ينطلق الكواكبي من ضرورة الاستقلال العربي وعودة الخلافة الى العرب ، تولد حركة الاخوان المسلمين من نفس التيار . وفي حين تقود عملية شبلي الشميل الى نوع من الدفاع عن السيطرة الانكليزية ، يرتفع صوت سلامة موسى داعيا الى الاشتراكية ، وابا للكثير من الحركات الثورية العربية .

ان عدم مطابقة النمذجة ، تعود في الدرجة الاولى الى صعوبة اية نمذجة لمرحلة مليئة بالصراعات ، ومتضاربة ، مرحلة تفتت اجتماعية ، تفقد فيها مقولة غرامشي « للمثقف العضوي » مدلولاتها المباشرة ، لتصبح مؤشرا للعديد من اشكال العضوية التي تبقى في جدل مع نفسها ، طالما بقيت الاسئلة تطرح كرد فعل ، يفترض نموذجا متقدما .

اذا حاولنا ان نتوقف في هذا التحليل عند هذه النقطة ، لنقترح نمذجة اخرى تبدو اكثر مطابقة . مثقف المدنية ، اي مثقف الاشكال الراسمالية الحديثة التي بدات تغزو المنطقة ــ التحديث والتعلق بالنموذج الغربي . ومثقف الريف اي مثقف المناطق التقليدية التي لم تمسها راسمالية المراكز الامبريالية الغازية ــ الاصالة ، التراث ، الدين ، العودة الى الاسلام . قد تبدو هذه النمذجة اكثر قدرة على الاقناع ، لانها تنطلق من فرضية تضاد بين المدينة والريف ، او من فرضية تطور غير متناسق بينهما . لكنها في الواقع تصطدم بعقبتين :

١ ــ صعوبة التمييز الحقيقي على هذا المستوى بين المدينة والريف . فالمدينة الجديدة التي توسعت واخذت ملامحها الجديدة مع اشكال الهيمنة الامبريالية اصبحت امتدادا الريف . اي ان علاقات الريف امتدت لتطبع المدينة بطابعها ، ولتقيم تميزا مصطنعا بين علاقات المدينة وعلاقات الريف . ان هذه الحقيقة التي نستخلصها من تحليل اولي لواقع هذا الانقسام لا تلغيه بل تلغي شكله الثقافي المفترض في هذه النمذجة .

٢ ـ لقد كانت المدة الحرفية ، اكثر المناطق تضررا بالشكل الاقتصادي للهيمنة الامبريالية . لذلك ارتفعت فيها دعوات الاصولية والتراث والرد على الهجمه الغربية .

لكن يبقى هذان النموذجان كافتراضين ممكنين ، يسمحان بتلمس اولي لمازق البحث الايديولوجي عن مخرج من حالة الخضوع للهيمنة الخارجية ، لكنهما يبقيان غير مطابقين ، لانهما ياخذان من الظاهرة احد اشكالها ، دون القدرة على الاحاطة بها بشكل كامل .

ان مازق هذين الاقتراحين ، هو مازق منهجي . فهما يستعيران في اخر تحليل نموذجا جاهزا ويحاولان تطبيقه في بلاد لم تنشا فيها بورجوازية وطنية تقود عملية الاستقلال الوطني ، وتستكمل مهام التصنيع والبناء الديمقراطي . لذلك كانت الحاجة فيها ماسة الى جبهة عريضة توحد فلاحي الريف بعمال وصغار بورجوازيي المدن ، لتقوم هي بهذه المهام (٩) .

ان هذه النماذج الثقافية التي حاولت بنسب متفاوتة ان تطرح مسالة الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي يمكن اعادة تصنيفها من داخل المهمات التي طرحتها على نفسها . اذ من داخل هذه المهمات ، وفي المقترب الاساسي الذي افترض يمكن للتصنيف العلمي ان يتقدم في اتجاه اكثر دقة .

قد تصلح شخصية جمال الدين الافغاني ، بنزعتها التراجيدية ، مثالا حيا لدراسة هذا المقترب . فعلى الرغم من الغموض الذي يكتنف شخصيته ، استطاع الافغاني ان يحول منزله في القاهرة الى جامعة حقيقية ، يتلقى طلابها العلم ويخططون او يستشرفون ممارسة سياسية نضالية محددة ، ثم كانت « العروة الوثقى » (١٠) اهم المجلات العربية واكثرها دلالة تاريخية التي اصدرها الافغاني بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده في باريس ، الصوت المركزي الذي استطاع ان يطرح الاسئلة التي تواجه نهضة الشرق . نستطيع ان نلخص هذه الاسئلة في ثلاثة محاور مركزية :

١ ـ مفهوم الشرق ، وضرورة استقلاله . ومفهوم القوميات المتعددة التي لا تمنع وحدته .

٢ ـ يقيم الافغاني هذه الوحدة على اساس الجامعة الاسلامية ، التي هي جامعة الشعوب المضطهدة والمسحوقة في مواجهة الغرب .

٣ ـ الدعوة الى الاصالة الاسلامية ، التي لا تتنافى مع العلم الحديث ، بل تحمل القدرة على استيعابه في داخلها .

نستطيع معالجة هذه المحاور الثلاثة من اكثر من وجهة :

نستطيع ان نضع مقياسا حدثا ، علما ، ونقول انها ليست اكثر من محاولة توفيقية جديدة ، او نذهب مذهب هاملتون جب في ان هذه الحركة لم تطرح اسئلة جذرية على معتقداتها الاساسية .

ونستطيع كذلك النظر اليها من موقع تناقضاتها الداخلية ، وعدم تماسكها المنطقي فيما ذهبت اليه ، هجوم على المادية ثم كيل المديح للاشتراكية . ونحكم عليها من هذه الزاوية « العلمية » بعدم التماسك المنهجي الصارم وبالتالي بعدم الفعالية الحقيقية .

قد يكون هناك الكثير من الصحة المنطقية في هذين الموقفين . لكن مقتلهما الاساسي ، هو في عدم قدرتهما على التعامل مع هذه الظاهرة الايديولوجية ، بوصفها ظاهرة تاريخية . اذ ان دراسة هذه الظاهرة تاريخيا تفترض دراسة ظروف هزيمتها ، والمؤشرات التي نستخدمها من هذه الهزيمة . فلقد لعبت دورا سياسيا ، ايديولوجيا باعتبارها موحدا اجتماعيا لجميع طبقات الامة ذات المصلحة في رفض الاحتلال الغربي . هذا العنصر ، عنصر التوحيد الاجتماعي ، يفترض نظريا اصلاحات من طبيعة اسيوية ـ المستبد العادل ـ وتساقطه هو صدى محاولة الخروج من الواقع السابق نتيجة الحصار والتطويق الامبرياليين . لذلك كانت هذه الدعوة تفتقد عامودها الفقري بعد فشل الاصلاح الاسيوي (محمد علي) وهزيمة الثورة العسكرية (احمد عرابي) . من هنا طابعها التراجيدي الهائل وعضويتها ، اللاصقة على مجتمع يتململ بحثا عن مخارج من مازق تاريخي فرض عليه . لذلك كان للافغاني اثر اجتماعي وسياسي بالغ الخطورة (١١) . ليست خطورة هذا الاثر المباشرة هي في المسالة الاساسية وحدها بل انه كان صوتا موحدا ، انفجرت بفشل دعوته وطموحاته الاصلاحية الثورية ، تلك الوحدة العضوية التي تبحث عنها الممارسة الايديولوجية النضالية ، فجمعية العروة الوثقى التي كانت هذه المجلة التي تصدر في باريس ناطقة باسمها انتهى دورها بانشطار فكر الافغاني فيما هو في ذروة الفشل ميتا في الاستانة وطبعت الفكر العربي الحديث بطابعها الشمولي .

ان التقييم السياسي لهذه المرحلة لا بد وان يلاحظ ذلك الوعي الهائل بضرورة الخلاص الوطني الذي تجسد على المستوى الثقافي بمحاولتين : رفاعة الطهطاوي ، حيث كان التعليم ونشر الثقافة ميدان فعاليته المباشرة ارتباطا بالسلطة . والافغاني الذي يعبر عن فراغ في السلطة الوطنية وعن عدم القدرة على توحيد الشعب . ويشير فشل هاتين المحاولتين الى عنف الاحتلال الراسمالي ويؤشر لنموذجة جديدة فرضت نفسها على جميع مستويات الواقع العربي .

هل يعني هذا ان دور العروة الوثقى المطابق ـ التراجيدي ، قد شغر بانتهاء هذه المجلة ؟

تصعب الاجابة على هذا السؤال بسبب تشابك المرحلة الجديدة ، مرحلة الانقسامات الطبقية والصراعات التي لا تزال مرتبطة بمهام المرحلة .

فنحن حين اخذنا نموذج « العروة الوثقى » لم يكن غائبا عن تصورنا غياب بيروت عن هذه الصورة . فبيروت في هذه المرحلة كانت لا تزال اسيرة السيطرة العثمانية المباشرة . وكانت الثقافة فيها مرتبطة اوثق ارتباط بالارساليات الاجنبية . لذلك كانت اصواتها الثقافية تفترض النهضة القومية ضمن تصور ليبرالي . لكن هذا التصور لم يكن وحده في الساحة . فالثقافة « الاسلامية » كانت لا تزال عميقة الصلة بفئات المثقفين . حيث ستخرج من لبنان مجلة « المنار » التي سوف تاخذ على عاتقها تكملة رسالة محمد عبده من الموقع السلفي التقليدي . ومن جموع المثقفين السوريين واللبنانيين المهاجرين الى مصر سوف ترتفع الدعوات الليبرالية والعلمية ، وسوف يبدأ البحث المضني عن المطابقة الجديدة مع فكر سلامة موسى والفكر الماركسي المعاصر من بعده .

ان الهاجس الاساسي الذي يسم دور المثقف في حركة التحرر الوطني هو بحثه عن هذه المطابقة ، عن عضويته داخل الحركة الوطنية . وعن تلك الجبهة العريضة التي ستقود مرحلة الاستقلال . في هذا الواقع الذي تفتته الامبريالية وتعيد الراسمالية صياغة خريطته الطبقية ، كان الفكر الوطني يبحث بالتعلم والممارسة عن حلول جذرية جديدة ، تاخذ مكان الطرح المركزي الذي قدمه الافغاني . من هنا التعدد ، ومن هنا الصراعات ، ومن هنا ايضا تلك العلاقة المترجرجة بين ان تكون مثقفا عضويا ، او ان تبقى تحمل قيما لا تطابق . الفكر الوحيد الاقرب الى المطابقة كان فكر ميشال شيحا ومن بعده الندوة اللبنانية التي تصدر مجلة بهذا الاسم . حيث كان هذا الفكر وثيق الارتباط بسلطة التجار الذين امسكوا بالسلطة منذ الاستقلال . فجاء فكر الندوة مع شيحا اساسا مطابقا لمصلحة اقلية طبقية تعيد تنظيم هيكل اجتماعي ليطابق مصالحها الاقتصادية والطائفية .

البحث عن نقاط الارتكاز

ان التعدد الذي اشرنا اليه هو تعبير عن مسيرة ثقافية عامة . مسيرة محاولة الوصول الى فكر يوحد تحت شعار نهضة وطنية شاملة . واذا كانت مقدمات هذا الفكر ـ جبران خليل جبران في نبرته الاجتماعية وفي تطلعه الفني الشامل ـ فرح انطون في نظرته الاشتراكية ـ شبلي الشميل في فكره العلمي ـ قد عبرت عن ازدواجية

في التطلع ، عدم القدرة على التخلص من النموذج الغربي ، فانها في المقابل ساهمت ايجابيا في حركة صراع وطني ـ طبقي لا تزال تخاض الى اليوم . ان هذا الفكر هو تعبير عن تطلع نحو نقطة ارتكاز ثابتة تتجاوز اوتوقراطية الدولة وبيروقراطيتها الى حركة جماهيرية .

حين نطرح عوامل ومسار تطور حركة المثقفين ، وارتباطها الدائم بحركة الطبقات الاجتماعية فاننا نطرح في الواقع خطوطا وطروحات فكرية متعددة وجدت في مجلات ثقافية منابر لها . فاصبحت هذه المجلات عناوين فكرية لمرحلة كاملة .

التعدد وخطوط الصراع

قد يبدو هذا التحليل خارج موضوع بحثنا . فموضوعنا هو عن لبنان ، ونحن نتكلم عن حركة الثقافة العربية باسرها . ان هذا الخروج عن الموضوع ، هو الموضوع نفسه ، فالثقافة « اللبنانية » الخاصة ثقافة غير موجودة أساسا . هناك فكر نظري انتج ايديولوجية الطبقة السائدة، لكنه لا علاقة له بحركة التحرر العربية الا سلبا . وهو على اي حال لم يشكل مجرى رئيسيا مؤثرا في حركة هذه الثقافة . من هنا فوحدة السياق الايديولوجية العامة ، جعلت من الثقافة في بيروت امتدادا داخل حقل الثقافة العربية عامة . لذلك كان هذا المدخل ضروريا لفهم اوالية محاولة الانخراط التي تحاولها التيارات الثقافية هنا .

المجلة الثقافية هي تيار أو اكثر من تيار واحد ، تصطلح على رؤية عامة ، وعلى دور تريد أن تلعبه . لذلك فهي تشكل وحدة سياق في طرح المسائل التي تتناولها . او في بعض الحالات النادرة تشكل ارض حوار اكثر من تيار واحد يجري لقاؤها على فهم محدد لمرحلة معينة . هكذا بشكل عام تستطيع المجلة الثقافية ان تلعب دورا في الحركة الوطنية بشكل سياسي مباشر او ان تلعب هذا الدور بشكل ثقافي، فني ، فتساهم في بلورة رؤية محددة او بعض عناصر هذه الرؤية .

اذا كان هذا التحديد صحيحا او قريبا من الصحة ، فان المجلة الثقافية تكون احدى الوسائل التي تستخدمها حركة الصراعات الطبقية في بلورة مفاهيمها المتضاربة ووسيلة اتصال واسعة داخل وسط معين ، يضيق أو يتسع تبعا لاسلوبية المعالجة ولارتفاع المستوى الثقافي العام .

المجلات الثقافية في بيروت كثيرة العدد . لان بيروت ، بوصفها وسيطا تجاريا تلعب ايضا دور الوسيط الثقافي . كما ان الحرية النسبية التي فرضها واقع الانقسامات الطائفية اللبنانية يسمح بحرية ثقافية وسياسية . هذا دون ان ننسى الدور الذي لعبته الحركة الوطنية في توسيع مدى هذه الحرية . لذلك كانت هذه المدينة ميدان صراع ثقافي ـ سياسي ، تشارك فيه اطراف عربية مختلفة . وكانت محاولة قراءة اوالية التداخل الايديولوجي التي يقوم بها المثقفون مع حركة الصراعات الطبقية ـ الوطنية تحمل دلالات عامة .

اذا حاولنا دراسة المجلات الثقافية اللبنانية منذ الاربعينات لاكتشفنا انها تمثل واقع التعدد الايديولوجي العربي .

لكننا هنا سوف نقتصر على نماذج من اهم هذه المجلات ، لندرس اوالية الانخراط التي تكلمنا عنها سابقا .

ـ ١ ـ

في العدد الاول من مجلة « الطريق » (١٢) نقرا اول محاولة متكاملة لتحديد دور المثقف . ففي مقال موقع باسم « باحث عربي » حول « دور المثقفين العرب في الحياة القومية العربية » يطرح البحث اشكالية واضحة منذ البداية ، يتساءل « هل للمثقفين العرب مهمة قائمة بذاتها في المجتمع يقومون بها كجماعة مستقلة عن بقية جماعات الامة ؟ » . حول هذا السؤال تاتي الاجابة الواضحة التي تحاول لاول مرة فهم علاقة المثقف العضوية بالطبقات الاجتماعية : «فكل مثقف عندما يفكر او يتكلم او يكتب انما يفصح في الواقع عن عقلية طبقة او جماعة اخرى من اعضاء مجتمعه ويمثل مصالحها ويخدم هذه المصالح » .

ثم يحلل هذا المصطلح باربعة عناصر :

أ ـ تضم الجماعة المثقفة عناصر من جميع الطبقات . فهي ليست طبقة .

ب ـ يعزى وهم التعالي الثقافي الى انخفاض مستوى التعليم العام في المجتمع .

ج ـ ليس للمثقفين اهداف ومصالح مستقلة .

د ـ يطرحون المسائل بطرائق مختلفة تخدم اطراف الصراع .

حول هذا التحليل ـ رغم تبسيطيته ، الذي يجب عدم النظر اليها بشكل مطلق ، بل النظر اليها في الغرض الذي كتبته فيه ، تحدد مجلة « الطريق » منذ العدد الاول لصدورها خطا فكريا واضحا في التزامه لمصالح الطبقة العاملة ، وبقية الفئات الشعبية . وكتعبير عن هذا الالتزام نقرأ على صفحاتها مقالات رئيف خوري وتعريفه لاثر الثورة الفرنسية في الفكر العربي الحديث ، ونقرأ لعمر فاخوري احد اكبر الادباء اللبنانيين في الجيل السابق ، ويكتب انطون ثابت ، وكوكبة من المفكرين والادباء الطليعيين ، الذين يخطون في الثقافة العربية محاولات جديدة لكيفية فهم المثقف لدوره الاجتماعي ، والامر الذي يحمل دلالة هو كون هذه المجلة قد صدرت بهدف سياسي ـ ثقافي مزدوج، فهي لا تفصل الثقافة عن النضال السياسي ، بل تعتبرهما وحدة عضوية .

لا نحاول هنا تقيما شاملا لدور مجلة « الطريق » لكننا نستطيع ان نرفع اربع ملاحظات :

١ ـ لقد مثلت هذه المجلة التيار الماركسي في الفكر العربي . هذا التيار الذي حاول منذ البداية التعريف بالحركة الثورية العالمية، وطرح مسالة النضال الوطني المركزية ، بوصفها جزءا من مهمات هذه الثورة . وقد قدمت تعريفا بالفكر الماركسي ، في اللغة العربية، يتجاوز التعريفات التي قدم بها هذا الفكر من قبل .

٢ ـ ركزت المجلة منذ بداية صدورها على انفتاح ثقافي، على الاداب الاجنبيه . فمنذ اعدادها الاولى نقرأ ادبا اجنبيا مترجما ينتمي الى تيار الواقعية الاشتراكية ، غوركي ، اهرنبورغ .. كما جرى التركيز على قيم الحرية في الثورة الفرنسية .

٣ ـ منذ اعدادها الاولى ، وهي تفتح صفحاتها لقراءات من التراث العربي ، كليلة ودمنة ، الشريف الرضي ، العقد الفريد . الخ ... هذا التوجه ، يرفد التوجيهين الاولين بقاعدته التراثية ، حيث لا يصبح الانفتاح مجرد اغتراب ثقافي لا جذور له .

٤ ـ طرح مسالة الاستقلال الوطني والنضال الاجتماعي بشكل متناسق . واذا كان نقاش المقتربات التي قدمتها مجلة الطريق لهذه المسالة تدخل في نطاق مناقشة الخط السياسي للحزب الشيوعي الذي يصدرها ، فاننا نشير فقط الى هذا الطرح والى العنصر الايجابي المبدئي الذي يقدمه هذا الربط .

ان هذه التوجهات التي تقود خط مجلة ثقافية تطرح مسالة قدرتها على المساهمة في حركة الصراع الوطني، وكانها مسالة محلولة سلفا . غير ان المسالة الاساسية كانت ولا تزال بالنسبة للفكر الماركسي هي في قدراته على صياغة خط وطني ينطلق من الصراعات الطبقية المحددة ليستشرف الافق الجبهوي الذي يوحد جميع الطبقات الوطنية في توجه وحدوي عربي هو المخرج الوحيد من التبعية ومن عوامل التفتيت الذي تفترضها .

ـ ٢ ـ

قد تكون افتتاحيه د . سهيل ادريس للعــــدد الاول من مجلــة « الاداب » (١٢) اكثر الافتتاحيات تحديدا للهدف المفترض لمجلة ثقافية. فهـو يضع المجله التي يشرف على تحريرها في صميم الهموم القوميه، « ينبغي على الادب ان لا يكون منعزلا عن المجتمع الذي يعيش فيه ،فان الادب الذي تدعو اليه المجله وتشجعه هو ادب الالتزام الذي ينبع من المجتمع العربي ويصب فيه » .ثم يضع هدفا ادبيا واضحا « النهوض بالحركة النتاجيه ، ودفع الاقلام الجديدة الى الكتابة » . ولا ينسى النموذج . « وهذا النشاط جميعه ، جدير به ان يعطي الاجنبي فكـرة صحيحـه عن الادب العربي الحديث ومشاركتـه في الحركة الادبيـة العالميـة » .

حول هذا الهدف ، سوف تصدر مجلة الاداب ، مرتبطة بشكـل وثيق بالتيار الوطني القومي ، الذي سيبلور ليأخذ وجهته المحددة مع صعـود الحركـة الناصريـة بوصفهـا حركـة وحدويـة معاديـة للاستعمار .

لذلك بقيت « الاداب » مخلصة لهذا الوجه العام . اطار قومي عريض معاد للاستعمار . وحاولت من ضمنه المساهمة في هذه الحركة عبر اقلام كتـاب تعاقبوا على الكتابة فيها . ومن خلال نتاج روائـي وقصصي وشعري . وعلى صفحاتها خيضت المعارك الادبية ، لتصبـح فيمـا بعد منبرا للجبهة الفنية الواقعيه ، بعـد ان توقفت الحملات المتبادلة والصراعات بيـن الشيوعيين والقوميين . اما مساهمتهـا في حقل الترجمه ، فقـد تمركزت حول الفكر الوجودي الفرنسي ،سارتر، بوفوار ، كامو وغيرهم .

في مجلة الاداب ، كان التوجه واضحا . موقف توفيقي من التراث، ودعوة الى التغيير الاجتماعي والتحديث . وصوت الهموم الوطنية وقد اخذت اشكـالا مختلفـة وبقيت في اطار تقدمي التطلعات ، لكنـــه محافظ في نظرته الاساسية .

ـ ٣ ـ

حملت مجلة « شعر » (١٤) هم التجديد الجذري منذ البداية ، فهي التي اوصلت بدايات التحول في بنية القصيدة العربيةالى تجديد كامل ، ينطلق من الانجاز الشعري الغربي ، ليقـوم بتثوير الادوات الفنيـة في اللغـة العربية . فالشعر الجديد ، يتحلق حول رمـوز حضاريـة قديمة ، رمز البعث بشكل اساسي ـ لينقل هموم الثقافـة العربيـة في بحثها عن وجهتها الجديدة .

ان اهمية مجلة « شعر » هي في كونها دفعت المقدمات النظرية الى نهايتهـا المنطقية ، تابعت الخط التجديدي الجبراني في المستوى الشكلـي مع خفوت واضح للمسألـة الاجتماعية التي بقيت مضمـرة داخل ارادة التجاوز . لذلك كـان لا بـد لهذه الحركة من الوصول الى الطريق المسدود . اما الذهاب بعيدا في اكتشاف الذات ، وصـولا الى موقف جذري متكامل لا يتوقف عند همّ تعبيري ، بل يتجاوزه في عودة الى الذات التاريخيـة ، واما التوقف عن الصدور .

ان الموقف الليبرالي الواضح الذي انطلقت منه مجلة شعر كان في اساس مأزقها . فالخدمـات التي قدمتها للثقافة العربية بالغـة الاهمية ، انفتاح ثقافي مذهل ، طرح العديد من الاسئلة ، محاولـة كسر جميع اشكال الرتابة . لكن الموقف الليبرالي ، حيـن لا يتجذر في اتجـاه ثوري ، يقف امـام مأزقه . مأزق الحداثة التي تفقـد موطـيء قدميهـــا .

في الشعر ، يصعب الحديث عن دور سياسي مباشر الا في لحظات الانفجارات الثورية الكبرى . فالشعـر يبـــقى جزءا من المستـوى الايديولوجي الذي يساهم في حركة الصراعات الطبقية . لكن مساهمتـه ليست دائما مباشرة . ليس هذا واقع مجلة شعر . لكنهـا حيـن افترضت الشعر معرفة ، لم تذهب بهذا الافتراض حتـى النهاية .

الممارسة الثوريه ، داخل هموم الطبقات المسحوقة . فبقيت الحداثـة تنتظـر وهي تحاول الامتداد حتى وصلت الى الخيار الحتمي ، خيـار الراديكاليـة .

ان الخروج من المازق الليبرالي ، عبر اختيار الطريق الراديكالي، هو الاضافـة التي تقدمهـا مجله « مواقف » (١٥) فهذه المجله ، علـى رغم تعدد المواقف فيها ، والارضيه الليبرالية التي تنطلق منها ،تبتعد في سبيل الوصول الى موقف راديكالي ، يحول في الواقع اضافتهـــا الابداعيـه المميزة في ادبنـا المعاصر . اي ان الممارسـة النقديـة الجذريـه التي حاولتهـا هذه المجلـة منذ صدورهـا هي تعبير عـن محاوله انخراط جذريـه داخل المدى الثوري الذي فتحته حركة النضال الفلسطينية المسلحـة . لكن هذا الانخراط ، كـان من طبيعـة ثقافية خاصة . من هنـا كانت الثقافة الجديدة مطالبة بتخطي الكثير مـن الحواجز في سبيل الوصول الى فهم الواقع والعمل على تغييره .

في هذا العرض السريع الذي قدمناه ، لاهم المجلات الثقافيه التي تصدر في بيروت ، والتي تشكل عناصر استقطاب فكرية وايديولوجيه هامة ، جرى اهمال الكثير من النقاط التفصيلة التـي لا تزال تحتاج الى دراسـة خاصة بها . الذي حاولناه هنـا هو محاولة رسم خط بياني لمسار الطرح الذي تقدمه هذه المجلات في خريطة ثقافية شاسعة. واذا كنـا قـد اهملنـا عددا من المجلات التي لعبت دورا هاما «الاديب» « المكشوف » واليوم « افاق » فـان الاساسي بالنسبة لنـا هـــو الكشف من ضمـن دراسـة هذه التيارات الثقافيـة عـن اداليـة البحث عن دور داخل حركة التحرر .

الدور الممكن

يمكن ان نستنتج من خلال هذه الملاحظات اربع نقاط اساسية :

١ ـ لقد عبرت هذه المجلات بنسب متفاوتة ، ومن مواقع مختلفة عن ضرورات التغيير الاجتماعي ، اذ ينظــر غالبا الى هذا التغييـر بوصفه تحديـا للبقاء . غير ان مواقع النظر الى كيفية هذا التغيير ودلالاته تختلف باختلاف الموقع الايديولوجي ـ الطبقي .

ففي حين يرتفع طرح تحديث المجتمع ـ ادخال القيم الليبرالية اليه ـ يرتفع في المقابل شعـار الثورة الاجتماعية بوصفهـا مدخلا لهذه العملية . اذا كـان هذان الشعاران ، ميداني استقطاب ، فانهمـا غير جامدين . اي ان طرفيهمـا لا يعبران عن ثابت لا يتغير . بل همـا داخل جدل البحث الذي يؤدي الى نتائج متشابهة في بعض الاحيان رغم تباعـد نقاط المنطلق او الـى نتائج متباعدة رغم الانطلاق من نقطـــة واحـدة (١٦).

٢ ـ لقد عبرت هذه التيارات عن ضرورة تثوير وتجديد الكتابة. فقدمت محاولات عديدة في النقد والشعر والقصة والرواية تعبر في الواقع عن قدرة على الوصول الى التجاوز الضروري . ان هـــذا الهاجس المركزي الذي يوحد ، يحمل دلالة عامة . دلالة البحث عـن طرائق جديدة للوصول الى تعبير جديد عن الذات .

٣ ـ المجلة الثقافية هي اداة تعبيـر حديثة ، تجد اليوم مبـرر انتشارهـا في تزايـد وتأثر التعليم ، وفي نمو المدن ، والعودة الـى ممارسـة ثقافـة اجتماعية عامة . لكـن داخل هذه الاداة الحديثة ، وجد الفكـر نفسه في عملية بحث مضنية عن اصالته، اي قدرته علـى الاجابة على اسئلة الواقع الحادة .

من هنا ، هذه الانعطافات داخل الرؤيـة السياسية والثقافيـة في هذه المنابـر الثقافيـة .

واذا كان سقوط مجلة « حوار » قد كشف عن ازمة الفكـــر الاستغرابي التحديثي وعن عدم جدارتـــه ، فانهـا التحدي لقـدرة اطراف الطبقات الوطنيـة على صياغة اجابتها من موقع ثوري .

٤ ـ تشير هذه المسيرة الثقافية الى عدم تناسق المعادلة تماما . معادلة عضوية المثقف وتعبيريته . ان هذا ، هو واقع كل ممارسة ثقافية . تتراجع او تتقدم في لحظات تاريخية . لكنها تبقى في اخر تحليل تعبيرا عن توتر البحث عن دور نضالي ، لا يتحقق الا داخل المهمات التي تطرحها الحركة الجماهيرية . دحر الامبريالية وسحق هيمنتها بشكل نهائي وكامل ، في سبيل بناء استقلال وطني حقيقي .

الياس خوري

***

اشارات

١ ـ فيلب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الاول ، بيروت ، المطبعة الادبية ١٩١٣ . ويشير هذا الكتاب الى ان الجريدة التي انشأها بونابرت في مصر سنة ١٧٩٩ كانت تسمى الحوادث اليومية .

٢ ـ دومينيك شوفاليه : « مجتمع جبل لبنان في فترة الثورة الصناعية في اوربا » باريس ١٩٧١ ص ٢٠٠ .

٣ ـ يشير التقرير الذي كتبه اللورد كرومر سنة ١٩٠٥ بعد ٢٥ سنة على الاحتلال البريطاني لمصر ، الى نتائج السياسة الاستعمارية بالكلمات التالية : « الفرق واضح لكل انسان ترقى ذكرياته الى عشر او خمس عشرة سنة . بعض احياء القاهرة التي كانت سابقا خلايا لعمال صناعات مختلفة : الحياكة ، الغزل ، الجدل ، صناعة الاوشمة ، الصباغة ، صناعة الخيم ، صناعة الاحذية المحلية ، الخ ..هذه الاحياء تقلصت او انقرضت . ويرى اليوم مكان هذه المشاغل التي كانت مزدهرة مقاه ومحلات صغيرة لبيع الطقاطيق الاوروبية » . في انور عبدالملك : مصر مجتمع عسكري ـ دار الطليعة بيروت ـ ص ٢٠ .

٤ ـ يشير محمد يوسف نجم في دراسته العوامل الفعالة في تكوين الفكر العربي الحديث الى تعاقب النموذجين التركي والمصري في الاصلاحات المصرية والعثمانية . لكن هذين النموذجين هما في الاساس نسج على منوال نموذج غربي واضح . في الفكر العربي في مئة عام . منشورات العيد المئوي ، الجامعة الاميركية في بيروت ١٩٦٧ .

٥ ـ يقدم محمد عمارة سيرة مختصرة لحياة واعمال الطهطاوي في مقدمته لاعماله الكاملة . الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي . دراسة وتحقيق محمد عمارة . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ .

٦ ـ هشام شرابي : المثقفون العرب والغرب .دار النهار للنشر . بيروت ١٩٧١ ـ ص ١٣١ .

٧ ـ انور عبدالملك هو اول من ركز على هذه النقطة في اية مقارنة مفترضة . الفكر العربي في معركة النهضة . دار الاداب . بيروت ١٩٧٤ .

٨ ـ تقوم النموذجة التي يقترحها عبدالله العروي في كتابه الايديولوجية العربية المعاصرة . ترجمة محمد عيتاني ، دار الحقيقة . بيروت ١٩٧٠ ، مثالا اخذ على نموذجة خارجية . الشيخ ، الليبرالي ، والتقني ، التي نفترض وعي الغرب مقياسا وحيدا للجدل داخل الحقل الايديولوجي العربي .

٩ ـ يقدم محمود امين العالم في تعقيبه على بحث د . انور عبدالملك « الخصوصية والاصالة » المقدم الى ندوة الكويت « ازمة التطور الحضاري العربي » نيسان ١٩٧٤ م الى ضرورة الكشف داخل تياري الاصولية والحداثة عن مصالح الطبقات الاجتماعية المتصارعة . في الاداب ١٠ ايار ١٩٧٤ .

١٠ ـ جمال الدين الافغاني ومحمد عبده : العروة الوثقى : دار الكاتب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ١٩٧٠ .

١١ ـ يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق في مقدمته للعروة الوثقى ، المرجع السابق ، « اعلن في الجريدة الرسمية المصرية ان كل من توجد عنده العروة الوثقى يقدم خمسة جنيهات مصرية الى خمسة وعشرين جنيها » .

١٢ ـ صدر العدد الاول من مجلة الطريق في بيروت ـ ٢٠ كانون الاول ١٩٤١ ـ وهي مجلة « تصدرها عصبة مكافحة النازية والفاشستية في سوريا ولبنان » بادارة عمر فاخوري وانطون تابت .

١٣ ـ صدر العدد الاول من مجلة الاداب في ١ كانون الثاني ١٩٥٣ .وكان يراس تحريرها د . سهيل ادريس الذي لا يزال الى الان يشغل هذه المهمة .

١٤ ـ صدر العدد الاول من مجلة شعر في شتاء ١٩٥٧ . وكان يراس تحريرها الشاعر يوسف الخال . وقد صدرت بمقدمة لمكليش .
١٥ ـ صدرت مواقف سنة ١٩٦٨ . ويراس تحريرها الشاعر ادونيس

١٦ ـ تقدم مجلة « شؤون فلسطينية » مثالا حيا عن قدرة الفكر الملتزم على التوظيف داخل حركة ثورية . من هنا تعددها الفكري وصرامتها العلمية .

اناتولي سوفرونوف

المجلات الادبية والاتحاد السوفياتي

اجتمعنا في فترة مفعمة بالاحداث على الارض اللبنانية الكريمة التي تثيرها تقاليد الضيافة العظيمة وصلات الصداقة بين الشعوب . لكم كان بودنا ان نجتمع ، نحن الكتاب والشعراء ، للنظر في اجمل واعظم قضية يمكن تصورها : كيف نسعد كل انسان على كرتنا الارضية، كيف نغمره باجمل الكلمات ، واصفى الافكار واعمقها ، كيف نملأ قلبه بالطيبة؟ لا شك ان يوم هذا اللقاء آت لاننا نحيا ونعمل بالذات، للاقتراب منه ، نعمل من اجل عالم خلا من البؤس والحروب تعيش فيه الانسانية متحدة لا منقسمة . نحن نسير نحو هذا المثل الاعلى ، ولقد كان في كل زمان ، وعند كل الشعوب ، لكن الطريق الذي يجب ان نقطعه طريق صعب دام . لقد احرزت الانسانية التقدمية انتصارات كثيرة في كفاحها ضد قوى الشر . في مؤتمرنا الخامس في الما آتا ، هنأنا اخواننا الفيتناميين تهنئة حارة على انتصارهم . واليوم نحيي المناضلين الابطال ضد المستعمرين البرتغاليين : كتاب انجولا ، وموزمبيق، وغينيا بيساو الذين احرزوا انتصارا باهرا في سبيل الاستقلال . لقد كنا معهم ايام المحن ، ولسوف نكون معهم ساعة النصر ، لسوف نكون معا ، دائما !

لقد اجتمعنا اليوم على الارض العربية التي عرفت كثيرا من الوان الآلام والعذاب . لقد احرزت الشعوب العربية عديدا من الانتصارات الباهرة في كفاحها العادل ضد الامبريالية والاستعمار والصهيونية . لكن المعركة التي تخوضها لكي يسترد الفلسطينيون حقهم في بناء دولتهم وتقرير مصيرهم لم تنته بعد . ولم يعد بعد الى وطنهم الشعراء والكتاب الفلسطينيون الذين يشعلون النار بكتاباتهم في قلوب جنود الحرية . والعسكر الاسرائيليون لا يهدأون ، وصوت المدفعية يدوي ، والدم ما زال يسيل .

لم تصف بعد آثار العنف المشينة، والمفارقات التاريخية، والانظمة العنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا ، تلك البلاد التي لم تسترد اسمها الحقيقي بعد .

وحتى اليوم لم تذق طعم السلام شعوب الهند الصينية التي قاومت العدوان الامبريالي مقاومة صلبة لم يسبق لها مثيل .

نحن موقنون ان معركة الحرية ستستمر حتى انتصار العدل والخير نهائيا . متأكدون من اننا سنستطيع ان نلتقي في بلدان مسالمة، حرة ، مزدهرة ، ونهنيء اخواننا بانتصاراتهم الجديدة ، ولسوف تكون انتصاراتنا جميعا ، كما كانت ابدا .

نحن الكتاب السوفييت فخورون بوطننا ، اول بلاد الاشتراكية المنتصرة ، اول بلاد تطبق برنامجا للسلام اصبح ، بالنسبة للانسانية، الامل الحقيقي في التخلص من الخطر الذري ذات يوم . نحن فخورون بوطننا الذي شغل دائما ـ وما زال يشغل ـ موقعا طليعيا في مجال الكفاح من اجل السلام والعدل ، وطننا المستعد دائما لمساعدة الشعوب التي تكافح من اجل حل عادل للصراعات الدولية . « لا وجود لمصيبة الغير ، كما يقول مثل سائر نطبقه .

نحن نعرف ان قوى الرجعية ، والعنف لا تنوي القاء السلاح قط، وتواصل كل من الامبريالية ، والصهيونية كما يواصل الاستعمار الجديد تهديدهم للسلام على الارض ، وارتكابهم للجرائم الدامية ، وشنهم حربا اقتصادية وايديولوجية على الشعوب المحبة للسلام . ان مأساة شيلي ، واراقة الدماء في قبرص ، وآلام ايرلندا ، واضطهاد الوطنيين في كوريا الجنوبية ، والسحب المظلمة التي تتجمع على الارجنتين ، كل هذا نداء لقلوبنا ، نداء للسلاح . وسلاحنا الكلمة المشحوذة والاتحاد اتحاد الكتاب الافريقيين الآسيويين والكتاب التقدميين في العالم اجمع ضمان لانتصاراتنا .

يا اصدقاءنا الاعزاء ، يا اخواننا في السلاح ، اني ادعوكم الى دعم هذا الاتحاد ، والبحث عن نقط للاتصال ، ومناهج للتعاون ، واشكال جديدة لتبادل القيم الادبية والثقافية . فمن الاتحاد نستمد القوة اللازمة لحل المشكلة الهائلة التي يطرحها علينا التاريخ : تكوين المظهر الروحي للانسان الجديد في آسيا وافريقيا .

اني اعتبر مبادرة زملائنا اللبنانيين الذين اقترحوا تنظيم هذا اللقاء مبادرة ثمينة للغاية . والتأييد الاجماعي الذي اولاه كل اعضاء المكتب الدائم لهذه المبادرة افضل دليل على ضرورته ومناسبته .

ان المجلات الادبية اجهزة تسجل بدقة تحرك طبقات الارض العميقة، لذا ، تعد اقامة الصلات بين من ينشرون هذه المجلات وسيلة تمكن شعوب آسيا وافريقيا من فهم العمليات المعقدة التي تتم في نطاق الادب الافروآسيوي ـ في عصر التقدم السياسي والاجتماعي والتكنيكي ـ فهما افضل .

والمجلة الادبية واحدة من افضل الوسائل الفعالة لإتحاد الكتاب وخلق جو ادبي في البلاد . يجري على صفحات هذه المجلات جدل ادبي يسمح بتحديد لا المعايير الادبية والجمالية فحسب بل المعايير الاخلاقية والجمالية ايضا . وعلى صفحات هذه المجلات كذلك يظهر لاول مرة اسماء المؤلفين الشبان . والمجلات هي التي تثبت في الذهن او يجب ان تثبت فيه حب القراءة وتحليل ما تمت قراءته .

لذا ، نولي اهمية كبرى لهذا اللقاء الاول لرؤساء تحرير المجلات الادبية الافروآسيوية . ونامل ان يصبح هذا اللقاء تقليدا في نشاط اتحادنا .

ويجدر بنا ان نلاحظ ان اتحادنا يعطي مكانا يكبر دائما للقضايا الادبية والايدلوجية والجدل الدائر حولها ، وذلك وفقا للتغييرات التي تطرأ على بلدان آسيا وافريقيا التي اكتسبت استقلالها السياسي وتضع في المقام الاول قضايا الاستقلال الاقتصادي والبناء الثقافي . وتغيير مركز الثقل منطقي ايضا لان الاداب الافريقية الشابة والاداب الإسيوية القديمة نمت نموا هائلا واكتسبت قوة كبرى في اقل من خمسة وعشرين عاما . فلقد ظهر كتاب محدثون ذاع صيتهم في العالم كله . ونمت انواع

ادبية جديدة ، ونمت وازدادت قوة العلاقة المتبادلة بين الاداب ، ومنظمات الكتاب . بل والكتاب انفسهم . ويمكن ان نقول ، دون ان نخشى الخطأ ان العمل الذي قام به اتحادنا وقمنا به جميعا ، خلال العشرين سنة الاخيرة ، اسهام في ذلك كله .

لقد ساهمت الدوريات الادبية السوفييتية في اثارة اهتمام جماهير القراء العريضة باداب آسيا وافريقيا ، وعرفتهم باعمال تلك الاداب . ولا نتحدث عن مجلات مثل « اينوسترانايا ليتراتورا » التي تصدر بالروسية او « فزنفيت » التي تصدر باللغة الارمنية ، وهدفهما الوحيد ترجمة وشيوع افضل اعمال الادب العالمي في الاتحاد السوفييتي، او الباب الادبي في مجلة متخصصة مثل « آسيا وافريقيا اليوم » ، كل المجلات الادبية في بلادنا ، بلا استثناء ، تنشر الادب الافروآسيوي.

ان النزعة الاممية ، لواء الادب السوفييتي ومبدأ سياسة الدولة السوفيتية ، تفترض احترام الاعمال الفنية التي تصوغها كل شعوب العالم ، صغيرة كانت ام كبيرة ، احتراما صادقا . واذا كان نشر الادب الافروآسيوي في بلدنا ظاهرة حديثة الى حد ما ، فمرجع ذلك ان القيم الثقافية في كثير من البلدان الافروآسيوية لم تكن في متناول يدنا قبل ان تكسب هذه البلدان استقلالها . ومن البديهي اننا نجتهد الان ان نسد هذه الثغرة وان نجعل الادب الافروآسيوي جزءا لا يتجزأ من ثقافتنا وتعليمنا .

واننا لنشعر بالفرح اذ نرى ان معرفة القارىء الافروآسيوي ومثقفي بلدان العالم الثالث لادبنا في ازدياد مطرد ، فهم يستطيعون بواسطتنا ، ان يكونوا فكرة عن الحياة الروحية للانسان وعالمه الداخلي في المجتمع الاشتراكي . ونأمل ان ينتهي هذا اللقاء الى نتائج ملموسة في هذا الصدد ، ولسوف تتاح الفرصة للمجلات التي يشترك ممثلوها في هذا اللقاء والدوريات العديدة الاخرى امكانية ترجمة ونشر الاعمال الادبية الاجنبية والاسهام ، بالتالي ، في اعادة توجيه آداب المستعمرات القديمة توجيها اسرع . ومن سمات الاستعمار البغيضة انه عزل المستعمرات على المستوى الثقافي ، ووجهها نحو ثقافة المستعمرين دون غيرها ، مقدما اياها على انها حقيقة لا تقبل المناقشة ، والثقافة الوحيدة الجديرة بالدراسة ، ولقد استفاد المستعمرون من آثار توجيه شعوب آسيا وافريقيا توجيها ثقافيا من جانب واحد ، لكي ينمو العدوان الثقافي على نهضتها . والمعروف ان المستعمرين الجدد يستفيدون من الصعاب الموضوعية الناجمة عن بناء حياة جديدة ليشيعوا عدم الثقة واليأس ، وانهم يستغلون نظرية التشبث بالرأي القومي والنزعة الحديثة المتطرفة التي تزعم الوقوف فوق الامم ، للهيمنة على افئدة المثقفين الافروآسيويين .

ان العدوان الثقافي للاستعمار الجديد مدعم ـ بطريقة تلقائية او مقصودة ـ بالقوى التي لا تعترف بفاعلية الادب والفن كعوامل تشكل ضمير الجمهور ، تلك العوامل التي تسعى الى احلال اوامر ثورية متطرفة قديمة محل الكلمة المزيفة .

وقد شعر دائما كتاب الطليعة في العالم وعلى مر الاجيال بقوة الادب الحقيقي في النضال من اجل وصول الانسان الى الكمال وتحسين ظروف حياته ، وادركوا ايضا ان على الادب أن يكون مجسدا ووطنيا حتى يكتسب معنى عالميا لان العزلة المفروضة تعرقل السياق الادبي والعزلة المقصودة تقتل العمل الادبي . كل هذه الافكار تأخذ اهمية خاصة في عصرنا حيث ان من اهم المهام التي تقع على عاتق البشرية اليوم ان تعمل على ان يندثر التفاوت بين طبقات الثقافة ، ذلك التفاوت الذي اوجده الاستعمار والذي يقف حجر عثرة في سبيل خلق عالم جديد لا يوجد فيه بؤس ولا حروب . وتكسب ايضا هذه الافكار معنى جديدا لاننا نعيش في عالم ترتبط اجزاؤه ارتباطا وثيقا بعضها ببعض يرجع الى وحدة المصير وطرق الاتصال المادية . ان الرغبة في الاتصالات في عالمنا هذا قد اصبحت حاجة حيوية بالنسبة للشعوب .

والاسهل بالنسبة الى اختيار الامثلة من تاريخ وطني أدبي . ان هذا التاريخ لا يرتبط بجنسيات ولغات مختلفة فحسب . لقد وجدت بعض هذه الاداب منذ خمسين عاما وكان مستوى نموها يختلف الى درجة جعلت من مسألة دمجها في وحدة تسمى بالادب السوفيتي مشكلة غاية في الصعوبة . فمثلا الادب الارميني يرجع تاريخه الى آلاف السنين . اما « التشكت » فكانوا لا يعرفون قبل الثورة ما الذي تمثله العلامات التي تخط على الورق .

واذا كانت الشعوب التي لم تعرف من قبل الابجديات لها الان آداب متقدمة ، فهذا يرجع الى ان الدولة الاشتراكية حققت لا محو الامية فحسب بل التفاعل الوثيق بين الاداب المتطورة والجديدة . اكثر من ذلك ، قامت الاداب الجديدة بالاطلاع على احسن ما انتجه الادب العالمي عن طريق الترجمة الروسية في بادىء الامر ثم قراءة النصوص الاصلية .

ان عمليات مماثلة تجري حاليا في الاداب الافريقية الآسيوية : اعادة العلاقات الثقافية القديمة وتوسيعها ، نمو انواع ادبية جديدة، ايضاح النماذج الجديدة للغة الادبية . وتساهم بدون شك العلاقات الوثيقة بين الاداب ـ وهذا الذي تساعد عليه وتحركه المجلة الادبية ـ في تعجيل وتحسين سير هذه العملية . وهذا وضع تحتمه الحياة نفسها : التغيرات الهائلة التي تجري في بلاد آسيا وافريقيا التي اختارت طريق النمو المستقل توقظ في هذه الشعوب اهتماما عظيما بالثقافة . وعلينا نحن الكتاب أن نعرف ما اذا كنا سنستطيع ان نعرف جموع الشعب بالثقافة الحقيقية ، المبتكرة ، السامية او ان نتركهم يلقنون ثقافة بديلة يتفضل عليهم بها الاستعمار الجديد .

ومن الواضح ان تكوين فكرة جديدة عن العالم لدى المواطنين في البلاد المتحررة في آسيا وافريقيا شرط اساسي للتقدم الاجتماعي في القارتين . واذا رجعنا الى التجربة والممارسة في بلادي فاني اؤكد ان المجلات الادبية بالذات هي التي تلعب دورا اساسيا في نشأة الادب الواقعي وتنميته ويرتبط هذا الادب بالحياة ويعكس هذه الحياة بكل ما فيها من نزاهة وتعقيدات .

واذا اردنا أن نرسم صورة واضحة حقيقية لمعاصرينا بين مناضل وبناء نجد ان الادب الواقعي يقرب ترجمة حياة الرجل وترجمة حياة العصر ويثبت الثقة في الحياة ويقيم تتابع الازمنة . ويساهم هذا النوع من الادب في اعداد عالم نشط يخالف الخضوع المتشائم لارادة القدر .

وللادب في عصرنا مهام لها اهمية كبرى من بينها المهمة الحضارية بأوسع معاني هذه الكلمة . أن تدريب الرجل على العيش في هذا العالم الواسع وتنشئته على روح الوطنية الممزوجة باحترام كرامة الشعوب كلها وخلق نظام حديث للقيم على اساس افضل ما وصلت اليه تجربة الانسانية الجماعية وخلق مقاييس اخلاقية عالية . كل ذلك في رأيي هو واجب ادب الطليعة اليوم . ويرتبط نجاح النضال ضد آثار الاستعمار وثقافة الاستعمار الجديد بكل اشكاله بالطريقة التي نؤدي بها واجبنا .

اصدقائي الاعزاء .

لقد جئنا الى هنا مدفوعين برغبة صادقة حارة لايجاد وسائل اكثر فاعلية تخدم شعوبنا . وتشكل هذه الرغبة اكثر الاسس صلابة لوحدتنا . والوحدة تخلق القوة وهذا شيء لا يحتاج الى اثبات .

وفي ختام هذه الكلمة اود ان اذكر كلمات ناظم حكمت العظيم :

ان أنا لم أشعل نارا
ان أنت لم تشعل نارا
ان نحن لم نشعل نارا

اناتولي سوفرونوف
رئيس تحرير « اغانيوك » السوفياتية

بوي هين

مجلات فيتنام الديمقراطية

« انا مصنوع من لحم شعبي ودمه » ، ذلك عنوان قصيدة كتبها واحد من افضل شعرائنا ، كتبها تحت دوي القنابل ، عندما ادخل الامبرياليون الامريكيون ـ بهدف العدوان ـ قواتهم في فيتنام الجنوبية، واشعلوا نار حرب وحشية مدمرة ضد فيتنام الشمالية .

وبوسعي ان اقول بكل تاكيد ان تلك هي الفقرة التي تعتمل فينا جميعا ، نحن الكتاب والفنانين الفيتناميين . لقد تغلب الكفاح من اجل التحرر القومي ، وتوحيد الوطن ، وكذا تقدم فيتنام الشمالية على طريق الاشتراكية ، تغلب على عقبات كثيرة واحرز انتصارات هامة. لكن هذا الكفاح لم ينته بعد ، ولسوف يكون طويلا مريرا ، لكننا متاكدون من اننا سنصل الى غايتنا بفضل ارادة وصلابة شعبنا اللتين اصبحتا تقليديتين ، وبفضل دعم اصدقائنا في القارات الخمس . ويعتبر الكتاب والفنانون الفيتناميون انفسهم ابناء لشعبهم ويسهمون طواعية في القضية المشتركة .

واثناء حرب مقاومة المستعمرين الفرنسيين والامريكيين الامبرياليين، كان الكتاب الفيتناميون يستخدمون اشكالا شتى من النشاط لينفذوا الى الجماهير المشغولة بالمعركة وعملية البناء ليشاركوها افراحها واحزانها ، وافكارها وقلقها ، وآمالها وحماسها ، ليقولوا لها كل هذا بالوسائل الفنية ، وليتغنوا باعمالها البطولية ، وليرسموا صورة مركزة عامة للشعب ، ويرسخوا وعيه بعظمة القضية التي يسهم فيها باعماله اليومية .

وتكمن اهمية الصحافة الادبية في انها ، بانشطتها المتعددة، تدعم الرابطة بين الكاتب والجماهير .

لقد ظهرت مجلة « طليعة » ، مؤسسة صحافتنا الادبية الحالية، عام ١٩٤٥ ، سرا ، بينما كان كل من الفاشية اليابانية والاستعمار الفرنسي يحتلان الهند الصينية . كانت « طليعة » لسان اتحاد الشخصيات الثقافية من اجل سلام الوطن ، تلك المنظمة التي جمعت كل الادباء والفنانين تحت شعار « طابع ثقافي قومي ، علمي ، ضخم »، وكونت جبهة تحارب من اجل التحرر الوطني .

لقد انتصرت ثورة اغسطس ١٩٤٥ ، وكسبنا استقلالنا ، ثم اتى الفرنسيون بقوات الغزو ليعيدوا النظام الاستعماري . وكان شعبنا يقود معركة قاسية للمقاومة واصدرت جمعية الادب والفنون التي انشئت في غابة فيتباك مجلة « فان نجيه » (آداب وفنون) وكان عنوانها الكبير ، اثناء اعوام المقاومة العشرة ، الشعار الاتي : « كل شيء لانتصار المقاومة » . كانت اعداد المجلة تطبع في مطابع صغيرة توصلنا الى الاتيان بها من هانوي ، على ورق الخيزران الاصفر الخشن ، ثم ترسل من فيتباك الى كل مكان في البلاد ، من الشمال الى الجنوب ، بل كانت تنفذ الى المناطق المعادية حيث تولد الامل ، والتفاؤل ، والايمان . كان الوطنيون الذين يعانون من الاضطهاد ووحشية الاعداء ، ينتظرون اعداد المجلة بصبر نافذ ، ويبحثون عنها بالرغم من المخاطر كما كانت بعض الجرائد والمجلات التي تنشر في هانوي المحتلة تجد الوسائل التي تنقل بها القصائد الشعرية والاعمال الادبية المنشورة في اعداد « فان نجيه » .

ومجلة « باك فام موي » (اعمال جديدة) هي الان لسان حال اتحاد كتابنا . وهدفها خلق الادب والفنون الاشتراكية الجديدة ، للمساهمة في عملية بناء فيتنام الشمالية وتوحيد البلاد مرة اخرى . وتسعى كل من المجلة الاسبوعية « فان نجيه » (آداب وفنون) ـ وطابعها اكثر عموما ـ والمجله الادبية « فان نجيه كوان دوي » (ادب الجيل وفنونه) الى هذا الهدف ، ولمعهد الادب مجلته الادبية ايضا وهي تنشر دراسات متعمقة ، ومقالات نظرية ونقدية . كما ان هناك مجلات ادبية تظهر بانتظام في مقاطعات عديدة . واحرص على ان اضيف ان جمعية الادب والفنون من اجل تحرير فيتنام الجنوبية ، وفروعها ، يصدرون مجلات كثيرة في بعض من مناطق فيتنام الجنوبية المحررة . وتوزع هذه المجلات في المناطق التي تشرف عليها عصابة تيو مؤقتا ، وتتمتع فيها بشعبية هائلة .

ان تجمع الكتاب في الصحافة الادبية عامل مناسب فعال . ففي رواياتهم ، وابحاثهم ، وقصائدهم ، ومقالاتهم ، وكتاباتهم الاخرى ، يعبر كتاب الاجيال المختلفة عن الاراء الجديدة ، والافكار الجياشة الخاصة بالقضايا الساخنة المرتبطة بالاهداف العظيمة المطروحة امام البلاد . وهم يقدمون للقراء اعمالهم الجديدة التي تمس كل اوجه الحياة الاجتماعية . ويتبادلون الاراء عن قضايا الخلق . مثلا : « ما هو طابع الفن القومي ؟ » . « ما هي الوسائل التي تمكننا من ان نعكس الحياة باعمق واصدق طريقة ممكنة ؟ » « قضية تجسيد البطولة الثورية في الادب » . « كيف نرتقي بفن السرد » ؟ « كيف نجمع في

الشعر بين العنصرين القومي والعصري » ؟ الخ .. كما اننا ننشر اعمالا مترجمة لكتاب البلاد الاشتراكية الشقيقة والكتاب التقدميين في العالم اجمع .

والطابع الجماهيري سمة من السمات الرئيسية لادبنا. والمجلات الادبية بالذات وسيلة لاقامة صلات واسعة بين الكتاب والقراء . هذا وينتمي قراؤنا الى طبقات اجتماعية مختلفة ، فهم اناس متباينون من حيث السن والمهنة يرسلون خطابات لهيئة التحرير ، معبرين صراحة عن وجهة نظرهم فيما يختص بالمواد التي تنشرها المجلة . ويعبرون ايضا عن رأيهم في الكتب الجديدة . وغالبا ما تكون آراؤهم جديرة بالقبول، لانها قائمة على الحياة والامور الحقة .

تجمع المجلة الكتاب الشبان وتكونهم . وتدرس كل المخطوطات التي ترسل الى هيئة التحرير بعناية ، فاذا كشفت عن معرفة الواقع، وعن روح الملاحظة ، والدقة ، والصراحة ، بذلنا قصارى جهدنا لكي تنشر . وهكذا اكتشفنا مواهب كثيرة ، وتسهم في ذلك ايضا المسابقات الادبية . فالمجلة الاسبوعية « ادب وفنون » تنظم مسابقات في القصة، والشعر ، والمقال . وفي نهاية العام ، تنظم المجلات لقاءات بين المؤلفين . ويتعارف الكتاب المبتدئون والكتاب المرموقون . واحيانا ، تستمر الصداقات الناجمة عن هذه اللقاءات اعواما كاملة وتلعب دور المؤثر الملهم . وتوصي المجلة بالكتاب الشبان في المحاضرات الادبية التي ينظمها اتحاد الادباء . وبعد ان ينتهوا من هذه المحاضرات ، توكل للكتاب الشبان مهمات شتى ، ويذهبون الى مناطق مختلفة ، في الجمعيات التعاونية ، والمصانع ويسافرون الى الجبهة ويكتبون .

وتخاطب مجلة « كتابات جديدة » قراء فيتنام الشمالية ، لكنها تنشر ايضا في مناطق متحررة من فيتنام الجنوبية ، ويقرأها كذلك بعض الكتاب وممثلي المثقفين في المدن التي تسيطر عليها حكومة تيو . فقد وجد هؤلاء الناس طريقة يعبرون بها عن غبطتهم لانهم وجدوا في المجلة افكارا عن الثقافة القومية وآفاقها الرائعة .

ويندد الكتاب والفنانون التقدميون في سايجون وهويه وعديد من المدن الاخرى في الصحافة القانونية منذ سنوات طويلة بالفساد وبالمهانة والبعد عن الحقيقة ، وهي رذائل تتفاقم في الحياة الثقافية تحت نفوذ التيارات الضارة التي جلبها الاحتلال الامريكي . ويؤيد هؤلاء الكتاب والفنانون نقاء الثقافة القومية وطابعها السليم . وفي الشهور الاخيرة شارك هؤلاء الكتاب والفنانون في النضال السياسي الذي ادى الى دفع اغلبية سكان المدن الى النضال ضد ديكتاتورية نجوين فان تيو التجارية الشرسة . تتسع هذه الحركة يوما بعد يوم ، وتتطلب القضاء على نظام تيو ومن يحيطون به والاطاحة بادارة الامبرياليين الامريكيين ، تلك الادارة القاسية الفاسدة .

ويطلب هؤلاء الكتاب والفنانون استبدال هذه الحكومة باخرى تطبق سياسة السلام والوفاق القومي وتراعي اتفاقيات باريس. ويؤيد شعبنا ومعه الصحفيون والكتاب والفنانون هذا النضال العادل تأييدا حارا .

وختاما ، اود ان اؤكد مرة اخرى ان كتاب فيتنام يعتبرون انفسهم مناضلين على الجبهة الثقافية . ويجدون نضال الامة من اجل الاستقلال والتنمية على طريق التقدم مصدرا لوحيهم . لذا ، يعتبرون الصحافة الادبية عملا ثوريا هاما شأنها شأن السهم الموجه ضد العدو تماما ، او منصة كبرى تمجد الجماهير وتحثها على العمل والكفاح .

وتسمح الصحافة الادبية بتبادل الخبرة الخالقة لكي تبرز مظاهر الحقيقة كلها . انها بمثابة حقل تربى فيه المواهب الشابة . انها اخيرا نافذة مفتوحة تستنشق من جميع الجهات الهواء النقي للادب التقدمي المناضل في العالم اجمع .

بوي هين

محرر « اعمال جديدة » الفيتنامية

سرجي باروزدين

دور المجلات في الانتاج الادبي

ارجو ان استسمحكم عذرا اذ اقدم بعض المعلومات فيما يتعلق بهذا الموضوع وارتباطه ببلدنا .

ان لدى المعلومات خصائصها الذاتية اذ انها تشمل الاحصاءات. وعلى الرغم من انه يفصل بينها وبين الاداب الراقية مسافة شاسعة ولكنها تسهم بكل تاكيد في خصائصهما . ان العصر الذي نعيش فيه غير عادي وهذا ينطبق بالذات على النصف الاخير منه . وكثيرا ما ندهش نحن الذين لم نتقدم في العمر الى تلك الدرجة التي احيانا نظن اننا قد وصلناها، ندهش عندما نرى احفادنا يتعلمون مبادىء الرياضيات المتقدمة والجبر والهندسة والطبيعة والكيمياء في سني دراستهم الاولى ويتعاملون مع ارقام ومبادىء لم يسبق لنا اي دراية بها . وكثيرا ما يميل الكبار الى الاحساس بالحرج بالنسبة للصغار ، ويجب ان اتوقف هنا لاني اشعر بالاسف تجاه الصغار وربما يكون السبب في ذلك هو اني اكتب ايضا للاطفال .

هناك حقائق من الصعب ان نفهم بدونها دور مجلاتنا الادبية في النواحي الادبية ومن الصعب ايضا فهم منجزاتنا ومشاكلنا التي كثيرا ما تنعقد الا اذا حصلنا على هذه المعلومات .

يوجد ما يربو على مئة دولة وجنسية تعيش في بلدنا . واعتقد انه ان لم تخني الذاكرة فاننا ناتي بعد الهند في هذا المضمار وفي المرحلة الثانوية الاجبارية في بلدنا يتم التدريس باستخدام ست وسبعين لغة ، ونفس الشيء ينطبق على الروايات التي تكتب وتطبع بنفس العدد من اللغات .

واذا تذكرنا ان النظام القيصري السابق في روسيا تمكن من التغلب على الامية اثناء سني الحكم السوفيتي فان هذا يفسر تمتع اللغة الروسية بمكانة خاصة في بلدنا اذ ان الجميع يلمون بها — الكبار والصغار على حد السواء من جميع الدول والجنسيات . لقد اصبحت اللغة الروسية اداة من ادوات الاتصال ، وكذلك فهي اداة للاغناء الفكري بالنسبة للادب فعن طريقها تصبح افضل الانتاجات في كل لغة بما في ذلك لغات اصغر جنسية متاحة ليس فقط للقارىء الروسي الذي يشكل المجموعة العددية الكبرى ولكن ايضا للشعوب والجنسيات التي تقطن بلادنا لانهم يلمون جميعا باللغة الروسية والتي يعتبرونها لغتهم الاصلية الثانية . وينطبق نفس الشيء بالنسبة الى الادب الاجنبي بما في ذلك ادب البلدان الاسيوية والافريقية الذي ينشر باللغة الروسية على نطاق متزايد ، ويشير هذا ايضا الى نشر المجلات ، والى موضوع حديثنا ، وهو دور المجلات في الانتاج الادبي .

ويقوم اتحاد الكتاب السوفييت واتحادات الكتاب في الاتحاد والجمهوريات المستقلة ومنظمات الكتاب في المناطق والاقاليم بنشر ما يربو عن واحد وثمانين مجلة تصدر خمس وثلاثون منها بالروسية . وتنشر المجلات في اربعة عشرة لغة في جمهورية داغستان المستقلة الصغيرة .

وهذه هي المجلات « السميكة » كما ندعوها والتي تختص بالادب والمواضيع الاجتماعية والسياسية . ولدى الفئة الاخيرة اهمية خاصة اذ ان المجلات التي يصدرها كتابنا لا تعرف القراء بالادب ذاته فحسب — بما في ذلك النثر والشعر — ولكنها ايضا تلعب دوراً نشطا في حياة البلاد وفي الانتاج الادبي . ان الدعاية والنشر تمكنهم من الدخول في جميع المشاكل التي تبدا بالاقتصاد وعلم النفس والمحافظة على البيئة والعلاقات الدولية حتى العلوم والرياضة . ولا يسعني الا ان اقول ان هناك مئات من المجلات سبق واعتبرت مجلات لغير الكتاب والتي تعطى عناية غير قليلة للانتاج الادبي . ولنذكر على سبيل المثال «اوجونيك»، (النور) و « سمينا » (الجيل الصاعد) و « مولوديا جفارديا » (الحرس الشاب) و « سوفوتسكي سويوز » (الاتحاد السوفييتي) و « رابوتينسيتا » (الرواد الصغار) و « كريستيانكا » (المزارعة) و « مورزيلكا » (مجلة الاطفال) و « فيسويليي كارتينكي » (الصور البهجة) و « سوفتسكايا جنتشينا » (المراة السوفيتية) والعديد من المجلات الاخرى التي تصدر في الجمهوريات والمناطق والاقاليم ببلادنا الشاسعة ويقوم الكتاب بتحرير عدد كبير منها .

ولنعد لمناقشة مجلات الكتاب « السميكة » ودورها في الانتاج الادبي .

ويمكنني بهذا الصدد ان الجا الى خبرتي الشخصية . تعتبر مجلة « دروزيا نارودوف » (صداقة الشعوب) المجلة الناطقة باسم اتحاد الكتاب السوفييت احدى هذه المجلات « السميكة » اذ انشئت منذ خمسة وثلاثين عاما نتيجة للمبادرة التي قام بها مكسيم جوركي وتحتوي كل نسخة (تطبع بانواع عديدة من الطباعة) على ٦٢٥ صفحة .

وقد قال جوركي مرة « ان ادب جميع الجمهوريات وكذلك ادب مختلف الاجناس واللغات ياتي كوحدة كاملة امام بروليتاريا ارض

السوفييت والبروليتاريا في جميع البلاد والكتاب والاصدقاء في جميع انحاء العالم » .

وكان توزيعها ضئيلا في اول عهدها عندما كانت عبارة عن مرجع احصائي وحتى عندما تطورت واصبحت مجلة دورية شهرية ارتفع توزيعها تدريجيا من ٢١٠٠٠ الى ٣٦٠٠٠ نسخة ثم من ٦٠٠٠٠ حتى ١٠٠٠٠٠ نسخة ويصل رقم توزيعها الحالي الى ٢٠٠٠٠٠ نسخة ويمكن الحصول عليها اساسا عن طريق الاشتراك لان عددا محدودا جدا منها يعرض للبيع .

والسؤال هو كيف تساهم المجلات في الانتاج الادبي ؟ يتم ذلك اولا عن طريق نشر احسن الاعمال في النثر والشعر والانتاجات الادبية الاخرى . ولقد اصبح طبع افضل الانتاجات الادبية في المجلات قبل ان تطبع في صورة كتب تقليدا قديما ، ولهذا الامر ثلاث ميزات بالنسبة للادب وللقارىء وللمؤلف . فاولا تقدم المجلة للقارىء عملا جديدا في فترة زمانية اقل ثم تتم مناقشة العمل على نطاق واسع بين القراء والدوائر الادبية فور طبع العمل ، وهذا من شانه ان يمكن الكاتب من التعرف على الطريقة التي قوبل بها عمله ويعالج نقاط الضعف فيه اذا كانت موجودة وذلك قبل ان يصدر العمل نهائيا في صورة كتاب واخيرا يتمكن الكاتب من طبع العمل عن طريق المجلة من النظر الى انتاجه بطريقة شبه موضوعية ، هذا بخلاف الميزات المادية اذ يستلم اجرا مضاعفا من ناشري المجلة ومن دار النشر .

ولقد ساهمت مجلة « دروزبا نارودوف » (صداقة الشعوب) في اعطاء عدد كبير من الكتاب الذين اصبحوا معروفين خارج حدود البلاد دفعة في بدء حياتهم الادبية عبر الخمسة والثلاثين عاما من حياتها الطويلة . واني اخص بالذكر اولئك الكتاب الذين ظهرت اعمالهم لاول مرة باللغة الروسية على صفحات هذه المجلة بالذات . ومع اخذ امكانية ضعف الذاكرة في الاعتبار فاني اذكر اسماء دافيدكوجيولتيوف من اقليم كاليك وجنكيز ايتماتوف من اقليم كيرجيزتان ورسول حمزاتوف من اقليم افاريا وميخائيل ستلماك من اقليم اليوكريسن وجوناس افيزيوس من اقليم ليتوانا وجوهان سميبول من اقليم استونيا ومستاي كريم من اقليم باشكريان وقيسين كوليف من اقليم البلقان وايفان ميليز من اقليم روسيا البيضاء وجريجوري فيرو من اقليم مولدافيا وعالم كيشوكوف من اقليم كاباردنا واسكاد مختار من اقليم اوزبكستان وجينكز جوزينوف من اقليم اذربيجان وجرانت ماتيفوسيان من اقليم ارمينيا . ولم اذكر اسماء كتاب اخرين معروفين بما في ذلك الكتاب الروس الذين نشرت اعمالهم لاول مرة في مجلتنا .

واني اود ان اؤكد ان هذا قد يكون ما يميز مجلتنا عن الدوريات الادبية (السميكة الاخرى) . ان غالبية الكتب المترجمة التي تمثل ادبنا المتعدد الجنسيات تنشر لاول مرة في اللغة الروسية على صفحات مجلة « دروزبا نارودوف » وان تلك الاعمال التي تستحق ان تعرف على المستوى الوطني والشعبي تتاح لها هذه الفرصة عن طريق نشرها باللغة الروسية ، وانه لامر معروف أن غالبية المجلات « السميكة » الاخرى ابتدات تنشر اكثر من قبل الاعمال المترجمة للكتاب من الجمهوريات الروسية . ان ادابنا الوطنية اليوم لا تحتاج الى تاييد خاص (باستثناء الكتاب المبتدئين) لقد وصلت الى درجة من النضج تسمح لها ان تنافس افضل الاعمال الادبية في العالم . ونخص بالذكر المجموعة الثلاثية باسم « الدم والعرق » التي كتبها ابي جميل نور بيزوف من اقليم الكازاك ورواية « البيت المفقود » التي كتبها جوناز افيزيوس من اقليم ليثوانا . ويسرنا كثيرا ان هذه الاعمال الممتازة من الادب السوفيتي والعالمي قد نشرت في مجلتنا على الرغم من انه يمكن القول انه كان من الممكن ايضا ان تنشر في اية مجلة دورية سوفيتية اخرى .

ويوجد اليوم قسم خاص لمجلتنا يسمى « الأسماء الجديدة » حيث تنشر اعمال الكتاب والشعراء الناشئين من مختلف الجمهوريات. واننا نعتقد ان هذه مسالة مبشرة بالخير ومن شانها ان تحدد مستقبل مستوى ادبنا السوفيتي المتعدد الجنسيات .

اني اعتقد ان افضل تطبيق عملي للمساهمة في الانتاج الادبي الحي هو ان تقوم المجلة بنشر اي عمل ذي شان لاول مرة والذي سيصبح موضوع مناقشة وسيحكم عليه القراء والنقاد .

ان للمجلة خصائصها لأنها كيان معقد محبوب ليس فقط لانها تنشر أفضل الاعمال القيمة في النثر والشعر ولكنها كما سبق القول تقدم فرصة للنشر والنقد نتدخل بهما في الحياة .

واني اود ان اتحدث في كلمات قليلة عن المساهمة المباشرة الحالية في الانتاج الادبي ، واشير في هذا الصدد الى الاقسام التي تظهر بانتظام عن « النقد » و « البيلوجرافيا » واني اعتبر هذه اكثر الاقسام عدوانية اذ بينما على المرء ان يقوم بقراءة فاحصة ومتأملة كي يمكنه من اصدار حكم على قصة او مقطوعة شعرية او مجموعة من الابيات او تصوير فني حقيقي فان كل شيء يصدر في قسمي « النقد » و « البيلوجرافيا » بسيط ومعقد في نفس الوقت لاننا نقيم فيها الكتب التي تستحق المدح وتلك التي لا قيمة لها وكذلك الادب ذو القيمة البسيطة والكتابات الفنية . اننا نقوم هنا بالحكم على ادب باكمله مثل الادب الطاجيكي والادب الاستوني ونقارنهما بعينات اخرى من الادب منها الافضل ومنها الاقل قيمة .

واني اعتبر هذه المسالة مساهمة عملية في الانتاج الادبي .

ومن الصفات المميزة لمجلة « دروزبا نارودوف » انه ابتداء من عام ١٩٥٧ بدانا ننشر بانتظام سلسلة من الكتب (خمسة عشر مجلدا) كملحق سنوي للمجلة . وهذه عبارة عن روايات وكتابات قام باعدادها كتاب من مختلف الجمهوريات . ولقد نشر حتى الان ما يربو على ثلاثمائة مجلد وستكون هناك اضافات بطريقة منتظمة ، وهذا ايضا بمثابة مساهمة في النواحي الادبية لاننا نوزع ما يقرب من مائة الى ثلاثمائة نسخة من كل مجلد من سلسلة الملاحق هذه .

ولننتقل الان للتحدث عن كيفية عبور دورياتنا حدود ادبنا المتعدد الجنسيات على الرغم من انه يوجد لدينا ما يكفينا من المشاكل والتعقيدات . لقد ظلت مجلتنا تحتفظ بروابط الصداقة مع الدوريات في الدول الاشتراكية ، وهذا يشمل تبادل افضل اعمالنا الادبية . وعلى سبيل المثال فان مجلة « دروزبا نارودوف » تخصص مكانا في اعدادها الشهرية لمواد مأخوذة عن المجلة « سيمتيمفري » البلغارية تحتوي على مقالة يكتبها رئيس تحريرها عن تاريخ المجلة وحياتها الحالية وافضل الانتاجات في النثر والشعر والتصويرات والنشر والنقد والبيلوجرافيا . وتقوم مجلة « سيمتيمفري » بدورها بنشر مواد مشابهة تتعلق بمجلتنا . ولقد قمنا بمثل هذه المبادلات مع الدوريات في بولندا وجمهورية المانيا الديمقراطية ورومانيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وكوبا ومنغوليا وسنستمر في هذا التبادل مستقبلا .

ولقد قمنا بنشر اعمال لكتاب من اسيا وافريقيا وسنظل على هذه السياسة . وفي احد الاعداد قمنا بتعريف القارىء باعمال الشعراء من موزمبيق وجزر الراس الاخضر والجزائر وسوريا وفلسطين والهند وبنجلادش وسبق ان نشرنا بعض النتاج الشعري لشعراء من السنغال ، وغني عن القول ان اعمال الشعراء السوفييت الذين يمثلون الجزء الاسيوي عن بلادنا تنشر بالمجلة .

وبما انه من غير الممكن الالمام بجميع اللغات التي يكتب بها ادبنا فقد يتبادر الى الاذهان السؤال عن كيفية اختيار المحررين السوفييت للاعمال لنشرها ، ولكن هناك طرق متعددة لمواجهة هذه المشكلة . فاولا لدينا موظفون يجيدون اللغات اليوكرانية ولغة روسيه البيضاء واللغة الارمنية وهم على دراية دائمة بالتطورات في اداب هذه الجنسيات وكذلك يقوم اعضاء هيئة التحرير بالتنقل الكثير عبر الجمهوريات وهناك يتعرفون على الاعمال الجديدة التي نشرت والمناقشات التي تمت وانفعالات القراء تجاهها .

وهناك ايضا معهد للمستشارين الذين يهتمون بالادب الذي ينتجه كتابنا وهم يعملون مع اتحاد الكتاب السوفييت ويتمكن هؤلاءالاخصائيون من قراءة الاعمال الادبية في لغاتها الاصلية ويساعدوننا بتقديم المشورة والتوصيات .

ويعمل تسعة من بين الستة وعشرين عضوا في مجلس تحرير المجلة في تحريرها . ويمثل بقية الاعضاء الذين لا يعملون كموظفين بالمجلة الادب الذي ينتجه اشقاؤنا الادباء في الاتحاد السوفييتي وهم ممثلونا الدائمون الرسميون في الجمهوريات الوطنية .

وهناك بطبيعة الحال الكتاب انفسهم الذين يمدوننا بانتاجهم بصفة دورية اذ كما سبق واشرت فان جميع كتابنا يلمون بالروسية ويعتبرونها لغتهم الام الثانية . وهم يقدمون اعمالهم بعد ترجمتها الى الروسية او يقومون بترجمتها الى اللغة الروسية وطبعها بين السطور المكتوبة بلغتهم الاصلية . وبطبيعة الحال فانه من الممكن الحكم على العمل الممتاز حتى ولو وضعت ترجمته بين السطور والتي عادة ما يقوم كاتبها بترجمته بنفسه .

وبذلك فنحن على دراية مستمرة باحدث الاعمال الادبية .

وقد يثار السؤال المعقد جدا عن عملية الترجمه . وباختصار شديد فان هذه العملية تتم من ناحية بمعرفة الكتاب الذين لديهم المام باللغة الاصلية التي كتب بها العمل الادبي ، ومن ناحية اخرى فان كبار الكتاب الروس يقومون بالترجمة من تلك المطبوعة بين السطور لانهم يعتبرون هذا واجبا دوليا عليهم . وبطبيعة الحال فان الترجمة المطبوعة بين السطور لا تمثل افضل انواع الترجمات ولكن لا بد من الاعتراف باننا لا نملك ان نغير هذا الوضع كثيرا اذ لا تزال من الاشكال الضرورية لترجمة ادبنا المتعدد اللغات وتشجيع التبادل الادبي بين الدول . ويمكننا القول انا نتغلب على نقط الضعف فيها بالعمل على توثيق علاقة العمل بين المؤلف والمترجم اذ عادة ما يرسل مجلس التحرير المترجم الى المؤلف (ويتحمل المجلس كافة التكاليف) وبذلك يمكنه ان يعمل بالقرب من المؤلف ويستخدم مشورته بالنسبة لكل كلمة وللترجمة المطبوعة بين السطور . ومن المهم ايضا ان تتاح للمترجم الفرصة كي يتشرب الجو الذي ادى الى خلق العمل الذي يقوم بترجمته . كذلك فانه يتمكن من دراسة عادات وتقاليد الناس المحليين ويراقب كل شيء بنفسه . وبطبيعة الحال فمن شان هذه العملية ان تحفظ للعمل المترجم صبغة العمل الادبي الوطنية .

وبوسعي ان اقدم العديد من الامثلة التي تبرهن على مثل هذا النظام ، ولكني ساكتفي بمثالين فقط يختص احدهما بالشعر والاخر بالنثر .

لقد قام الشاعر الروسي العظيم فلاديمير كوستروف برحلات عديدة عبر الجمهوريات المستقلة الموجودة في منطقة الفولجا حيث ولد، وتحملت مجلة « دروزبا نارودوف » تكاليفها وقامت المجلة بطبع قصيدتين قام هو بكتابتهما وكذلك طبعت ترجمته لقطع شعرية كتبها شعراء ناشئون من مقاطعات معاريا والشوفاش وموردفينيا والتاتار .

وهناك مثال اخر يتمثل في ترجمة ثلاثية الكاتب ابيجميل نوربيزوف « الدم والعرق » التي نشرتها مجلة « دروزبا نارودوف » والتي اصبحت حدثا ادبيا وطنيا وعالميا . فلقد حصلت على جائزة الدولة في الاتحاد السوفيتي ونشرت في الولايات المتحدة وبريطانيا وجمهورية المانيا الاتحادية وفي كثير من الدول الاشتراكية حيث قوبلت باستحسان كبير . ولقد قام بترجمة هذا العمل الادبي الكاتب الروسي المعروف يوري كازاكوف الذي قضى وقتا طويلا في كازاخستان حيث يقيم مؤلف « الدم والعرق » مع ان كازاكوف من ابناء مدينة موسكو . وهذا بمثابة مثال للترجمة الناجحة على الرغم من ان الترجمة المطبوعة بين السطور قد استعملت .

وينطبق كل ما قلته عن مجلة « دروزبا نارودوف » بنفس القدر على اي من مجلاتنا الادبية الواحدة والثمانين .

سرجي باروزدين

رئيس تحرير « دروزبا نارودوف » السوفياتية

صلاح عبد الصبور

المجلات الأدبية والأبداع الأدبي

في بلاد كبلادنا يتميز دور المجلة الثقافية من نواح عدة ، اذ ان عادة القراءة كوسيلة لاكتساب وجهة النظر والخبرة بالحياة لم تتأصل بعد . فاذا كانت كثير من مجتمعاتنا قد درجت في تقاليد حياتها السالفة على ان تكتسب ثقافتها شفاها وتناقلا ، فان دخول التعليم العام بمناهجه وشيوعه لم يتأصل بعد . ولقد كانت الاذن في كثير من مجتمعاتنا الافرو اسيوية هي وسيلة تلقي المعلومات . وعندما شاع استعمال الحرف المطبوع برزت « العين » كأداة اولى . ولكن الكتاب لم يتأصل بعد، نتيجة لظروف عدة ، من اولها عدم وصول الطباعة الى المستوى التكنيكي الذي يجعل من الكتاب سلعة متوافرة ، وهنا تقوم المجلة بدور الرائد والموجه الى اكتساب عادة القراءة، ثم اكتساب عادة اقتناء الكتب بعد ذلك .

ان المجلات عندئذ هي التي تقود التغير الثقافي ، وهي التي تبشر بالقيم الجديدة في مجالات الحياة والادب والفن ، بل وفي مجال تغيير المجتمع بالعمل السياسي . ولدينا في ذلك تجربة في مصر . فلقد نشرت كتابات كبار رجالها الاصلاحيين والثوريين في المجلات موزعة على صورة مقالات اولا ، فاكتسبت بذلك وجودا اشمل واعمق من وجودها في كتاب ... ولعلنا نذكر ادوار مجلات « السياسة الاسبوعية » و « البلاغ الاسبوعي » في اعقاب ثورة ١٩١٩ ، حين حاول المجتمع المصري أن يجدد من انماط حياته واساليبها بالفكر بعد ان حاول تغييرها بالعمل الثوري في اتون الثورة . فلقد كتب محمد حسنين هيكل وطه حسين وسلامة موسى والعقاد وغيرهم مقالاتهم التي جمعت من بعد في كتب في هذه الدوريات والملاحق الاسبوعية .

ولعلنا بعد ذلك نذكر ادوار المجلات الثورية والاصلاحية التي عرفتها مصر قبل يوليو ١٩٥٢ ، وكانت عندئذ ترفع صوتها بضرورة تبني القيم الجديدة في مجالات الفكر والعمل السياسيين احيانا ، وفي مجالات الادب والابداع الفني احيانا اخرى .

والواقع ان حياة الكتاب لا تزدهر في المجتمعات النامية بدون حياة المجلة الثقافية ، بل ان حياة الادوات الفنية الاخرى كالمسرح والسينما والتشكيل لا تكتمل وتزدهر وتؤتي ثمارها بدون المجلة الفنية والفكرية. فالمجلة هي العين الناقدة التي تميز بين ما هو جاد اصيل وما هو منحرف عن القصد او مترد في وهدة السوقية والاثارة الباطلة .

وثمة وجه اخر من وجوه حياتنا الثقافية في بلداننا النامية . ذلك هو التوفيق بين التيارين الرئيسيين من تيارات التقدم ، وهو تدعيم التراث وتنميته وكشف ما هو جدير بالبقاء والتجدد فيه مع الانفتاح على الحضارة المعاصرة . ففي ادب كأدبنا العربي نجد ان فنونا مستحدثة في بلادنا ، او بالاحرى مستنبتة تحاول ان تشق طريقها، مثل فنون المسرح والرواية . وهي فنون لم يعرفها تراثنا العربي . وواجب المجلة عندئذ ان تحاول دائما بحاستها النقدية اليقظة توضيح القيم الحقيقية لهذه الفنون، وبسط ملامحها الجمالية والفنية للقارىء ، مع محاولة تطويع هذه الاشكال والقيم ـ التي هي ليست جامدة أو تحكمية ـ تطويعها للقارىء الافروآسيوي المعاصر . ولسوف اتكلم الان من منظور شخصي يوضح أبعاد هذه المهمة .

لقد توليت تحرير مجلة للمسرح في مصر زمنا ما ومجلة للشعر زمنا اخر . وكانت مهمتي دائما في مجلة المسرح ان احفظ التوازن بين التجربة المحلية والتجربة العالمية . كانت مهمتي ان افسح مجالاً لمسرحنا الناشىء نقدا وتقييما الى جوار الحديث عن مسرح المجددين من امثال بريخت وادامو ف وجان جينيه ويونسكو وغيرهم . وكانت مهمتي ايضا ان احاول ادماج تراثنا المسرحي المعاصر نقدا وتذوقا في هذا التيار العالمي المتدفق دون ان نفقد مواطىء اقدامنا ونقطة انطلاقنا كفنانين مصريين عرب معاصرين ، ننتمي الى هذا العالم الثالث في فننا وثقافتنا وتراثنا .

اما في الشعر فقد كانت الامور اقل يسرا. ان الشعر هو فننا التقليدي ، وقد خضع لما خضعت له كل الاداب القديمة الكلاسيكية او بالاحرى الاداب التي تنهل من تيارها ـ خضع للجمود والتقليدية . وقد نشأت في بلادنا في السنوات الاخيرة حركة تجدد في الشعر صياغة ومضمونا . وكان من واجبي ان ادعو لهذه الحركة ، ولكن دون ان اقف بها نقيضا ومعاديا لحركة الشعر العربي الكلاسيكي كله . اذ انني بذلك اقطع الصلة بالتراث، وذلك ما لا يرضاه لنفسه كل محب صادق للادب أو للحياة .

والان . نريد ان نخرج من هذه الندوة بعهد نقطعه على انفسنا ، وهو ان نتبادل نحن محرري المجلات الادبية خبراتنا هنا ، ثم نتبادل ابداعنا الادبي بعد ذلك بحيث يحس كل منا بنبض الاخر من خلال فنه وابداعه . فقد يكون ذلك ايسر من ان نتبادل الكتب الكبيرة التي قد نلقيها بجانب فراشنا منتظرين الفرصة التي قد لا تسنح لكي نقرأها .

واظن اننا عندئذ سوف نكون اقدر على ان يفهم كل منا الاخر ... ويقف معه في قضاياه العادلة ... في الفن ... وفي الحياة .

صلاح عبد الصبور

رئيس تحرير « الكاتب » المصرية

د . ميشال عاصي

دور المجلات الادبية اللبنانية في الخلق الفني والابداع

١ ــ يحتل لبنان في حقلي الصحافة والادب مكانة عالية ترقى في الزمن الى بداية اليقظة العربية في القرن الماضي ، وما تزال مستمرة حتى وقتنا الحاضر .

والحضور اللبناني في الادب والصحافة ليس ادعاء ندعيه . وانما يجد تعبيره الملموس في اسماء الرواد الكبار من مؤسسي الجرائد والمنشورات الصحفية الاولى في البلاد العربية وخارجها . ويتجسد في مجمل النشاطات الصحفية التي كان للبنانيين دور بارز في اذكائها خلال المراحل التي مرت بها نهضة العرب الحديثة منذ بدايتها حتى اليوم . كما يتجلى ، في شكل ظاهر ، باسماء الكتاب اللبنانيين في مختلف حقول الانتاج ، وبآثارهم الفنية في شتى انواع الادب والفكر والثقافة .

٢ ــ ولعل الاسباب التي تجعل من لبنان بلدا تجاريا واقتصاديا مرموقا ، هي نفسها التي تجعل منه في الوقت نفسه بلدا للتفتح الادبي والثقافي بوجه عام . فموقعه الجغرافي وطبيعته ، وميراثه الحضاري، وتكوينه الاجتماعي التعددي ، والحرية السياسية النسبية التي يتمتع بها اللبنانيون ، كلها عوامل مسعفة على دفع اللبنانيين الى تحقيق المبادرات الخلاقة في شتى ميادين المعرفة والتعامل التجاري والاقتصادي الواسع .

على ان هذه الصورة للوضع الثقافي والاقتصادي في لبنان لا تكتمل اذا لم نلاحظ ، ضمن هذا الاطار العام ، الصراع الذي خاضته دائما ، وتخوضه في استمرار ، قوى الانتاج النامية ضد كل ما يعيق تطورها على الصعيدين المادي والايديولوجي من علاقات انتاجية متخلفة وما يلازمها من بنيات ثقافية مستنفدة ومفاهيم ذهنية متحجرة .

واذا كان من شان التاريخ السياسي للشعب اللبناني ان يروي وقائع النضال الذي خاضته جماهير هذا الشعب ، منذ بداية النهضة الحديثة حتى اليوم ، في سبيل تحرره ومن اجل نظام سياسي ــ اقتصادي ــ اجتماعي اكثر عدالة وانسانية ، فان من مهمات تاريخ الادب ان يبرز الدور الذي لعبه الكتاب والمثقفون الطليعيون في صياغة مفاهيم التغيير ، وتهيئة الاذهان وتعبئتها بالوعي اللازم لتحقيق التطور المرجو .

٣ ــ على ان ما يهمنا هنا الان هو رسم الخطوط الكبرى للدور الذي قامت به المجلات الادبية اللبنانية في عملية التغيير ، وبصورة اخص ، في مجال الخلق الفني والابداع الثقافي . اما دور المجلات الادبية اللبنانية في التغيير التاريخي ، وفي النضال من اجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، فهو دور اساسي يواكب ما بذلته المجلات الادبية عندنا في ميدان الثقافة ، وهو موضوع يقدمه الى هذه الندوة احد اعضاء اتحاد الكتاب اللبنانيين في بحث مستقل على حدة .

فماذا اذا عن دور المجلات الادبية اللبنانية في مجال الخلق الفني والابداع الثقافي ؟

لن احاول هنا اثبات جدول زمني تاريخي للمجلات الادبية التي صدرت عندنا وتعاقبت على الظهور منذ حوالي منتصف القرن الماضي حتى يومنا الحاضر . فهذا شأن مؤرخي الادب والصحافة . فضلا عن ان مثل هذه اللائحة موفورة في اكثر من كتاب ، وعني بها اكثر من باحث ومؤرخ (١) . انما يهمني بصورة عامة التاكيد على ابراز دور المجلات الادبية اللبنانية في العمل على تجاوز الواقع المتخلف لادوات التعبير ، والاشكال الفنية والجمالية ، في ميادين الابداع الاساسية، والتنويه باهم المساهمات التي قدمتها ابرز مجلاتنا الادبية على امتداد تاريخ النهضة الصحفية والثقافية عندنا .

ولعل اول ما يجب التنويه به على العموم هو ان الاهتمامات الادبية كانت منذ البداية وظلت الى زمن غير بعيد في رأس الاهتمامات الصحفية لمعظم المنشورات الاعلامية اللبنانية سواء اكانت هذه المنشورات جرائد ام مجلات دورية . وما يزال الاهتمام الادبي ملحوظا في شكل بارز حتى بعد ان سلكت صحفنا طريق التكنولوجيا الاخبارية والاعلامية، وما يزال للادب في صفحاتها مكانة مرموقة ، بالاضافة طبعا الى عدد لا باس به من المجلات الادبية المتخصصة ذات النفوذ والانتشار .

وما من شك في ان وراء هذه الظاهرة ، ظاهرة الاهتمام الادبي في الصحافة اللبنانية ، عوامل عدة تعود اصلا الى الثقل الادبي في الارث الفني والثقافي للحضارة العربية ، والى رسوخ هذا الارث في وجدان اللبنانيين ، وفي مناخاتهم النفسية والجمالية .

٤ ــ واذا ما تجاوزنا هذا المدخل العام للموضوع كي نستعرض الخطوط الكبرى للدور الخاص الذي قامت به مجلاتنا الادبية في مسائل الخلق الفني والابداع ، تبين لنا ، في اجمال ، ان هذا الدور ، عبر العديد من المجلات الادبية ، وعبر عشرات السنين من الزمن ، قد تحقق في اتجاهين متوازيين ، اتجاه التفكير النظري ، واتجاه الممارسة التطبيقية في مجالات التجديد الادبي والخلق الفني

(١) راجع مثلا فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٩١٣ .

والجمالي . وقد تبدو اهمية هذا الدور كامنة في القضايا الاساسية التي ما انفكت المجلات الادبية عندنا تطرحها حول اللغة والادب والفن والمجتمع ، وتخوض في هذا السبيل معارك حقيقية ، وتحاول في الوقت نفسه ان تبدع المنجزات النثرية والشعرية التي تجسد مفهومها الابداعي لما تدعو اليه وتنشط من اجل تحقيقه .

٥ ـ وقد يمتد بنا الكلام كثيرا ، ويتشعب الى غير طائل ، اذا نحن حاولنا ان نتتبع في تفصيل المشاركات الثمينة التي نهضت بها في مجال الخلق الفني والابداع الثقافي كل مجلة على حدة من المجلات الادبية التي بزغت في الساحة اللبنانية ، او التي تعهدت اصدارها خارج لبنان ، اقلام لبنانية ، خلال النصف الثاني من القرن الماضي والنصف الاول من هذا القرن ، سواء في العواصم العربية ، او في البلاد الاوروبية او في المهاجر الاميركية وغيرها .

لذلك يمكن الاكتفاء هنا فقط بالاشارة الى القضايا التي تركز حولها النشاط الصحفي الادبي ، خلال تلك المرحلة ، والصراع الذي خاضته طلائع كتابنا من اجل التقدم الثقافي والابداع الادبي والفني ، وكانت ابرز المجلات الادبية حلبته الواسعة وميدانه الفسيح .

لا شك في ان اول اهتمامات الخلق الفني والابداع كان الاهتمام باحياء اللغة بعد الجمود الذي اعتراها اثناء عصور الانحطاط الطويلة. فاللغة هي الاداة الاولى للتعبير الادبي والفني ، وقد كانت في امس الحاجة الى انتشالها من مهاوي الركاكة والهزال . ومن هنا نرى ان التركيز على احياء اللغة العربية واغنائها بالمصطلحات اللازمة للتعبير عن الحاجات الجديدة كان هدفا اساسيا لكتاب الدور الاول والثاني لعصر النهضة ، كما كان في الوقت نفسه غاية كبرى من غايات المجلات الادبية التي اصدرها اللبنانيون خلال تلك المرحلة . ومن يتصفح بعضا من تلك المجلات ، واقدمها ، كمجلة الجمعية السورية (١٨٥٢) ، ومجلة « الجوائب » (١٨٦٠) ، ومجلة « مجموعة العلوم » (١٨٦٨) ومجلة « الجنان » (١٨٧٠) و « الجنة » (١٨٧٠) و « ثمرات الفنون» (١٨٧٥) وغيرها ، يدرك اي اهتمام كانت جميعها توليه لمسائل اللغة على اختلافها . واذا كان طريق الابداع في اللغة اذ ذاك يعني تحريرها من الركاكة ، وتحريرها من قوالب التبعية الزخرفية والكليشهات الموروثة ، والقوالب الجامدة ، فان الطريقة التي اختطها بطرس البستاني في مجلتيه « الجنة » و « الجنان » ، واحمد فارس الشدياق في « الجوائب » كانت هي طريق الابداع لاعتمادها على السلامة والعفوية ، ولابتعادها عن الركاكة والتصنع . وبهذا تكون صحافتنا الادبية قد اضافت الى مآثرها العديدة مأثرة الاسهام في البحث اللغوي، وهو جانب اولي هام من جوانب الخلق والابداع .

٦ ـ والى جانب الاهتمام باستحداث لغة جديدة ، طيعة وثقية ، تستجيب لدواعي الحاجات الطارئة والتعبير المعافى ، سعت مجلاتنا الادبية الى تطوير الانواع الادبية الموروثة ، واغنائها بانواع جديدة غير مألوفة تماما في التاريخ الادبي العربي . وكان من جراء هذا السعي ان ولد فن المقالة على اختلاف موضوعاتها واغراضها ، ونما الفن القصصي وقامت قواعده على اساس ما بلغته تجارب الغرب من معاناة انسانية وتقنية اسلوبية خاصة في هذا الفن . وليست التجارب القصصية التي قدمتها مجلاتنا الادبية في النصف الاول من هذا القرن والنصف الثاني من القرن الماضي سواء كانت اقتباسا ، ام نقلا ، ام تأليفا ، سوى مشاركة اولية في سبيل خلق فني وابداع ادبي ناشط ومتقدم .

٧ ـ واذا كان العمل في سبيل الابداع الفني لا يتم في عزلة تامة عن العمل في سبيل الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية والتقدم الثقافي والعلمي فان الجهود التي بذلتها المجلات الادبية اللبنانية وبصورة اخص المجلات ذات النزعة التجديدية ، والاتجاه الوطني التقدمي ، كانت اذ ذاك خير رافد يصب في نهر الابداع ، وريحا مؤاتية تحمل شراع الخلق في مغامرته عبر المجهول الى موانيء جديدة مشمسة .

٨ ـ ولسنا في حاجة الى التذكير بالمجلات الادبية اللبنانية ، او التي انشاها وادارها لبنانيون بعيدا عن ارض الوطن الام ، قبل الحرب العالمية الاولى ، وبعدها اثناء فترة الانتداب ، وبدور تلك المجلات في التجديد الادبي والفني ، في لبنان او في مصر ، او في الاميركيتين ، وبالاثر البالغ الذي كان لها في حمل صوت الادباء الناشئين والمبدعين، في المقالة ، وفي الشعر ، وفي القصة ، وغيرها من حيث انها عملت على تلقيح الذائقة الادبية العربية بالوان من المضامين ، والاساليب ، والانواع ، والابعاد الجمالية والفكرية الحديثة ، التي راجت في الغرب ، ولم يالفها العرب كثيرا قبل ذلك الحين .

ويكفي ان نذكر هنا ، من بين تلك المجلات ، « الضياء » للشيخ ابراهيم اليازجي ، اضافة الى « مقتطف » يعقوب صروف و « هلال » جرجي زيدان في مصر ، ومنابر الرابطة القلمية ، والعصبة الاندلسية، في المهجر ، حيث تالقت اسماء المجددين المبدعين ، وفي طليعتهم جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمه وامين الريحاني ، وسواهم ممن ترتبط بذكرهم حركة الادب المهجري الخلاقة .

واذا كان المجال لا يتسع هنا لتعداد مختلف المنابر الادبية التي اسهمت في تنشيط حركة الابداع الفني ، بعد الحرب العالمية الاولى وخلال فترة الانتداب ، فلا اقل من ان نشير الى مجلة « المكشوف » التي اسسها المرحوم فؤاد حبيش واسهمت في تحريرها في اواخر الثلاثينات نخبة من ابرز شعرائنا وادبائنا وكتابنا اذ ذاك ، وكانت « المكشوف » عهدئذ اكثر المجلات الادبية انفتاحا على الجديد ، في الفكر والادب ، واوفرها نشاطا واكثفها حضورا وفعالية على ما اعتقد. من غير ان ننسى بالطبع دور المجلات الادبية الاخرى ، ودور الزوايا الادبية للصحف السياسية اذ ذاك في اغناء النشاط الثقافي والابداعي، كمجلة « الفرائس » (١٩٢٤ ـ ١٩٤١) لعبدالله حشيمه ، ومجلة « المشرق » للآباء اليسوعيين ، وجريدة البرق ، للاخطل الصغير ، وغيرها من المنشورات ذات الاتجاهات التجديدية المختلفة ...

٩ ـ واذ نصل هنا الى مرحلة ما بعد الاستقلال ، منذ بداية الاربعينات حتى يومنا الراهن ، تطالعنا فترة تاريخية من اخصب الفترات ، واكثرها تداخلا وتعقيدا ، واشدها صراعا بين التناقضات على مختلف المستويات السياسية والاجتماعية والايديولوجية .

وقد كان للمجلات الادبية ، في هذه المرحلة ، دورها الهام في الصراع الثقافي بين الافكار ، وفي الصراع الفني بين الاساليب والاتجاهات المختلفة والمتنوعة .

واذا نحن استبعدنا من حقل النظر العدد الكبير من المجلات الادبية الصادرة في لبنان ابتداء من السبعينات واواخر الستينات ـ وهي مجلات يختص كل منها بسمات فكرية وفنية متمايزة فيما بينها ، ويتعذر اطلاق اي حكم على دورها في موضوع الخلق الفني قبل مرور وقت كاف على نشاطها ـ اذا نحن استبعدنا من حقل النظر هذا العدد الكبير من المجلات الادبية الجديدة لا يبقى امامنا من المجلات التي اثبتت قدرتها على البقاء ، وكان لها اثر فاعل في الحياة الثقافية عندنا ، وفي البلاد العربية ، غير عدد قليل لا يتجاوز خمسا او ست مجلات على الاكثر .

١٠ ـ وفي طليعة هذه المجلات تاتي مجلة « الطريق » التي اسسها المرحوم المهندس انطون تابت عام ١٩٤١ لتكون صوت المناضلين الوطنيين، والكتاب الثوريين في لبنان ، ولتكون اداة للصراع الفكري والايديولوجي ضد مختلف اشكال الاستغلال والقمع والعدوان ، التي تمارسها الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية على جماهير الامة العربية ،

وعلى حقوقها الوطنية ، وكيانها القومي ، وحقها بالحرية والعدالة والتقدم .

وقد لعبت « الطريق » وما تزال دورا اساسيا وبالغ الاهمية لا في المجالات السياسية والاجتماعية والايديولوجية فحسب ، بل في قضايا الخلق الفني ومفاهيم الابداع الادبي والجمالي ايضا .

فمن على صفحاتها انطلقت في الاربعينات وما بعدها مفاهيم الالتزام الادبي واثيرت قضايا الابداع الجمالي في الشعر والفن . وانطرحت قضايا الواقعية واتجاهاتها الابداعية . كما اثارت «الطريق» قضايا التراث والتجديد والمعاصرة ، وقضايا علم الجمال وغيرها من المسائل التي تدخل في مقومات عملية الخلق الفني والابداع الثقافي والادبي . ولئن استقطبت « الطريق » عددا كبيرا من كتاب لبنان ، والبلاد العربية ، المشهورين ، فانها ما تزال اليوم ، بالاضافة الى من بقي على قيد الحياة من هؤلاء ، تستقطب جيلا جديدا من الكتاب الناشئين ذوي النظرة الدقيقة والفكر التقدمي المنهجي فضلا عن جيل جديد من الشعراء والفنانين الحديثين في انواع الادب المختلفة .

١١ – وتأتي مجلة الاداب ، التي اسسها الدكتور سهيل ادريس عام ١٩٥٣ ، لتقف في الخط الوطني والقومي للثقافة العربية في لبنان ، ولتمثل دورا هاما في ترسيخ هذا الخط وتعميق ملامحه في الادب على انواعه ، ولتحتضن مواهب عربية ناشئة وتفتح لها دروب التقدم والمساندة ، وتحمل راية الدفاع عن حرية الادب والادباء العرب المضطهدين حيثما كانوا ، وتسهم بدورها في عملية الخلق الفني ، مواضيع ، وانواعا ، واساليب ، وتكون همزة وصل بين ماض وحاضر، وبين الادباء العرب على امتداد رقعتهم واتساع آفاقهم .

١٢ – ومن المجلات الادبية التي ما تزال تصدر حتى اليوم ، والتي كان لها تأثير خاص في مجال الخلق الفني في الادب ، واستقطبت عددا وافرا من الكتاب على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، مجلة « الاديب » التي اسسها البير اديب عام ١٩٤١ لتكون منبرا للتجديد على غير تشدد في الالتزام الثقافي والايديولوجي . وقد لعبت هذه المجلة لمدى طويل دورا مؤثرا في تطوير الاساليب والاشكال الفنية في مختلف انواع الادب . الا انها تلتزم منذ حين جانبا من الحيادية والاتباعية يدفع بها الى مناطق تجعلها في حكم اللامجدية او اللامؤثرة فكريا وجماليا .

١٣ – وليس يستطيع الباحث في فترة ما بعد الاستقلال وحتى نهاية الستينات الا ان يتوقف عند ثلاث مجلات ادبية ظهرت في اوقات متباعدة واحتجب بعضها عن الظهور وبعضها يعاني من صعوبات قد تضطره الى الاحتجاب نهائيا . عنيت بها مجلة « الحكمة » ومجلة شعر (١٩٥٧ – ١٩٦٩) ومجلة « مواقف » (١٩٦٩) .

اما مجلة « الحكمة » فقد حملت لواء المدرسة اللبنانية في الادب . وهو الاتجاه الذي يقوم من حيث الشكل على العناية بالصياغة الانيقة والتعبيرية المنمقة ، ومن حيث المضمون على تكريس المفاهيم السائدة في المناخ الثقافي اللبناني الذي يفتقر الى مزيد من الالتزام بالقضايا المصيرية العربية والعالمية . ومهما يكن فقد لعبت « الحكمة » في بعض الوجوه ، دورا مؤثرا في التنقية الاسلوبية وشفافية التعبير ورهافته .

اما مجلة « شعر » فقد لعبت دورا رياديا في الدعوة الى الشعر الحديث ، وفي تكريس الجهود والطاقات الابداعية لاطلاقه وصياغة مفاهيمه ونظرياته . ولئن فات « شعر » احيانا كثيرة القدرة على الربط بين امكانات الواقع الثقافي على المشاركة والاستيعاب ، وبين مستويات البث الشكلي والتعبيري فانه لم يفتها الموقف الجذري في عملية البناء الفني الشعري الحديث . فكانت بذلك سباقة ورائدة .

تبقى « مواقف » وهي المجلة التي انشاها ادونيس عام ١٩٦٩ ودعا فيها الى تأسيس كتابة جديدة تتخطى كل التمايزات النوعية المستقلة في الادب وتنصهر فيها مختلف العناصر الابداعية الشعرية والنثرية . كما دعا فيها الى تجاوز الماضي للتوجه نحو المستقبل كخطوة اساسية واولى لكل ابداع حقيقي اصيل . وبرغم الانتقادات الكثيرة التي تواجه هذه المجلة ، وبرغم المنع الذي تواجه به في اكثر من بلد عربي، وبغض النظر عن المردود الاجتماعي والسياسي للمجلة على حركة التحرر العربية ، فان دعوتها التجديدية ليست مرفوضة كلها وهي في جوانب عديدة منها جديرة بالتدارس وخليقة بالتمعن والتبصر .

وبعد ، فهذه اللوحة الموجزة التي حاولت رسمها لكم عن دور المجلات الادبية اللبنانية في الخلق الفني لا ادعي انها تشتمل على احكام نهائية في هذا الموضوع بقدر ما هي نظرات قد تكون صائبة وقد لا تكون ، الا انها تنطلق من قناعات مخلصة عندي ، بقدر ما يمكن ان يكون حكم الباحث الملتزم بالموضوعية والتقدم صادقا مع نفسه ومع قرائه ومع امته .

بيروت

عايدة مطرجي إدريس

الصعوبات التي تواجهها المجلات الادبية في لبنان وسبل تذليلها

اتيح للبنان بسبب موقعه الجغرافي وانفتاحه على العالم ان يلعب عبر تاريخه الطويل دورا بارزا في المنطقة العربية على صعيد الادب والفكر. وما يزال هذا البلد الصغير في رقعة ارضه الفني في تعدد مذاهبه وديناميكية شعبه. يفتح ابوابه لاستقبال الافكار المتنوعة التي تهب عليه فتتصارع على ارضه، بحرية وحيوية كان لهما اثرهما ولا يزال في كفاح الشعوب العربية. وكان من نتيجة هذا الصراع خلق نهضة فكرية وادبية، تتخذ من الحرية والديمقراطية ركيزة لكل نقاش وحوار، ومن الافاق المتعددة للثقافة اسسا تغني لونها المحلي وتعمق اصالتها القومية. وقد تبلورت هذه الاتجاهات، منذ عصر النهضة، في المجلات الفكرية والادبية بنوع خاص، وكان للرعيل الاول من ادباء النهضة وللرواد من هذا الجيل فضل ترسيخ الادب الثوري الاجتماعي المطعم بافضل ما توصل اليه الفكر العالمي.

وقد ظلت المجلات الادبية في لبنان امينة على هذا التراث — تراث الحرية والانفتاح والاصالة، وما تزال تناضل، رغم جميع الظروف الصعبة التي تحيط بها للمحافظة عليه. بل ربما كانت الصعوبة الكبرى، التي تواجه مجلاتنا الفكرية في الوقت الحاضر، هي الصراع من اجل ان تبقى حرة مستقلة.

وفي هذا البحث سنحاول ان نكشف وعورة الطريق، والمزالق المتعددة، والصعوبات التي تعترض كل مجلة فكرية وادبية في لبنان.

ميزة المجلات الثقافية في لبنان، انها، باغلبيتها، لا تتوجه الى اللبنانيين وحدهم، بل تتوجه الى العرب جميعا. فهي اذن، بمجملها، قومية النزعة شمولية الهدف، ونتيجة لذلك تصبح مشكلاتها لبنانية، وعربية في آن واحد.

اما على الصعيد اللبناني المحلي، فتعاني هذه المجلات ازمات حادة معنويا وماديا، منها ان اية مجلة لبنانية، مهما كان اتجاهها الانعزالي، لا تستطيع ان تحيا للبنان. فهي تصطدم بعوائق متعددة ليس اقلها انصراف الشعب عن كل هم ثقافي، وانصراف الحكومة عن كل تشجيع فكري.

ولانصراف الشعب عن الثقافة العربية اسباب متعددة اهمها انفتاح لبنان واعتماده على اقتصاد حر، مما جعله بلدا يلهث وراء تامين المادة الضرورية للحياة. وهكذا اصبح الفكر نوعا من الترف، او الكماليات وغدت الثقافة، منفصلة عن التعليم، هما اخر من هموم فئة قليلة، وبالرغم من ان نسبة التعليم عالية، فان عدد قراء المجلات الفكرية ضئيل، وليس هذا الوضع وقفا على القراء، وانما امتد حتى الى الفئة المثقفة. ان غلاء المعيشة، وارتفاع ثمن التعليم والتطبيب وانعدام الضمانات، صرف الكتاب، باغلبيتهم، عن التفرغ للقراءة والكتابة سعيا وراء القوت اليومي. فاذا اضفنا الى ذلك، حب اللبناني المتاصل للحياة المرفهة، كانت الثقافة هي الضحية الاولى على مذبح الرفاهية المصطنعة..

وقد نتج عن ذلك السبب الاقتصادي قلة في عدد القراء، وقلة في عدد الكتاب المتفرغين رغم انصراف بعضهم الى امور ذات علاقة بالفكر، ولكنها بعيدة عن مجالات الخلق والابداع. فكان منهم المدرس والصحافي والمحامي والموظف. وباتت المجلات تشكو، فيما تشكو ندرة الكتاب اللبنانيين (١)، وقد ساهم في هذه الندرة انصراف البعض منهم الى الصحافة اليومية او الاسبوعية التي تستطيع ان تؤمن لهم حدا ادنى من العيش الكريم.

وكانت هذه الصحافة الادبية هي العدو الاكبر للمجلات الفكرية التي تؤذيها السرعة، وضيق المجال. وتبسيط الموضوعات، وقد ادت هذه المتطلبات الى التشويه والمسخ والسطحية، وحتى التفاهة (غالبا) (٢) ولكن هذه السهولة شجعت الكتاب، لتصرفهم عن الادب

---

(١) «الطريق» مثلا تعتمد على متطوعين، «الاداب» على عدد ضئيل متقطع الانتاج وتستعين بادباء من الاقطار العربية، «الاديب» على اصدقاء قدامى اوفياء.

(٢) كتب سليمان فياض في مجلة «الاداب» العدد الاول ٧٤ — «تكاد وسائل الاعلام من اذاعة وصحف ومجلات اسبوعية مصورة او مرسومة ان تكتسح الادب بمعناه الفني نثرا وشعرا، وفي سائر اشكاله الادبية، فبروح التعبير الصحفي المبسط، والمسطح، والمستهدف للاثارة والطرافة والاغراب والتنويع، تنشر الصفحات اليومية بالصحف اليومية.. قصائد تافهة المعنى والصياغة، خطابيتها زاعقة، تعج بالالفاظ السوقية (..) وقصصا (...) غارقة في الفجاجة

الجاد الرصين ، مما ادى الى تدهور مستوى النقد والى تراجع عدد النقاد والدارسين . (٣) .

ويساهم ايضا في ندرة الكتاب ، ارتباط فكرة « الفقر » بالادب كاحد مستلزمات الفن .. مما دفع بالشبيبة ، على المدى الطويل ، الى الانصراف عن الادب « الذي لا يطعم خبزا » ، الى العلوم البحتة . وقد استفحلت مشكلة ايجاد كتاب اصيلين في الفترة الاخيرة بعد ان كثر عدد المجلات الفكرية التي تصدر في لبنان بمساعدة بعض الدول العربية القادرة على التعويض بلا حساب . وهكذا دخلت مجلاتنا المحلية في عملية منافسة مادية كانت تخسر فيها كتابها .

تلك هي الصعوبات المحلية التي تواجهها مجلاتنا على الصعيد العام ـ قلة في عدد القراء وقلة في عدد الكتاب المتخصصين المتفرغين . على ان الصعيد الحكومي ليس بافضل منه . فهناك تجاهل تام ، بل تعتيم مذهل على المجلات الادبية !. لكأنها لا تنتمي الى بلد تميز ، عبر تاريخه الطويل ، بانه كان وما يزال مشعلا للفكر . كان وجه لبنان الثقافي مسؤولية فردية ، لا علاقة للدولة بها . فليس في لبنان دائرة واحدة مشتركة في اية مجلة ثقافية . حتى الجامعة اللبنانية ، حتى كليات الاداب لا تحوي مكتباتها مجموعة من هذه المجلات ، على الرغم من حاجة طلابها اليها ، في الوقت الذي تحتل فيه مركزا مرموقا في معظم المكتبات العالمية كمراجع اساسية لتاريخ الفكر العربي الحديث .

ان الحكومة اللبنانية لا تقدم للمجلات الادبية اية مساعدة او منحة تشجيعية ولا تفكر بتوزيعها مثلا في بلدان الاغتراب ، كابرز وجه من وجوه الدعاية للبنان ، ولا بتوزيعها في الداخل على المدارس والبلديات والاندية . (٤) ولو فعلت لساهمت جزئيا بسد العجز المادي ونشرت الثقافة لدى اكبر عدد من القراء ، ولجعلت القراءة حاجة حياتية ، لا عملية ترف .. على ان حكومة لبنان تقدم للثقافة ، سلبيا ، ميزة لم تقدمها بعد اية حكومة عربية اخرى . وهي عدم وجود رقابة مباشرة بمعنى ان الادب والفكر بريئان الى ان يثبت القانون ادانتهما ، دون ان ننسى القيود التي تمنع الموظفين من رجال الادب والفكر ان ينشروا انتاجهم من غير موافقة مؤسساتهم الرسمية .

وقد يتساءل البعض عن نوعية هذه المجلات التي تعيش في لبنان ، ولا تتعرض لها السلطة .

انها مجلات مستقلة استقلالا تاما ، ماديا ومعنويا ، ولذلك فان واقعها المحلي خانق ، ومجالها الحيوي هو البلاد العربية .

بعضها ادبي يتطلع الى الادب بحد ذاته تحت شعار «الفن للفن»(٥) وبعضها يعبر عن منظور حزبي ، او رؤية الفن والادب من خلال رؤية عقائدية (٦) وبعضها مستقل الاتجاه ولكنه يحمل توجهات عامة لادب وفكر ملتزمين بالقضايا القومية والاجتماعية (٧) او داعية للتحرير من كل قيد (٨) .

هذه المجلات التي تصدر بحرية في لبنان ، لاسباب تاريخية واجتماعية ـ لا مجال هنا لتفصيلها ، ولكن هذه الحرية تعود عليها بالوبال حين تجتاز الحدود اللبنانية وتسافر الى العالم العربي حيث تصطدم بالكثير من العقبات .

اولى هذه المشكلات التي تعوق مجلاتنا الصعوبات المادية التي تعرض كل مجلة خاسرة في منشئها الى الاحتجاب . فمعظم البلاد العربية تقيم حواجز كثيفة من التشريعات المتعلقة بتحويل العملات ولذلك فان حركة الاشتراك معدومة . يضاف الى ذلك ان الموزعين موظفون رسميون لا يسمحون بان تحدد المجلات قراءها وفق طاقتها على الانتشار بل يحددون هم سلفا كمية الاستيراد . اما اذا ارادت سلطة ما محاربة المجلة (بحجة تهديد كيانها ، او افساد شبيبتها ، او تعزيز مطبوعاتها المحلية) فانها تعمد الى مصادرتها او خزنها في مستودعاتها او اتلافها ، او جمعها بعد فترة وجيزة من الاسواق . ثم ان المجلات تعاني كذلك من غلاء الليرة اللبنانية ، وتدني اسعار العملات العربية ، بحيث يتضاعف ، عند المعادلة ، سعر المجلة عما هو في لبنان . وغلاء هذه المجلات يصبح فاضحا من حيث القيمة الشرائية اذا قيس بالنسبة للمجلات التي تصدرها وزارات الاعلام .

ولكن ، بالرغم من هذه الصعوبة المادية ، تظل المجلات اللبنانية قادرة على اقتحام الاسواق العربية لارتفاع مستواها وللحرية التي تتمتع بها في معالجة موضوعاتها ، ولطابعها القومي الشامل . على ان معظم الاسواق العربية مقفلة في وجهها ، الا باذن من الرقابة ، تلك المحكمة التي تطلق حكمها بغياب الدفاع . اذ في عملية المنع لا مجال للجدال او الحوار او المناقشة او الاقتناع : انها السلطة التنفيذية في مواجهة الفكر والكلمة والحكم قاطع ولا مجال للعودة عنه اوتبريره .

ولعل اخطر ما في الامر ان المنع يمارس ، غالبا ، على الفكر التقدمي الطليعي ، لان هذا الفكر يحمل بحد ذاته ، تحديا للحاضر واستشرافا للمستقبل وتحريضا نحو الافضل . وعبثا ، ناشد الادباء

والتبسيط والسطحية . »

وتعليقا على ندوة تلفزيونية اجراها اتحاد الكتاب اللبنانيين مع ثلاثة من محرري الصحف اليومية لخص سمير صايغ قول بعضهم «مجمل الكلام الذي قيل ، يمكن اعتباره نقدا ذاتيا .. فالاكثرية الساحقة من الذين يكتبون في الصفحات الثقافية ليسوا ادباء (على حد قول رياض فاخوري) كي تفسدهم الصحافة الا قلة جاءت من الادب الى الصحافة ، والى انهم انصاف مثقفين.(كما اشار وجيه رضوان) ويرى رياض فاخوري تهاونا في الاختيار لدرجة تبدو فيها الثقافة عبرأي اصحاب المؤسسات ، جانبا ثانويا واحيانا هامشيا .. « والصحافة تفرض شروطا غير تلك الشروط التي تواجه الاديب ، او الكاتب خارج الصحافة ، حيث ترتبط الصحافة بالسرعة والخبر الشيق ، مما يحصر الكاتب الصحفي في حدود الصحافة الاخبارية ، واحيانا في حدود التبسيط والسطحية». ويرى وجيه رضوان ان « هؤلاء الانصاف المثقفين (نقاد الصفحات الثقافية) خلقوا فنانين انصاف فنانين ايضا . اذ لحاجة الصحافة الى مواد برزت اسماء لفنانين هم من مستوى المحررين الذين يكتبون عنهم . فغياب المستوى النقدي والمستوى الثقافي ينعكسان النشاط الثقافي في الصحف مشوها وغير فاعل ».

(٣) اكبر مشكلة تعاني مجلة « الآداب » مثلا مشكلة ايجاد نقاد يدرسون مادتها الشهرية ، من قصص وابحاث ودراسات وقليلون جدا هم النقاد الذين لا تتميز دراساتهم بالسرعة وعدم الجدية .

(٤) ان كل قضاء يريد ان يفتح ناديا ثقافيا يلجأ الى المجلات الثقافية لتساهم في سد عجزه ..

(٥) الاديب .

(٦) الطريق (ماركسية لينينية)

(٧) « الآداب » و « دراسات عربية » توجهاتهما العامة ـ الفكر القومي الوحدوي الاشتراكي .

(٨) « مواقف » .

والمفكرون في مختلف المؤتمرات الادبيـة ، رفع الرقابة او حتى تخفيفها، الا ان هذه النداءات بددتهـا الرياح ، او حوربت ، او منع التحدث بها . ولم تكـن النتيجـة الا مزيداً مـن التضييق والخنق والمنع (٩) وبالرغم مـن ان بعض هذه المجلات تهدف في توجهاتها العامة الى نفس اهداف الدول ذات التطلعات القومية الواحدة والنزعة الاشتراكية .

وعلى هذا فان الرقابة والمنع قد يلغيـان التواصل الفكري الـذي هو العامل الاساسي للوحدة ، ذلك ان لكل بلد رقابة خاصة به ، وهي، باجتهادات خاصة ، تمنع ادب البلد الاخر . واذن فـلا فكر قوميـا مع الرقابة الخاصة ، ولا تقدم مع فكـر مراقب مغلق ومشلول . وتاكيـدا لما ذهبت اليه ، يلاحظ متتبع الادب العربي الحديث ظاهرة رجـوع الادب الى الرمز والغموض في بعض المناطق كردة فعل للكبت او كتعبيـر احتجاج يغلف به الاديب قلقه وصراعه مع نفسه ومع حريته . وهـذه الظاهرة جديرة بالدرس كظاهرة الادب « المقلص » او « المقنن » علـى الرغم مـن مظهر الازدهـار ووفرة المجلات .

ازاء هذه المخاطـر التي تتعلق بطبيعـة الفكر وجوهر توجهاته، ما هـو وضع المجلات الادبيـة في لبنان ؟

انها ابدا في وضع متأزم وقلق . المتطلبات المادية ترهقها من جهة، وسيف الرقابة ، خارج بلدهـا مسلط عليهـا من جهة اخرى. والاختيار دقيــق .

ولذلك اصبح النضال من اجل الاستمرار في الاستقلال والحريـة صفـة المجلات الفكرية اللبنانية وما تزال هذه المجلات ترفع اصـوات الادب الثوري من اي جهـة هب عليها ، اصوات المضطهديـن والمنفيين والقابعيـن في السجـون ، ذلك كان تاريخهـا . فهل ما زالت قـادرة على الاستمرار والتحدي ؟

الواقع ان هذه المجلات تلهث . لقد انهكهـا الصراع الطويـل . فقد شهـد بعضهـا افظع فترات التاريخ العربي قلقا وكان اعداؤها اعداء تحرر الامة العربية من استعمار ثقافي وفكر رجعي . وكان الادباء يقاسمون المجلة همومها . واليوم اذ تشهد الامة صراعها مـع نفسها وصراع الادباء فيمـا بينهم ، ينعكس هذا التناحر على الثقافة فيصبح لكل فريق مجلته ، وادباؤه الموظفون .

في هذا الجـو الثقافي العام ، باتت المجلات اللبنانية المبدئيـة تعاني ازمة جديدة لم تعرفهـا من قبل ، هي ازمة المنافسة مع المجلات ذات الموارد غير المنظورة . وغدت هذه المنافسة بالنسبة لبعض المجلات اللبنانيـة مستحيلـة لعدم تكافؤ الامكانيات المادية والبشرية ، فمواردها محدودة ، ومـا يكـاد كاتب يعرف على صفحات المجلات « الفقيرة » حتى تتلقفه تلـك المجلات الغنية . وقد يبلـغ التنافس عليه حدا يجعله يتنقل من اقصى اليسار الى اقصى اليمين في فترة زمنية قصيرة ..

هذا الاغراء المادي ، القادر على استمالة الكتاب بل على تطويعهم وتشذيبهم ، وحشد اكبر عدد ممكـن من افضل النقاد والشعـراء والقصاصين ترى مجلاتنا اللبنانية المستقلة نفسها عاجزة عنه . فكتابها متطوعون او اصدقاء ، او مرفوضون . وكتابها يصرون على آرائهم ولا يرتضـون حذف ايـة كلمة قد تعرض المجلة برمتها للمنع ، ورؤساء التحرير لا خيار امامهم برفض مثل هذا الانتاج الذي يقدمه صاحبـه بجرأة وشجاعـة .

اما المنافسة في الاخراج والتقنية الفنية ، فهي مظهر تعجـز عنه مجلات لبنان الثقافية المستقلة لارتفاع ثمن الورق واجور الطباعة بالرغم من ان هذه المستلزمات باتت ضرورية وعصرية ، خاصة بعد ان اغرقت المجلات الانيقة الاسواق ...

***

ما مستقبل هذه المجلات اذن ، وكيف سنستمر ، بعد هـذه الاضواء التي سلطناها عليها ؟

لننقل ما اورده رئيس تحرير احدى المجلات في افتتاحية لـه ، فهو يلقي ضوءا على جوانب من المسؤولية التي تضطلع بها هـذه المجلات ، وهي مسؤولية تقف فـي وجه اي اجراء يمكن ان يتخـذ ضدها ..

« ولا احسبها مبالغة ان اقول ان استمرار المجلة معجزة فـي الظروف التي يعيشها الادب والمجلات الادبية في الوطن العربي ... وقد اصبح القراء يدركون معطيات هذه المعجزة لطول ما رددناها. (..) ونحن نستمر اولا لان المجلة مدرسة تخرج منها ولا يزال يتخرج معظم الادباء المبدعين الذين يملأون حياتنا الادبية نشاطا وحركة . ثانيـا لان المجلة اصبحت مرجعا رئيسيا لدراسة تطور الادب الحديث في النصف الثاني من هذا القرن ، وقد اصبحت مجموعاتها تحتل مكانها في كثير من المكتبات العالمية ، الى جانب المراجع الادبية والموسوعات والمعاجم، ولانها ما تزال تقوم بدورها النضالي » (١٠)

على ان استمرار هذه المعجزة تكشفه حقيقة اخرى يوردها رئيس التحرير نفسه حين يقول :

« هذا هو العدد الاول من السنة الثانية والعشرين اراه امامي ، واراني امامه ، اخذه بيدي كما اخذت زهاء مئتين واربعين عـدد سبقته ، فاقلبه لحظات ، ثم اشرع في تقطيع صفحاتـه ، اتلمس ورقه باصابعي واطالع عناوين مقالاته التي قرأتها ، واشم رائحة الحبر فيه، حتى اذا فرغت من تقليبه ، ارحته على الطاولة ، وانا اتنفس الصعداء ... وطوال هذه الاعوام ، كان يعزيني دائما من التعب والتضحية اني كنت اتمثل قارىء المجلة يسأل عنها اواخر كل شهر وينتظر وصولهـا الى المكتبة التي اعتاد ان يتردد اليها ، فاذا رآها معلقة على الواجهة، خفق قلبه وتنفس الصعداء ، كانما كان يخشى الا تصدر هذا الشهر ثم اخذ نسخته ليخلو اليها في غرفته بحب وحنان . (١١)

اذا ادركنا ان كاتب هذه السطور انسان عربي ، اي عاطفـي المنطلق والنزعة ، واديب في آن واحد ، ادركنا هذا الارتباط العضوي بين المجلة وصاحبها وهذا الدافع الخفي الذي يؤجج المجلة ، كعمـل فني . فرئيس تحريرها هو صاحبها والمشرف على كل شؤونها . وبهذا فليست المجلة عملية تجميع ، بل هي اعادة خلق وبعث حياة وعطاء . من اجل ذلك يصبح التخلي عنها مستحيلا لارتباطها بـذات الفنـان وحياته .

لقد اوردت هذه الظاهرة لأؤكد ان اصحاب مجلاتنا الادبيـة هم اصحاب قضية يرتبطون بها حتى النهاية ، ولذلك فليس من السهل ان تكبو امام الصعوبات . ان « الاداب » مثلا مرتبطة بحياة صاحبهـا

---

(٩) لقد منعت « الاداب » مثلا في اكثر من بلد عربي ، وفي آن واحد ، ولشهور عديدة متتالية ، لتبنيهـا وجهـة نظـر اتحاد الكتاب اللبنانيين في الدعوة الى حرية الادباء .

(١٠) و (١١) سهيل ادريس ، « الاداب » العدد الاول ١٩٧٣ .

وفنه ومستقبله ، وكل موت لها يعني انهيارا له . و « الطريق » مرتبطة بعقيدة افرادها الماركسيين اللبنانيين من الذين سجل التاريخ استشهاد امثالهم في سبيل عقيدتهم ، و « دراسات عربية » قناعة راسخة في الفكر الوحدوي الاشتراكي لدى العاملين فيها ، و«مواقف» تناضل منذ صدورها للصمود والبقاء ، و « الاديب » مستمرة في الصدور رغم مرض صاحبها شفاه الله .

هذا الصمود وذلك الاصرار على البقاء ، ظاهرة باتت الصحافة الادبية بعيدة عنها . فقد اصبحت اخيرا مهنة وظيفية تخضع لمتطلبات التجارة والدعاية ، تصدر بامر ، وتغلق بامر ...

***

اما طرق تذليل الصعاب فلست ادري اولا الى من اتوجه ، من بينكم ، في طلبها . ان كل ما تريده مجلاتنا ان تساندوها في المطالبة بان ترفع الرقابة ، في البلاد العربية ، يدها عنها ، لتدخل في معركة شريفة متكافئة الفرص يكون القارىء فيها هو الحكم . فالمجلات الفكرية، ذات التوجهات القومية ، والمستوى الفني الرفيع ، يجب ان تشرع لها الابواب ويفسح امامها مجال النقد الصريح .

ولدينا عدة اقتراحات ناقشناها مع اصحاب هذه المجلات ، نورد هنا اهمها :

اولا ـ دعوة الحكومة اللبنانية الى المساهمة في دعم المجلات اللبنانية التي تلعب دورا فريدا في المنطقة لما تتمتع به من روح الحرية والديمقراطية . ان استمرار هذه المجلات الثقافية والادبية تعزيز لقضية الحرية والانسانية في الوطن العربي . على ان تكون هذه المساعدة اشتراكات تسد عجزا ماديا كبيرا وتضاعف عدد القراء ، اي المثقفين . وهذه المساعدة ينبغي ان تكون غير مشروطة وان تمنح لجميع المجلات الثقافية الوطنية ايا كان اتجاهها .

ثانيا ـ ان ترفع الرقابة في البلاد العربية التقدمية على الاقل ، وان يسمح بالاستيراد الحر للكمية التي تتطلبها السوق وبتسهيل التحويل المادي .

ثالثا ـ دعوة وزارات التربية والثقافة والاعلام في الدول العربية التقدمية الى مساعدة المجلات الفكرية مساعدة متوازية وغير مشروطة باعتبار هذه المجلات ، وان صدرت في لبنان ، قومية الاتجاه .

ان هذه المناشدة الطوبائية لا تجعل مجلاتنا ، لكثرة ما ناشدت ، الا اشد ايمانا بمهمة الادب كدعوة رسولية ، طريقها الالم والصراع . فستظل المناشدات حبرا على ورق ، الى ان تنتصر تلك الرسالة .

وما تطلبه المجلات الثقافية في لبنان من هذه الندوة هو ان يتناصر الادباء ايا كان مقرهم . فقضيتهم واحدة ـ الدفاع عن حرية التعبير . ولذلك فعليهم ان يعلنوا تضامنهم وتصديهم لكل ما يؤدي الى كبتهم او القيد من حريتهم . ان الغاء الرقابة مطلب يجب الا يسكت عنه اي اديب عربي او افريقي آسيوي . انتصارا للثقافة العربية ، وللانسان العربي في حريته وكرامته وتعزيزا لفكرة الوحدة الثقافية ، وحرية التعبير التي هي راس المال الاول للادب وطريق الخلاص للامة (*) .

(*) اعتمدت في دراستي هذه على مراجعة المجلات الآتية ـ « الاداب » ، « الاديب » ، « الطريق » ، « دراسات عربية » ، « مواقف » ، وقمت بمقابلات مع رؤساء تحرير معظمها .

فؤاد التكرلي

هيئة لاتحاد المجلات الافريقية الاسيوية

(حول الصعوبات التي تعترض المجلات الادبية والثقافية)

ايها الاصدقاء الاعزاء ،

احييكم اطيب تحية متمنيا لهذه الندوة كل نجاح وتوفيق .

بودي قبل ان اتلو عليكم كلمتي عن (الصعوبات التي تعترض المجلات الادبية والثقافية في افريقيا واسيا وسبل تذليلها) ان ابين لكم ان اهتمامي بأمر هذه المجلات قد بدأ مع بداية يقظتنا الفكرية قبل اكثر من ربع قرن . لقد كانت المجلات الادبية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية واعقبتها عاملا ثقافيا مهما من العوامل التي بلورت ووجهت اذهان الاجيال الشابة التي كانت متفتحة لكل جديد . ونحن نذكر باجلال مجلات (الرسالة) و (الثقافة) و (الكاتب المصري) و (الاديب) و (الآداب) و (الثقافة الجديدة) وغيرها من المجلات التي لم تصل ايدينا انذاك .

لقد كان وصول عدد جديد من احدى هذه المجلات الى بغداد حادثة فريدة بحد ذاتها ، وكنا نشعر ان مثل هذه الحوادث يجب ان تستمر وتدوم . ومن هنا ، حين بدأ القلق على مصير هذه المجلات ، بدأت معه التساؤلات عن الجهود التي يبذلها اصحابها وعن المصاعب التي يواجهونها .

لقد كانت ظاهرة بروز المجلات الادبية ثم اختفاؤها بعد سنة او سنتين على الاكثر ، ولا تزال ، ظاهرة معتادة وكثيرة الشيوع في بلادنا العربية . ورغم ان هنالك مجلات يتقاسم فيها الادب السياسة ويقوم على اصدارها قطاع عام في بعض الاقطار ، استمرت على الصدور بانتظام سنين عديدة ، الا ان هذا الامر لم يمنع ، في نفس تلك الاقطار ، ان تظهر المجلات الفكرية وتختفي خلال فترات وجيزة .

ان هذه الظاهرة ليست مرضا ولا هي مستعصية على الفهم . ويخيل الي ان دراسة صريحة للصعوبات التي تتراكم في الساحة الادبية يمكن ان تفيد في التغلب عليها ، وهذا ما سأحاول تخطيطه في هذه الكلمة .

الصعوبات المادية :

ان توفير المال اللازم لاصدار مجلة والاستمرار على ذلك امر ليس من اختصاصنا بحثه . انه ازمة شخصية احيانا او مشكلة تواجه هيئة ثقافية في احيان اخرى ، وحلها يختلف في كل حالة . كذلك لا مجال للتدخل في تنظيم امور الطبع وادارة شؤون التحرير والمراسلات . كل هذه اشياء تسير وتنظم حسب الطاقة المتوفرة لدى كل ادارة . انما المهم حقا تلك المشاكل التي يواجهها المحررون بعد انجاز عملهم والتي تشترك فيها كل المجلات وهي :

١) التوزيع .

٢) الرقابة .

٣) التحويل المالي .

ان هذه المصاعب التي تتغير اوجهها بتغير الاقطار والشخصيات والمستويات الثقافية والاقتصادية لها مع ذلك صفة عامة تشترك فيها ، هي سهولة حلها ـ نسبيا ـ بشكل جماعي .

لذلك اقترح ان تنبثق من ندوتنا هذه لجنة فرعية تضع نظاما خاصا لهيئة او لاتحاد المجلات الافريقية ـ الاسيوية ، مسترشدة بالمبادئ العامة التالية :

اولا ـ الهيئة تضم جميع المجلات التي يرغب رؤساء تحريرها في الانضمام اليها وفي الالتزام بمفرداتها .

ثانيا ـ تتكلم الهيئة باسم مجموع هذه المجلات وتأخذ بعين الاعتبار مصالحها المشتركة .

ثالثا ـ تتصل الهيئة بالحكومات المعنية بهذه الصفة لمحاولة تحييد الرقيب وفتح الطريق بين القارئ والكاتب .

رابعا ـ تتصل الهيئة بوكلاء توزيع في كافة اقطار العالم من اجل تسهيل واتمام عملية توزيع المجلات . ويمكن ان نتصور انها قد تنوب في المستقبل عن هذه المجلات في توقيع العقود او جعلها قابلة للتوقيع .

خامسا ـ ان هذه الهيئة اذ تتكلم باسم جميع المجلات الافريقية ـ الاسيوية يمكنها ان تمارس ضغطا ثقافيا اكيدا على اية دولة او هيئة رسمية من اجل تسهيل عمليات التحويل المالي .

ان هذه الهيئة اذ تأخذ على عاتقها حل المشاكل المادية التي تواجهها المجلات او تساعد على حلها بشكل من الاشكال ، فانها من جهة اخرى تعمل على :

١ ـ تقوية العلاقات الفكرية القائمة على الفهم العميق والود والشعور بالترابط والزمالة وذلك عن طريق تبادل المجلات وابداء الرأي فيها وفي المشاكل الثقافية التي تخص كل قطر مع محاولة توزيع وتبادل المواد الثقافية كي تترجم وتنشر في اكثر من مجلة مع عدم المساس بحق المؤلف المشروع .

٢ ـ تزويد المجلات بعناوين الكتاب والباحثين وتعريف هؤلاء بالمجلات التي تصدر في الاقطار الاخرى مع كيفية الاتصال بها .

ان تشكيل مثل هذه الهيئة يمكن ان يعتبر بمثابة انطلاقة ضرورية وجادة للانتقال الى عصر يمكن للمجلات الثقافية ان تمارس دورها الحقيقي في نقل الفكر التقدمي الخير ونشره واغنائه .

ولست الان بصدد شرح كيفية قيام هذه الهيئة وتمويلها وبعث الحياة فيها ، ولكني وددت ان ابين الفوائد الكثيرة التي يمكن ان تجنى منها . ونحن في العراق على استعداد لبحث ومناقشة القضايا التنظيمية وغيرها الكفيلة بضمان انشاء هذه الهيئة .

فؤاد التكرلي

رئيس تحرير « الاديب المعاصر » العراقية

احمد ابراهيم الفقيه

عندما تكون المجلة الثقافية تحديا لمعطيات العصر

لقد كنت دائما اتمنى فرصة مثل هذه لاعرض على الزملاء من مختلف بلدان العالم تجربة جريئة في مجال الصحافة الادبية فمنا بها في الجمهورية العربية الليبية. لقد جلسنا منذ ثلاث سنوات (وكنا مجموعة من المسئولين في حقل الثقافة) للتفكير في اصدار مجلة ثقافية ، ولا ادري لماذا انصرفت اذهاننا على الفور الى ان تكون مجلة شهرية . لعل ذلك حدث لان ميراثنا الثقافي كله لم يعرف الا مجلات شهرية او موسمية ، بل وحتى هذه الشهرية او الموسمية لم تكن لتقدر على الاستمرار او مواصلة المسيرة اكثر من عام او عامين تتوقف بعدها عن الصدور . حيث هذا في ليبيا كما حدث في بلدان عربية اخرى بيئتها الثقافية اكثر تقدما واتساعا ، وتجربتها اكثر قدما ورسوخا مثل الشقيقة مصر حيث كانت المجلات الثقافية والادبية تصدر ثم ما تلبث بعد اعوام قليلة ان تتوقف نتيجة لخسائرها المادية وعدم الاقبال عليها، وكان يستحيل التفكير خارج هذا النطاق .. اعني ان تكون مجلة شهرية او موسمية ، وهكذا استقر الرأي على انشاء مجلة ادبية ثقافية تصدر مرة كل شهر .. ووضعنا خطتنا على هذا الاساس ، الا ان سؤالا ساذجا طرح نفسه على الموضوع : ــ ماذا لو فكرنا في اصدارها اسبوعية ؟ كان السؤال حقا وصدقا ، ساذجا ومضحكا ، ففي قلب بيئة ثقافية محدودة، وكثافة سكانية محدودة ، وطليعة مستنيرة محدودة ، وتجربة صحفية في هذا المجال ضيقة ومحدودة ، كيف يتسنى تحقيق ذلك ؟ من اين نجد القارىء الذي يشتري صحيفتنا كل اسبوع ؟ من اين نجد الكاتب الذي يمدنا بالشعر والقصة والمقالة التقدمية كل اسبوع ؟ ومن اين لنا بقضايا ادبية وثقافية نطرحها او نناقشها كل اسبوع ، من اين لنا بكل ذلك ؟ اذا عرفنا تجارب البلدان الاخرى في هذا المجال ... مصر وغير مصر .. بلدان هي اكثر ازدحاما بالمفكرين والشعراء والادباء، سكانها اكثر عددا ومثقفوها اكثر كثافة .. ومع ذلك تفشل حتى مع المجلات الشهرية والموسمية التي تتخصص في هذا المجال ؟ اننا قد نفلح في اصدار عدد او اثنين او ثلاثة او اربعة ... ولكن ماذا مع بقية الاسابيع والسنوات ؟

وكان من الممكن ان ينتهي الموضوع عند هذا الحد ، لولا شيء واحد ظل يشغل ذهني واذهان زملائي المشرفين على هذا العمل ... ما هو العمل الثقافي اذن ؟ اليس هو تحديا لمعطيات البيئة ؟ اليس هو مواجهة لكل ما في الواقع من سلبيات ومحاولة جريئة لتجاوز هذه السلبيات والانتصار عليها ؟

اليست المبادأة وروح الاقتحام هي ما يجب ان يكون ديدننا في تعاملنا واقترابنا من هذا الواقع ؟

ليكن هذا العمل الصحفي الذي نريد اصداره تعبيرا عن هذا المعنى ، وتجسيدا لهذه الروح ، اذ ما اهميته ان لم يكن حقا وصدقا وتحديا لهذه المعطيات جميعها ومحاولة جريئة لاقتحامها والتغلب عليها.

وهكذا اخذنا الامر ماخذا جديا وصرنا نناقشه على هذا الاساس ونتعرف شيئا فشيئا على مزايا واهمية ان تكون اسبوعية :

اولا : ان صدورها اسبوعية سوف يجعلها قريبة الصلة بالقارىء، حيث يتيسر عليه امر متابعتها ، والارتباط بها بعكس ما لو كانت مجلة شهرية يختفي اربعة اسابيع ثم تظهر بعد ذلك !

ثانيا : سوف يمكن المجلة من تقديم متابعة حية للاحداث الثقافية وتغطيه صحفية مستمرة لكل جديد في مجالات الادب والفن والفكر ويجعل المجله قريبة من نبض الحياة وايقاعها السريع .

ثالثا : ان طرح اي قضية من خلال مجلة اسبوعية سوف يكسبها حرارة وحيويه ويتيح امامها فرصة التفاعل والاخذ والرد من خلال المتابعة الاسبوعية ، بعكس المجلة الشهرية التي لا تتيح كل ذلك .

رابعا : ان من اهم المشكلات في تاريخ تعامل الكتاب والادباء مع اجهزة النشر والطباعة هي تلك المسافة بين تقديم الانتاج ونشره، سواء كان ذلك كتابا او مقالا او قصيدة او قصة ، وكلما عملنا على ان تكون تلك المسافة اقصر كلما كان ذلك انفع واجدى خاصة في بلدان مثل بلادنا التي تتأزم فيها المسألة ويعاني الكاتب معاناة مريرة من انتظار نشر انتاجه . وصدورها اسبوعية سوف يساهم في حل هذه المشكلة ويمنح الكاتب فرصة ان يجد انتاجه منشورا بعد ايام قليلة من كتابته ، وفي ذلك حافز له على الابداع والانتاج ...

وهكذا صدرت « الاسبوع الثقافي » ، عملا ثقافيا بسيطا ومتواضعا ، ولكنه كان في ذات الوقت تحديا ومغامرة واقتحاما .

ولم تكن هذه الصحيفة لتحقق نجاحها الجماهيري وتصل بتوزيعها الى مستوى توزيع الصحيفة السياسية اليومية الناجحة ، وتصل الى بيع ٢٠ الف نسخة وهو امل وطموح اي صحيفة في بلادنا لولا اضافة صغيرة ، هي ما اريد ان اطرحه امامكم واشد اليه انتباهكم ، واستنير برأيكم في امره ، فهي تجربة جديدة تتحقق لاول مرة على مستوى الصحف الادبية والثقافية ، وكانت هذه الاضافة تتخلص في تحقيق ثلاث صفحات من الصحيفة (وهي عادة تصدر في ٢٤ صفحة) لتقديم مادة خبرية عن اهم احداث اليوم السياسية وغير السياسية، وتكريس بقية الصفحات للمادة الثقافية المتخصصة ، واستطعنا بهذه الطريقة ان نرضي فضول القارىء العادي ، ونحقق للصحيفة انتشارا بين مختلف فئات المجتمع ، وان نكسب لصحيفتنا الثقافية المتخصصة قارئا جديدا ، وان نلغي تلك المسافة التي تفصل بين القارىء العادي والصحيفة المتخصصة ، وان تصل بتوزيعها وانتشارها الي مستوى اي صحيفة سياسية تصدر في البلاد ، وعلى مدى ثلاث سنوات من عمر « الاسبوع الثقافي » استطاعت هذه الصحيفة الثقافية ان تؤدي رسالتها خير اداء ، وان تشق طريقها بتفوق ونجاح ، وان تحقق هذا الانتشار ، وتصل الى هذه القاعدة العريضة من القراء بفضل تلك الاضافة الصغيرة .

انها تجربة رأيت ان اجعلها موضوعا لحديثي اليوم ، ونقطة انطلاق لما نطمع ان يكون عليه شكل صحافتنا الثقافية خاصة وهي تواجه اعباء ومسئوليات مرحلة التنمية والبناء وتتصدى في قوة وشجاعة لميراث ثقيل من التخلف .

احمد ابراهيم الفقيه
مجلة الثقافة العربية ــ
الجمهورية العربية الليبية

د . عز الدين اسماعيل

المشكلات التي تواجه المجلات الأدبية في مصر

حين نفكر في مشكلة المجلات الادبية في مصر ، ينبغي ان يتحرك تفكيرنا في نطاق اعم من البيئة المحلية ، فيتسع لرؤية المشكلة على النطاق الاوسع ، وهو النطاق العالمي . فليس من شك في ان ما يمكن ان نسميه ازمة المجلات الادبية انما ينسحب على المجلات الادبية في العالم بعامة ، وفي كل قطر من اقطار هذا العالم بخاصة .

وازمة المجلات الادبية في العالم ليست وليدة اليوم ، بل ترجع الى ما يقرب من نصف قرن . ولكن الملاحظ انها ازدادت حدة منذ قيام الحرب العالمية الثانية وفي اعقابها . ولسنا الآن بصدد تحري المجلات ذات الطابع الفكري والادبي التي لفظت انفاسها الاخيرة في هذه الحقبة من الزمن ، فهذا امر في غير متناول ايدينا . ولكن هذه الحقيقة نفسها تلفتنا الى شيء من التأمل .

خليق بنا ان نتساءل : هل ما تزال فكرة المجلة ، اعني هذا الشكل الاعلامي المعروف للمجلة ، تمثل الصورة المناسبة لاداء وظيفتها في عصرنا الراهن ؟ ومن جهة اولى : هل ما يزال عصرنا الراهن في حاجة الى المجلة بصورتها القديمة المألوفة ؟

ويدفعنا الى هذا التساؤل ان اطر الحضارة الانسانية ووسائلها قد تطورت في خلال الثلاثمائة سنة الاخيرة ـ وهي عمر الصحافة العالمية بصفة عامة ـ تطورا كبيرا . لقد كان هذا التطور بطيئا في ايقاعه بشكل ملموس حتى العشرينيات من هذا القرن ، ثم اخذ يتزايد بشكل ملحوظ منذ ذلك الوقت حتى قيام الحرب العالمية الثانية . وبعد هذه الحرب طفر هذا المعدل طفورا مذهلا . وفي خلال هذا التطور حلت وسائل حضارية جديدة محل وسائل قديمة ، واستحدثت وسائل اخرى اكتظت بها حياة الناس ، وتغيرت نتيجة لذلك طرز التفكير ، وتشكلت حساسيات الناس ومعنوياتهم بفعل هذا التطور على نحو مغاير لما كانت عليه في الماضي .

هذه الحقيقة ـ التي اعتقد اننا جميعا نسلم بصحتها ـ هي ما تجعلنا نربط بين ازمة المجلات الادبية والفكرية وبين التغير الحضاري المذهل الايقاع الذي اصاب العالم منذ الحرب العالمية الثانية ، حيث ازدادت حدة هذه الازمة .

وتفسير ذلك ـ في رأيي ـ يرجع الى ان هذه الحرب المدمرة على نطاق واسع قد احبطت كل ما كانت تسعى « الكلمة » الى تأكيده من القيم الانسانية ، بعد ان ذاقت مرارة هذا الاحباط من قبل ـ وان كان على نطاق اضيق ـ بقيام الحرب العالمية الاولى . وكما تغيرت في حقل الادب والفن اشياء كثيرة بعد الحرب العالمية الاولى تغيرت اشياء اكثر بعد الحرب الثانية . فهل ما تزال المجلة ـ ونحن نعيد السؤال ـ بشكلها وطبيعتها ووظيفتها التقليدية اداة ملائمة لعصرنا الراهن ؟

ونحن نطرح هذا السؤال وفي ذهننا ان كثيرا من المجلات الادبية والفكرية قد نشأ بعد هذه الحرب ـ سواء في عالمنا العربي او في العالم أجمع ـ نشأة جديدة ، وان هذه المجلات قد التمست لنفسها مظهرا جديدا ، مستفيدة من بعض وسائل الحرفية (التكنيك) الحديثة. فعلى الرغم من هذا كله يظل السؤال مطروحا ، اذ ليس هناك من يدعي ان هذه المجلات على اختلافها لا تعاني ازمة وان تفاوتت في هذه المعاناة قلة وكثرة .

لقد قال الكاتب الفرنسي جورج ديهاميل في كتابه « دفاع عن الادب » ، وهو في صدد حديثه عن واقع المجلات الادبية في الاطار الحضاري الحديث : « لن يغيب عن بعض من يلاحظون العالم الحديث ان يستنتجوا ان العالم بلا ريب في سبيل التطور ، وأنه لم يعد للمجلات الا ان تختفي . ولكني ما زلت اعتقد انه لو تم ذلك لكانت فيه كارثة ، فالمجلات تمثل نوعا من النشاط العقلي يلوح الى انه الزم ما يكون في هذا العصر المضطرب . فهناك من جهود الروح المستمرة النشاط ، والتفكير الدائم الخلق ، والدراسة النشطة ، ما لا يستطيع ان يظهر الا بفضل احدث المجلات الادبية ، فالكتاب ضخم بطيء ، والجريدة موجزة عابرة ، وهناك مجال لمعالجة الحوادث والرجال والكتب ونقدها ، يتطلب المجلة التي هي الرسول الطبيعي للروح اليقظ، وللفكر الذي لا يريد ان يتخلى عن رسالته . فاختفاء مجلة ادبية في الوقت الحاضر يعد كارثة على التفكير المهدد في نشاطه وفي وسائل اذاعته . »

ان خطر الكارثة اذن باختفاء المجلات الادبية ملحوظ منذ حقبة ليست بالقصيرة ، وان ما اصاب العالم من تطور هو المسئول عن هذه الكارثة اذا هي وقعت . وهذا صحيح بلا شك على المستوى العالمي .

ولكن على الرغم من هذا التطور وتوقع الكارثة ظل ديهاميل متعلقا باعتقاده في ان ما اصاب العالم من اضطراب يجعل الحاجة الى المجلة الادبية والفكرية امس . فالهموم الروحية ، والفكر المبدع المتجدد ، والمراجعات المتلاحقة ـ كل ذلك لا يجد مجالا افضل لاستيعابه من المجلة . وديهاميل بهذا يكون قد اجاب بالايجاب عن سؤالنا الذي نطرحه اليوم . ولا عبرة بفارق الزمن بيننا وبينه ، لان حجته في اهمية

المجلة وضرورتها قد اخذت في الاعتبار عامل التغير والتطور .

ونحن اذ نحس في ثنايا هذا الجواب بروح التفاؤل والنوايا الطيبة لا نريد أن نبدو متشائمين او سيئي النوايا فنقول « انه لم يعد للمجلات الا ان تختفي » ، ولكننا في الوقت نفسه لا نود أن نغلو في التفاؤل في وقت نرى فيه الازمة الاقتصادية العالمية تهدد لا المجلات الادبية والفكرية فحسب ، بل كبريات الصحف العالمية كذلك (نشرت صحيفة « النهار » البيروتية في عددها الصادر في ١٩٧٤/١١/٢٦ نقلا عن صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » مقالا تقرر فيه أن ثمة ٧٤ صحيفة يومية في سويسرا اقفلت ابوابها في غضون خمس سنوات. اما الصحف البلجيكية فانها تتوقف عن الصدور بشكل مماثل . وفي المانيا الغربية بدأت الصحافة تشعر بتأثيرات التضخم والازمة الاقتصادية ، فصحيفة « دي فيلت » ـ وهي كبرى الصحف الالمانية ـ ربما تواجه عجزا يبلغ ٢٤ مليون مارك في هذه السنة . والصحف الايطالية كذلك تعاني من التضخم ، وينتظر ان تعاني صحفها عجزا جماعيا تتجاوز قيمته ١٣٠ مليار ليرة ، اي ٦ و١٧٩ مليون دولار ..).

دعونا اذن نسلم بان المجلة الادبية والفكرية ضرورة حيوية ، دون ان نغض اعيننا عن الاخطار التي تهددها من الداخل ومن الخارج .

وحين نقول انها ضرورة فليس معنى هذا ان نطمئن الى بقائها في هذا العالم المتغير بقوة ذاتية فيها ، فالحق اننا نريد لها ان تكون ضرورة ، حتى تبقى ، وحتى تقوى على تلبية مطالب الانسان الروحية المتجددة . ونحن من أجل هذا نفكر فيها ، ونحاول ان نتعرف على المناخ الملائم لبقائها ، والشروط الموضوعية لاستمرارها .

فمتى تصبح المجلة الادبية والفكرية جديرة بهذا الاسم ؟

نعود الى ديهاميل مرة اخرى فنجده يقول : « المجلة الحقيقية يجب ان تحمل اثرا لكل ما يحدث في العالم من امور هامة ، اذ من واجبها ان تعلق على الكتب ، وان تذكر الحوادث ، وان تحكم على اعمال الرجال وتظهر اخلاقهم . والمجلة التي تستحق هذا الاسم جديرة بان تقدم ـ علاوة على ما سبق ـ تآليف جديدة قادرة على أن تعكس الروح الخالدة في مغامراتها اليومية ، اذ يجب ان تكون عالما صغيرا ترتسم فيه عناصر العالم وتنفصل تبعا لدرجة عظمتها واهميتها الحقيقية . »

وخلاصة هذا انها ترصد وتلاحق حركة الفكر الانساني في منجزاته، وفي شخوص اصحابه ، وتبرز الاحداث ذات المغزى بالنسبة لمنعطفاته، وانها ـ في الوقت نفسه ـ تستوعب مبدعات الطاقات الخلاقة الجديدة في مغامراتها الروحية المتجددة .

وبهذا المعنى تصبح المجلة الفكرية او الادبية سجلا حقيقيا لهموم الإنسان الروحية ، وشاهدا على العصر ، بطريقة لا يمكن ان تبرز بنفس القدر في الكتب المؤلفة ، او في الصحافة اليومية .

هذه الحقيقة تضع ايدينا على العنصر الرئيسي الذي يمكن ان يهدد كيان المجلة ـ ومن ثم بقاءها ـ من داخلها ، واعني به مادتها وفلسفة تحريرها .

فالمجلة التي لا تستجيب في مادتها وفي فلسفة تحريرها للهموم والمطالب الروحية والفكرية الآنية ، او التي تخطىء فهم هذه الحاجات الملحة ، فتنحرف او تنجرف الى مشكلات وهمية او قضايا لم يعد لها في الواقع رصيد من هموم الناس ، والمجلة التي تنغلق دون ما يجري في العالم ، سواء للجهل به أو لتجاهله او رفضه ، والمجلة التي لا تفتح صدرها للمغامرات والكشوف الجديدة ـ المجلة التي هذا شأنها، تصبح مهددة من داخلها ، ويؤذن نجمها بالافول .

ولاضرب مثالا على هذا بأشهر مجلتين ادبيتين عربيتين شغلتا شطرا كبيرا من الربع الثاني من هذا القرن ، هما مجلة « الرسالة » ومجلة « الثقافة » . فالحقيقة انهما انتهتا بنهاية سنة ١٩٥٢ (وان كانت نهايتهما قد بدأت قبل ذلك ببضع سنوات) ، وكانت هذه النهاية في الحقيقة نتيجة طبيعية لتحللهما من الداخل ، حين صارت مادة تحريرهما ، والعقلية الموجهة لفلسفة هذا التحرير ، بعيدة عن ان تستجيب للمطالب الروحية والفكرية المتجددة . هذا هو السبب الحقيقي الذي انهى حياة المجلتين ، واي سبب آخر ـ أن صح ان هناك سببا اخر ـ انما هو ثانوي .

ولاسمح لنفسي ـ لتأكيد هذه الحقيقة ـ برواية هذه الواقعة . فقد كنت انشر في مجلة الثقافة منذ عام ١٩٤٨ ، وعاصرت مرحلة تدهورها سنة بعد سنة ، فتحمست قرب نهاية سنة ١٩٥٢ ، وتحمس معي بعض الرفاق ، منهم صلاح عبد الصبور وفاروق خورشيد وعبد الرحمن فهمي وأحمد كمال زكي ، لتدارك المجلة قبل سقوطها النهائي، وافتعنا لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وكان على رأسها المرحوم الدكتور احمد امين ، بان يتركوا لنا امر تحرير المجلة . وبقدر ما كانت ظروفنا المادية المحدودة آنذاك تسمح احدثنا تغييرا كبيرا في شكل المجلة وفي اسلوب اخراجها . ولكن الاهم من هذا ما ظهر في مادة تحريرها من نفس جديد ، جذب اليها قراء جددا فصارت توزع من النسخ ثلاثة أضعاف ما كانت توزع . ولكن واحدا من شيوخ لجنة التأليف اصيب بحمى حقيقية على اثر قراءته احدى المقالات ، فركب رأسه ، ولم يجد سبيلا لتنحيتنا ـ وكنا في هذا العمل متطوعين ـ الا ان تغلق المجلة . وكان اغرب حدث في حياة هذه المجلة ، وربما في حياة اي مجلةاخرى،اننا اصدرنا العدد الاخير منها عددا « ممتازا » ، وهو في الوقت نفسه العدد الذي رثينا فيه المجلة واعلنا احتجابها بعده .

وانا اذكر هذه الواقعة ـ وهي ليست شخصية تماما ـ لكي اؤكد ان من اخطر ما تواجهه المجلة الفكرية والادبية عامل التدمير الذاتي الداخلي ، نتيجة لتخلف مادتها وفلسفة تحريرها ، انها تفقد عندئذ صفة « المجلة الحقيقية » كما حددها ديهاميل .

ولغياب هذه الحقيقة عن الاذهان ، وبعد انقطاع دام اكثر من عشر سنوات ، اعادت الادارة الثقافية في وزارة الثقافة في مصر ، او ما سمي بادارة المجلات الثقافية ، هاتين المجلتين الى الوجود، واعادت معهما المرحومين احمد حسن الزيات (صاحب الرسالة القديمة) ومحمد فريد ابو حديد ، (اخر من رأس تحرير مجلة الثقافة) . وقد كان طبيعيا ان تخفق هذه المحاولة ، اذ حسب القائمون عليها ان هذه العودة سترتبط حاضر المجلتين بماضيهما المجيد . ومن هذا المنطلق صدرتا ، حتى ان الزيات جعل رقم العدد الاول من الرسالة (الجديدة) هو الرقم التالي لاخر عدد كان قد أصدره من رسالته القديمة . وبهذا اخفقت المجلتان ـ من حيث مادة تحريرهما وفلسفة هذا التحرير ـ في ان تلبيا مطالب المرحلة الجديدة ، على تفاوت يسير بينهما في مدى هذا الاخفاق ، واغلقتا .

وهكذا يتضح لنا ان الحقيقة العامة في شأن المجلة الفكرية والادبية يمكن ان تفسر لنا ـ جزئيا ـ الحقيقة الخاصة في شأن ما تواجهه المجلات الادبية في مصر من ازمة .

ونقول « جزئيا » لان ازمة هذه المجلات في مصر لا ترد كلية ونهائيا الى مسألة التحرير من حيث مادته وفلسفته فحسب ، بل لها اسباب اخرى خارج هذا النطاق ، سوف نعرض لها وشيكا .

ونكمل الان الصورة من خلال الواقع التاريخي القريب فنشير الى

قيام مجلة « الاداب » البيروتية في اعقاب اختفاء الرسالة والثقافة القديمتين ، فقد استطاعت هذه المجلة منذ اللحظة الاولى ، وبوعي متفتح ، وادراك لطبيعة التطور ، ان تستوعب كل الطاقات الفكرية والادبية الجديدة ، التي كانت في بداية الخمسينيات في الوطن العربي وفي مصر بخاصة ، تفتقد المنبر الحي الذي يستوعب مبدعاتها ومغامراتها الروحية . وكان ضمن هذه الطاقات المجموعة التي حررت الاعداد الاخيرة من مجلة الثقافة القديمة ، والاصوات الجديدة الطالعة في العراق آنذاك ، اصوات نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وكاظم جواد وغائب طعمة فرمان وعلي الحلي وغيرهم . وفي الوقت الذي استوعبت فيه « الاداب » هذه الطاقات حرصت على ان تكون النافذة التي يطل منها المثقف العربي - القارىء والمبدع جميعا - على ما يجري في العالم وما يتجاوب فيه من تيارات فكرية وادبية جديدة . وعلى هذا النحو حققت « الاداب » وجودها المعنوي ، وصارت - من حيث مادتها واسلوب تحريرها - مجلة بالمعنى الحقيقي .

ومن هذه الصورة المقارنة بين وجهي الحقيقة تتأكد الحقيقة نفسها ، وهي ان نوعية المادة في المجلة وفلسفة تحريرها بعامة تحددان ما اذا كانت تسير في خط صاعد او خط هابط ، تحددان مدى فعاليتها في الحياة الثقافية ، ومدى قدرتها على الاستمرار في اداء رسالتها ، او مدى تعرضها للتحلل والتراجع والتخلف ثم الموت . وكما ان بعض الناس يموتون قبل الموت ، وبعضهم يموت حتى قبل ان يولد ، او يولد ميتا - كما يقال أحيانا - فكذلك الامر بالنسبة لبعض المجلات .

على ان هذه الحقيقة اذا كانت كافية لتفسير اختفاء بعض المجلات الادبية والثقافية في مصر فانها لا تكفي دائما لتفسير احتجاب عدد آخر من المجلات ، واعني بهذا المجلات التي لم تكن تواجه مشكلات من حيث نوعية المادة واسلوب التحرير الملائمين .

ونحن نقرأ في كتاب « أهداف العمل الثقافي » ، وهو الكتاب الذي اصدرته وزارة الثقافة في مصر عن دار الكاتب العربي للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨ ، بصدد الحديث عن المجلات الثقافية التي صدرت عن الوزارة نفسها قبل هذا التاريخ : « ... كان منها - اي المجلات الثقافية - ما يصدر ويحتجب دون مستند واحد يؤرخ أسباب صدورها واسباب احتجابها ، بل دون سند يمكن ان يستنتج منه علة الاصدار والتوقف . » (ص ١٠٥)

ونحن نوافق على هذا الكلام في مجمله ، لان قيام مجلة جديدة يعد حدثا تاريخيا له اهميته ، ولان اختفاءها - كما قال ديهاميل - كارثة . وفي كلا الحالين لا بد من توافر السند الذي يحمل مبررات الانشاء واهدافه ، او اسباب الاغلاق ومبرراته .

ونحن - مع تسليمنا بوجاهة هذا الكلام في مجمله - نستطيع ان نستنتج المبررات الكافية لاغلاق مجلتي الرسالة والثقافة في مرحلة احيائهما المتكلفة . وقد فرغنا من هذا الاستنتاج منذ قليل . ولكننا لم نعرف حينذاك - وحتى اليوم - سببا او مبررا وجيها لاحتجاب مجلة « الشعر » او اغلاقها ، وهي المجلة التي انشاتها وزارة الثقافة في مصر ، في عهد الادارة العامة للمجلات الثقافية ، اي في الحقبة نفسها ، وكان الدكتور عبد القادر القط يراس تحريرها . فقد لوحظ من الاقبال الشديد على هذه المجلة انها سدت فراغا كان محسوسا ، ولبت حاجات ومطالب لدى المثقف العربي آنذاك في مجال الشعر وما يتصل به من دراسات . وقد كان من السهل على كل متابع لحركة هذه المجلة ان يدرك انها كانت في صعود ، وان رقم توزيعها (رغم سوء هذا التوزيع ، وهو ما سنعرض له بعد قليل) الذي بلغ ثمانية آلاف نسخة يؤكد انها كانت ماضية في اداء رسالتها على النحو الملائم . ولكنها كذلك اغلقت مع بقية مجلات تلك الحقبة (باستثناء مجلة « المجلة » التي كان لها وضع اداري خاص نسبيا) دون سند يؤرخ سبب احتجابها - كما يقول كتاب الوزارة .

ويمضي كتاب الوزارة - مستدركا على ما حدث من قبل ، فيقول عن المجلات انه « اعيد تنظيمها ، وافردت لها ادارة كاملة ، بها قسم اخراج ، واخر للتحرير ، وثالث للاعلان ، وهكذا ، يتابع وينسق فيما بينها وبين النشاط الثقافي خارج الوزارة . ووضع الى جانب كل رئيس تحرير هيئة تحرير مسئولة معه . وجهاز اداري ييسر له العمل. كما وضع لكل من المجلات تخصص واضح حتى لا يضطرب القارىء بينها جميعا ، وصدرت المجلات على الوجه التالي :

١ - مجلة المجلة ، وتتخصص في النقد الادبي والفنون التشكيلية.

٢ - مجلة الفكر المعاصر ، وتفتح صفحاتها لكل ما يقدمه الفكر في مجال الفلسفة والسياسة والاقتصاد .

٣ - مجلة الكاتب ، وتقدم الفكر القومي العربي في مجالاته المختلفة .

٤ - مجلة الكتاب العربي - وقد تحولت الى سجل فصلي يصدر كل ثلاثة شهور ، ويقدم حصرا شاملا لنشاط الكتاب .

٥ - مجلة الفنون الشعبية ، وتصدر لتسد حاجة القارىء الى الابحاث الجادة في مجال الفن الشعبي .

٦ - ومنذ مطلع عام ١٩٦٨ ضمت الى مجلة المسرح مجلة السينما، وكانت تجربة تبشر بنجاح كبير في خدمة الفنيين . »

هذه اذن هي المجلات الادبية والثقافية التي كانت تصدر عن الوزارة في اواخر الستينات ، وهي موزعة - كما هو واضح - توزيعا جيدا على مجالات الاهتمام الثقافي المختلفة ، وان غاب منها الشعر والقصة .

اما مجلة المجلة - وكان يرأس تحريرها الاستاذ يحيى حقي - فقد التزمت قالبا فكريا متزمتا ، وكانت تضم أشتاتا من المقالات في موضوعات مختلفة ، ولم تنجح في ان تكون - كما اريد لها - مجلة للنقد الادبي والفنون التشكيلية . اما الاصوات الشابة فكانت بمنأى عنها . وفي اواخر الستينيات ، وتحت الضغوط المستمرة لهذه الاصوات ، افرد لهم عدد صيفي ، نشر فيه بعضهم شيئا من نتاجه ، بخاصة في القصة القصيرة ، وكانه عدد منبوذ. وقد ظلت كذلك حتى جاء وقت فقدت فيه - او كادت - مبرر وجودها ، فاسندت رئاسة تحريرها الى الدكتور عبدالقادر القط ، وشكل لها مجلس تحرير جديد . وعند ذلك تغير اسلوب تحريرها ، وتطورت من حيث الشكل والمادة تطورا ملحوظا . ولكنها لم تمض في طريق نهوضها اكثر من عشرة اشهر حتى اغلقت . على أنها لم تغلق وحدها بل أغلقت معها سائر المجلات (باستثناء مجلة الكاتب فقد كانت لها ظروف خاصة) حتى مجلة الفنون (وكانت مجلة فصلية قيمة للغاية ، لم يصدر منها سوى ثلاثة اعداد فيما اذكر) قد اغلقت معها كذلك .

ونعود فنتذكر قولة ديهاميل ان اختفاء مجلة يعد كارثة فنتصور حجم الكارثة عندما اختفت هذه المجلات جميعا ، بخاصة انها اختفت في وقت كانت فيه الحياة الثقافية في أمس الحاجة اليها ، وكانت كل واحدة منها تؤدي وظيفتها المنوطة بها في حقل الفكر والادب على نحو ملائم . والحق انها كانت سجلا حيا للحياة الثقافية والادبية في مصر في اواخر الستينات ومستهل السبعينيات . وفي حدود ما اعلم يتصاعد ثمن مجموعات هذه المجلات - ان وجدت - يوما بعد يوم، وذلك

لما تمثله او تمثل فيها من قيمة حية باقية . وحين نتذكر هذا كله تتجسم امامنا فداحة الكارثة .

ونعود كذلك فنتذكر ما ورد في كتاب وزارة الثقافة في سنة ١٩٦٨ من ملاحظة ان بعض المجلات الثقافية كان يظهر ويحتجب دون مستند يؤرخ اسباب صدورها واحتجابها ، فنرى ان هذا النقد ـ الذي صدر عن الوزارة نفسها ـ كان قد تبخر ولم يؤبه به حين اغلقت تلك المجلات بعد ذلك بثلاث سنوات . ذلك ان رؤساء تحرير هذه المجلات لم يبلغوا الا بأمر اداري في سطر او سطرين ، يدعوهم الى التوقف عن اصدارها .

وقد كان طبيعيا ان يثير هذا الاجراء في الاوساط الثقافية كثيرا من التساؤل المشوب بالسخط والامتعاض ، فكان الجواب اولا بان هذه المجلات اغلقت لا الى الابد ، بل لكي يعاد اصدارها او اصدار بدائل منها . ولتأكيد هذه النوايا نيط بصديقنا الشاعر صلاح عبد الصبور اصدار مجلة للشعر عن المؤسسة العامة للتاليف والنشر . وصدرت مجلة الشعر ، واستبشر الناس خيرا ، ونفدت نسخ العدد الاول منها في ساعات . وقد كان عددا مبشرا حقا ، ولكنه كان العدد الاول والاخير. وهكذا ما كادت هذه المجلة تظهر حتى اختفت . لقد وئدت في مهدها . اما لماذا صدرت ولماذا احتجبت فلم يقدم للناس اي مبرر او تفسير ، وظلوا في حيرتهم يتساءلون .

ثم كانت الاجابة ثانيا ان صدور تلك المجلات كان يشكل خسارة مادية تثقل كاهل ميزانية المؤسسة الثقافية التي تصدرها .

وهنا يمكننا الوقوف على مشكلة ربما كانت اخطر ما تواجهه المجلات الثقافية في العالم بعامة ، منوهين بأثرها على المجلات الثقافية في مصر بخاصة ، واعني بذلك مشكلة تمويل المجلة او وضعها المالي .

لقد كان من المألوف الى عهد قريب ان تدفع الحماسة فردا او جماعة الى اصدار مجلة ادبية ، وتحمل اعبائها المادية والمعنوية ، بكل ما يستتبعه هذا من تضحيات . ولكن ثبت ان تحمل هذا العبء لمدة طويلة غير ميسور . فمجلة « الجوانب » التي انشأها خليل مطران في مصر في اوائل هذا القرن لم تستمر ـ في حدود ما اذكر ـ اكثر من عامين . ومجلة « جاليري ٦٨ » التي اصدرتها جماعة من الشباب المتحمس في القاهرة بعد نكسة حزيران لم تتم عاما . اما مجلة «الادب» التي اصدرها المرحوم الاستاذ امين الخولي في سنة ١٩٥٦ فقد استمرت عشر سنوات نتيجة عناد واصرار في الرجل كانا منقطعي النظير. ولهذا فقد عجزت جماعة الامناء عن ان تستمر بها حية بعد وفاته الا الى امد قصير وبتعثر شديد . ومع ذلك فمن بين هذه المجلات الثلاث التي ذكرناها كانت مجلة الادب هي الوحيدة التي تحصل على معونة مادية من وزارة الثقافة في مصر . لقد كانت حقا معونة هزيلة ، ولكن لولا عناد الرجل العنيد لاحتجبت بعد اشهر من صدورها . ولن اتحدث عن مجلة كمجلة « الاديب » البيروتية ، فليس لدي معلومات عن اوضاعها المالية ، ولا عن مجلة « الاداب » التي يصدرها صديقنا الدكتور سهيل ادريس ، وان كنت اعتقد انها ـ رغم استنادها الى دار نشر ناجحة ـ لم يخل الامر من معاناتها لبعض الازمات المالية . وبديهي انني لا املك اي معلومات عن اخر مغامرة من مغامرات الافراد في انشاء مجلات فكرية وادبية ، واعني بها مجلة الشرارة ، التي اصدرها مؤخرا صديقنا الاستاذ غالي شكري في بيروت .

واخلص من هذا الى ان التمويل يمثل مشكلة اساسية بالنسبة الى وقتنا الحاضر ، اعني ربحا خالصا من عائد بيعها دون استعانة بالاعلانات
وقتنا الحاضر ، اعني ربحا خالصا من عائد بيعها دون استعانة بالاعلانات
او الهبات وما اشبه ، بل الطبيعي ان تحقق خسارة مادية .

وليس بالضرورة ان تكون هذه الخسارة نتيجة لكسادها في السوق وعدم اقبال الناس عليها ، بل ان هذه الخسارة تقع نتيجة للعكس ، اي لانتشارها واقبال الناس عليها . وانا اعلم ان مجلة المسرح القاهرية كانت تتزايد الخسارة المادية فيها مع تزايد الاقبال عليها وزيادة الاعداد المطبوعة منها .

وهذا يعود بنا الى قضية الكسب والخسارة بالنسبة للمجلات الثمينة التي احتجبت في مطلع السبعينيات من ساحة الثقافة في القاهرة فنقول : اننا نسلم ـ ولا بد لنا من ان نسلم ـ بان هذه المجلات كانت نفقاتها تزيد قليلا او كثيرا عن العائد المادي منها . ولكننا نتوقف هنا عند امرين .

الامر الاول يتعلق بالنفقات . ولا شك في ان المجلات المصرية تشارك في معاناة كل المجلات بل الصحافة في العالم من ارتفاع اسعار الورق ونفقات الطباعة ، ذلك الارتفاع الذي انتهى بكثير من الصحف في اوروبا الى الاحتجاب ، والذي يهدد اكبر الصحف فيها واوسعها انتشارا بخسارة مالية فادحة .

اضف الى هذا ان مكافآت التحرير كان لا بد لها ان ترتفع في مقابل التضخم المالي العالمي ، اذا كانت المجلة حريصة على جودة المادة التي تريد ان تقدمها الى الناس .

وهذا وذاك من شانه ان يرفع نسبة النفقات .

لكن هناك عنصرا اخر يزيد من حجم هذه النفقات في المجلات التي تصدرها وزارات الثقافة والاعلام ، ويتمثل في مرتبات الموظفين الاداريين والفنيين . وقد رأينا من قبل كتاب وزارة الثقافة في مصر ، الصادر في سنة ١٩٦٨ يحدثنا عن انشاء « ادارة كاملة » ذات اقسام مختلفة لتنسيق العمل بين مجلات الوزارة ، وعن انشاء جهاز اداري خاص بكل مجلة على حدة ، وعن هيئة للتحرير الى جانب رئيس التحرير . وكل هذا يترجم الى مرتبات ومكافآت مالية تحسب على المجلة .

الا يكون غريبا بعد كل هذا ان يقال في سبب ايقاف تلك المجلات انها لا تغطي نفقاتها ، بل ـ على العكس ـ تنتهي الى خسارة مادية محققة ؟!

اما الامر الثاني فيتعلق بمعنى الكسب والخسارة في هذا المجال .

ان المجلة حقا سلعة في السوق ، تباع وتشترى ، ولكن ليس من واجبها ـ بخاصة المجلة الفكرية والادبية ـ ان تحقق ربحا ماديا مباشرا، يمكن احصاؤه بالارقام . فالكسب الذي تحققه مثل هذه المجلة كسب معنوي ، وستعجز كل وسائل الاحصاء عن تقدير ما ينتج عن هذا الكسب المعنوي من مكاسب مادية . ومن ثم كان من واجب الدولة ان تدعم كل المؤسسات الثقافية فيها ، لا المجلات الفكرية والادبية فحسب . ولا يدري الا الله كم كسبت مصر من وراء مجلتي الثقافة والرسالة في الوطن العربي ، على الرغم من ضآلة المعونة التي كانتا تحصلان عليها من وزارة التربية والتعليم (وزارة المعارف آنذاك) في شكل اشتراك فيما لا يزيد عن ٦٠٠ نسخة من كل عدد . واذا كانت الدولة تتحمل في ميزانيتها كل عام مبالغ طائلة من اجل توفير رغيف الخبز لكل مواطن فما كان احراها ان تتحمل الخسارة الضئيلة التي تعود عليها من وراء تلك المجلات الثقافية .

وتبقى الان مشكلة اخيرة تواجهها المجلات الثقافية في مصر في اغلب الاحوال ، وهي مشكلة التوزيع . فالمؤكد انها تعاني كثيرا من سوء التوزيع داخليا وخارجيا ، بغض النظر عن موضوع الكسب والخسارة .

ان هذه المجلات يتركز توزيعها داخليا في مدينتي القاهرة والاسكندرية بصفة اساسية . ولست ادري لم غلب على تفكير شركات التوزيع ان هذه المجلات لا تطلب الا في هاتين العاصمتين والى حد ما في كبريات المدن ، كبور سعيد وطنطا والمنصورة والسويس . الغالب ان هذا التفكير لم ينتج عن دراسة موضوعية . ولو استرشدنا بالدراسة التفصيلية التي اجرتها الجامعة الامريكية في القاهرة بالتعاون مع « اراك » لتوزيع الجرائد والمجلات والكتب في جمهورية مصر العربية لادركنا كيف ان نسبة التوزيع في صعيد مصر وفي الوجه البحري اعلى في معدلها منها في الاسكندرية والقاهرة . ومع ذلك فلست اعتقد ان مجلة « الثقافة » القاهرية اليوم تصل الى كل قرية من قرى الصعيد والوجه البحري . بل اكثر من هذا لا اعتقد انها تصل الى كل حي من احياء القاهرة والاسكندرية ، او تتوافر في مواطن التجمعات الثقافية والطلابية في المدينتين ، فضلا عن غيرهما من المدن .

اما بالنسبة للتوزيع في الخارج فمعاناة المجلات منه اشد ، لان شركة التوزيع عاجزة عن ان توصلها الى كل مكان يحتاج فيه اليها ، او تشق لها الطرق الى مواطن جديدة ، بل تكتفي باسلوبها التقليدي في التوزيع الخارجي ، وفقا لخطة درجت عليها منذ عشرات السنين .

واذكر ـ بهذه المناسبة ـ احدى المفارقات الغريبة التي توضح ما اريد . فقد علمت من الدكتور عبد القادر القط ان شركة التوزيع كانت ترسل من مجلة الشعر التي كان يرأس تحريرها الف نسخة الى العراق، ومثلها الى السودان ، ثم مائة واربعين نسخة لكل الاقطار العربية في شمال افريقيا . ولا أدري كم كان نصيب كل قطر من هذه الاقطار !

وكل هذا يؤكد لنا ان مشكلة التوزيع التي عانت وتعاني منها المجلات الثقافية في مصر تحتاج الى دراسة خاصة ، لاستنباط الحقائق الموضوعية التي تنير الطريق الى اسلوب علمي ناجح .

* * *

وبعد فقد حاولنا في هذه العجالة ان نلم بالصعوبات والمشكلات التي تواجه المجلات الثقافية بعامة وفي مصر بخاصة ، سواء منها تلك التي تهدد المجلة من داخلها او التي تمثل حجر عثرة في طريقها من الخارج . ولعل هذا يعيننا في الوقت الراهن وفي المستقبل على تجنب كثير من الاخطاء التي وقعنا فيها من قبل ، ويسدد خطانا .

عز الدين اسماعيل

(مجلة « الثقافة » المصرية)

عبد الجبار داوود البصري

واقع المجلات الثقافية والادبية في العراق ومشاكلها

اولا ـ مفاهيم عامة :

المجلة مصطلح فضفاض ينضوي تحته عديد من الانواع الصحفية، مختلفة الاشكال مختلفة المضامين ... ويمكن تشخيصها دون تعريفها بمزاياها .

فهي من حيث الشكل :

تختلف عن الجريدة والكتاب وتقف وسطا بينهما ، ويتضاءل هذا الاختلاف عند التأمل والتعمق ... فصيفة الجريدة كما يقال « قليل من كل شيء في كل اسبوع او شهر » الا بالتراخي الزمني بين الاعداد، وسلاسل الكتب كروايات الهلال لا تختلف عن اعداد مجلة الهلال .

وقد تختلف المجلة عن الكتاب بكون بنائها مزيجا من المقالات والقصص والشعر والمسرحيات والمقالات والتقارير ، وان القارىء لا يقراها كما يقرا الكتاب من بدايته الى نهايته وانما هو يختار منها بحرية وحسب حاجاته وذوقه ومزاجه الراهن .

وينجم عن هذا المزيج فرق اخر بين جمهورها العام المتعدد الفئات وجمهور الكتاب الخاص ... الا ان تكون المجلة متخصصة او مهنية .

واذا كان الكتاب لا يستهلك عند قراءته الاولى فان المجلات الراقية تميل الى ذلك ايضا في الوقت الذي اصبحت فيه بعض الكتب الرديئة الطبع كالجرائد اليومية سريعة العطب قابلة للاستهلاك .

اما من حيث المضمون :

فنحن مع الراي الذي يذهب الى ان المجلة ليست هذا الوعاء الخارجي الذي ليس له من مهمة الا ان يجمع جمعا آليا بين الاثار الادبية او بين الاسماء الادبية .

وانما هي كائن حي يغلو ويغتذي ، ويمد ويستمد ، ويفعل وينفعل ، ويشاطر ويخاصم ، وهي الارض التي تبدأ عليها الشتلات والبراعم الادبية والفكرية حياتها . فمن اعماقها تستمد غذاءها ، وفي نطاقها تتآخى وتتجمع وتتبلور فيجور الجذر على الجذر ويحجب النبات النبات او يحميه او يظلله .

وهي اكثر من هذا حافظة التراث ، وذاكرة الامة ، وجامعة من لم ينتم لجامعة تتفوق على غيرها من الجامعات الرسمية بحرية البحث وجراته وتجدده المستمر والتحلل من التقاليد والاعراف الجامدة .

والحديث عن دور المجلة في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والابداع انما هو جزء من الحديث عن دور الصحيفة كمصطلح عام .

وتستطيع الصحيفة حين تنفرد بالعمل ان تسعى لتوسيع الافاق الفكرية وتركيز الانتباه عند الجماهير ، وخلق البطولات الشعبية في الفكر والفن والمجتمع ، واقامة حوارات سياسية في خدمة التنمية القومية وتكوين الراي العام والذوق العام . وتصحيح المواقف الخاطئة بما تشنه من حملات صحفية .

وكان لينين يقول : بان الصحيفة ليست داعية جماعيا ومحرضا جماعيا فحسب وانما هي منظم جماعي ايضا ، وقد شبهها بمنفاخ حدادة هائل يستطيع ان ينفخ في كل شرارة من شرارات النضال الطبقي والسخط الشعبي ويجعل منها حريقا عاما .

وان المنظمة التي تتكون حول الصحيفة انما هي منظمة تعاونية تتكون عفويا وتتلقى تعليمات العمل بمواعيد منتظمة انتظام صدور الاعداد ، وبمضي الزمن تزداد صلابة التنظيم وتكون القاعدة مستعدة للوقوف وراء الصحيفة بشرف وتضحية .

ومن هنا كان لينين يرفض تعميم مبدأ حرية الصحافة لانها في نظره تساوي مبدا التنظيم السياسي ، وكان يفهم الحرية بمعنى التحرر من الراسمال والتحرر من الوصولية والفوضوية .

وحين لا تنفرد الصحيفة في العمل ، وهذا هو الواقع ، فان الدور الذي تضطلع به يختلف باختلاف المستوى الحضاري .. فحيث تكون فرص التعلم والاعلام عديدة ووسائلها متنوعة ينكمش دورها ويتضاءل .. وحيث تتضاءل تلك الفرص والوسائل يتضخم دورها واهميتها .. وفي كلتا الحالتين لا يمكننا سوى ضم اثرها الى اثار وسائل الاعلام الجماعية الاخرى شانها شان الحرف في النحو العربي لا يظهر معناه الا مع غيره من الكلمات .

ثانيا ـ التعريف بالمجلة العراقية :

(١) المجلة العراقية والقانون :

لم يضع المشرع العراقي في القانون النافذ حاليا شروطا قاسية في طريق اجازة المجلة ، وكل ما اشترطه ان يكون مالكها غير محكوم عليه بجناية غير سياسية او جنحة مخلة بالشرف ، وان يكون مقيما في مكان صدورها ومزودا بشهادة جدارة من نقابة الصحفيين او حاملا شهادة جامعية متخصصة ، ويساوي بين العراقيين وغير العراقيين وبين الشخص الحقيقي والشخص المعنوي ، ولم يشترط اية قيود مالية .

وقد يسّر المشرع العراقي كذلك اجراءات الترخيص .. ففي حالة التوفر للشروط المشار اليها تعتبر المجلة مجازة بعد مرور شهر واحد

من تاريخ تسجيل الطلب ، الا اذا رفض وزير الاعلام الطلب ، ويحق لمن رفض طلبه الاعتراض لدى مجلس الوزراء ، اما بالنسبة لغير العراقي فلا بد من موافقة وزارة الخارجية .

وقد وضع المشرع العراقي قيودا على النشر في المجلات تحرم نشر كل ما يسيء لرئيس الجمهورية واعضاء مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء والوزراء وعلاقات العراق الخارجية ومفاهيم الثورة ، وحرمة الاداب والقيم الخلقية ، والعملة العراقية . ومنع المشرع نشر كل ما يعتبر ترويجا للافكار الاستعمارية والانفصالية ، والرجعية والاقليمية والصهيونية والعنصرية ، وما يثير البغضاء والحزازات ، وما يحرض على ارتكاب الجرائم وما يشكل طعنا بالاديان المعترف بها ، وما يؤثر في سير المحاكمات والادعاء العام .

واشترط لنشر تصريحات رئيس الجمهورية واعضاء مجلس قيادة الثورة ورئيس الوزراء والوزراء ، والمحاضر السرية للمحاكم ، ومداولات مجلس الوزراء وقراراته والاتفاقيات الدولية ، وسير التحقيق في الجرائم ، واوامر حركات القوات المسلحة ، والقرارات المتعلقة بالتسعيرة والاستيراد والتعريفة الجمركية وتبادل العملات ، الحصول على اذن من الجهات المختصة .

وحقيقة هذه القيود انها توجيهات تحدد عمل السلطة قبل غيرها لان جل الصحافة العراقية وبضمنها المجلات انما هي ملك للقطاع العام.

ويلغى ترخيص المجلة في الحالات التالية :

بناء على طلب المالك ، وزوال شخصيته المعنوية ان كان شخصية معنوية ، وبناء على تاخر صدورها ٦٠ يوما اذا كانت اسبوعية و ٩٠ يوما اذا كانت نصف شهرية و ١٢٠ يوما اذا كانت شهرية وستة اشهر اذا كانت فصلية وسنتين اذا كانت سنوية .

كما يلغى الترخيص اذا نشرت المجلة ما يشكل خطرا على الثورة، والامن ... واذا تحولت الى وسيلة ابتزاز واستغلال غير مشروع .

ويحق لمن الغيت اجازته الاعتراض لدى مجلس الوزراء .

(٢) تاريخ المجلة العراقية :

صدر في العراق منذ عرف الصحافة حتى اليوم ٦٣٩ مجلة موزعة على المدن التالية :

المدينة	عدد المجلات
بغداد	٥٠٠
الموصل	٣٦
النجف	٢٧
البصرة	٢٣
كربلاء	١٣
بابل	١٠
السليمانية	٨
كركوك	٥
القادسية	٤
اربيل	٣
ديالي	٣
واسط	٣
ميسان	٢
المثنى	١
ذي قار	١
الانبار	٠
دهوك	٠
المجموع	٦٣٩

ويبين هذا الجدول كثافة المجلات في العاصمة ثم تناسب الكثافة تناسبا طرديا مع مراكز السلطة وعراقة المدينة .

فالبصرة والنجف والموصل مدن تاريخية عريقة ، وكانت في فترات من تاريخ العراق محل اعتبار سياسي تقوم مقام العواصم السياسية .

اما المثنى ودهوك فهما محافظتان انشئتا حديثا وربما احتسب باحثو الصحافة الذين استقينا منهم معلوماتنا صحفهما ضمن المدن التي كانتا ترتبطان بها .

* * *

ولناخذ فكرة عن حركة ترخيص المجلات العراقية خلال العهود السياسية المختلفة ، نقدم الجدول التالي :

المرحلة السياسية	السنة	عدد المجلات التي منحت ترخيصا
اواخر الحكم الملكي	١٩٥٤	١٥
	١٩٥٥	١٢
	١٩٥٦	٩
	١٩٥٧	٨
الحكم الجمهوري في ظل	١٩٥٨	٢٤
عبد الكريم قاسم	١٩٥٩	١٥
	١٩٦٠	٢١
	١٩٦١	١٩
	١٩٦٢	٨
	١٩٦٣	٥١
الحكم الجمهوري في ظل	١٩٦٤	٢٣
عبدالسلام عارف وعبد الرحمن	١٩٦٥	٢١
عارف	١٩٦٦	٢٩
	١٩٦٧	٣٣
في ظل البعث العربي	١٩٦٨	٤٩
الاشتراكي	١٩٦٩	٣٠
	١٩٧٠	٣٠
	١٩٧١	٢٦
	١٩٧٢	٢١
	١٩٧٣	١٠

ويبين هذا الجدول ان تاريخ الحركة كان موجات متتابعة تبدأ بمد عال ثم تنخفض مناسيبه رويدا رويدا حتى يصل حالة الجزر .. ولكل موجة من هذه الموجات محتواها الخاص .

ففي ظل الملكية ترتبط ظاهرة الجزر بخوف السلطة من حرية الراي ورغبتها في تعقيم الاجواء التي تعمل في ظلها ... وقد وافق الجزء المشار اليه انضمام العراق الى المعاهدة المركزية التي كانت تعرف بحلف بغداد .

وفي ظل عبد الكريم قاسم تشير حالة الجزر الى تحولات السلطة من الجماهيرية الى الديكتاتورية وعبادة الفرد .

وفي ظل الحكم العارفي تشير حالة الجزر الى المصير الذي تؤول اليه الانحرافات التي تتصدى لحكم الشعب .

اما تضاؤل الارقام بعد ثورة ١٧ تموز فهو مظهر من مظاهر ارادة التنظيم والتخطيط وهي ابرز قوانين الاشتراكية .

(٣) تأملات في تاريخ المجلة العراقية :

تبين لنا دراسة تاريخ الصحافة العراقية ما يلي :

أ ــ طيلة تاريخ الصحافة العراقية قبل ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ كانت نسبة المشاريع الفردية هي النسبة الغالبية وبسبب هذه الفردية كانت اعمارها قصيرة حتى ان بعض المجلات لم يصدر منها اكثر من عدد واحد او عددين .

ب ـ يلاحظ ان انتظام الدورة الطباعية وكبر حجم المجلة وزيادة عدد الصفحات وتوفر المادة الصحفية كانت مزايا للصحف الجماعية والرسمية .. يقابلها في المجلات الفردية التراخي في الاصدار، وتفشي ظاهرة الازدواج في العدد الواحد وسوء الاخراج وتعدد هوية المجلة ... حيث كانت تشير بعض المجلات الى انها : (ادبية تاريخية تهذيبية فكاهية رياضية) .

ج ـ تركزت المجلات الفردية في مدينة بغداد بينما كانت الصحف الرسمية والجماعية تتطلع لتغطية المدن العراقية . وبينما كانت المجلة الفردية احادية اللغة كانت الصحف الرسمية والجماعية متعددة الالسن (تركية ـ فارسية ـ فرنسية ـ انجليزية ـ عربية) .

د ـ ان تضخم ببلوغرافيا الصحافة العراقية وكثرة عناوين المجلات لا يدل على ازدهار وخصوبة ونمو في المؤسسات الصحفية بقدر ما يدل على نضال الصحفي العراقي الدائب وحرصه على مواصلة الكفاح بحيث تولد مسميات جديدة لتحل محل مسميات سحبت اجازتها او عطلت او شرد اصحابها ووضعت العصي في عجلتها ...

وقد اعتاد المشتركون في الصحف العراقية ان يتلقوا صحفا لم يشتركوا بها تعوضهم عن الصحف التي اشتركوا فيها سدادا لما دفعوه من بدل اشتراك .

(٤) المجلات العراقية .. الان

واقع المجلات العراقية ينقسم الى اربعة اقسام :

أ ـ المجلات الرسمية : التي تصدرها المؤسسات والاجهزة الحكومية وفي مقدمتها وزارة الاعلام ودوائرها ووزارة التربية ودوائرها، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي والجامعات المرتبطة بها والمجامع العلمية.

وفيما يلي عرض موجز لمجلات وزارة الاعلام ... وهي اكبر القطاعات الرسمية المنتجة للصحف :

تصدر عن دار الجماهير للصحافة :

١ ـ مجلة الف باء : اسبوعية عامة مصورة .
٢ ـ مجلة يورد : خاصة بالثقافة والادب التركماني .
٣ ـ هاوي كاري : خاصة بالثقافة والادب الكردي .

وتصدر عن هيئة تحرير الصحف والمجلات :

١ ـ مجلة الاقلام : شهرية عامة تعنى بالادب الحديث .
٢ ـ مجلة المثقف العربي : شهرية تختص بالدراسات الفكرية والسياسية .
٣ ـ مجلة المورد : فصلية تعنى بالتراث العربي والاسلامي وتحقيق النصوص .
٤ ـ مجلتي : شهرية مصورة خاصة بادب الاطفال .
٥ ـ مجلة التراث الشعبي : شهرية خاصة بالدراسات الفولكلورية.
٦ ـ بغداد : فصلية تصدر باللغة الفرنسية .

وتصدر عن مؤسسات وزارة الاعلام الاخرى المجلات التالية :

١ ـ المثقف الجديد ـ تصدرها مديرية الثقافة الكردية العامة .
٢ ـ الفنون : فصلية تصدرها مديرية الفنون العامة .
٣ ـ الاذاعة والتليفزيون : شهرية تصدرها المؤسسة العامة للاذاعة والتليفزيون .
٤ ـ مجلة سومر : فصلية تصدرها مديرية الاثار العامة .
٥ ـ السياحة : شهرية تصدرها مصلحة السياحة .
٦ ـ القيثارة : نشرة فنية عن الموسيقى والبالية تصدرها دائرة المستشار الفني .

ب ـ المجلات الحزبية :

١ ـ الثورة العربية : مجلة حزب البعث العربي الاشتراكي خاصة بالاعضاء .
٢ ـ الثقافة الجديدة : باشراف الحزب الشيوعي العراقي .

ج ـ صحافة المنظمات الشعبية والجمعيات واهمها :

١ ـ الشباب : مجلة اتحاد شباب العراق .
٢ ـ المرأة : مجلة اتحاد نساء العراق .
٣ ـ صوت الطلبة : مجلة الاتحاد الوطني لطلبة العراق .
٤ ـ وعي العمال : مجلة الاتحاد العام لنقابات العمال .
٥ ـ صوت الفلاح : مجلة الاتحاد العام للجمعيات الفلاحية .
٦ ـ الاجيال : مجلة نقابة المعلمين .
٧ ـ الاديب المعاصر : مجلة اتحاد الادباء العراقيين .
٨ ـ الكتاب : مجلة اتحاد المؤلفين العراقيين .
٩ ـ الحقوقي : مجلة جمعية الحقوقيين العراقيين .
١٠ ـ الرابطة : جمعية الرابطة الادبية في النجف .
١١ ـ الاقتصادي : مجلة جمعية الاقتصاديين العراقيين .
١٢ ـ المهندس : مجلة نقابة المهندسين .

د ـ مجلات القطاع الخاص واهمها :

١ ـ الكلمة : مجلة ادبية تصدر كل شهرين صاحبها حميد المطبعي .
٢ ـ الثقافة : مجلة شهرية ادبية صاحبها الدكتور صلاح خالص.
٣ ـ البلاغ : مجلة شهرية ادبية صاحبها الشيخ محمد حسن آل ياسين .

ثالثا ـ مشاكل وحلول :

(١) المشاكل :

في مقدمة المشاكل التي تعاني منها المجلة العراقية ما يلي :

أ ـ مشكلة الوسط الذي تعمل فيه المجلة :

ان الوسط الذي تعمل فيه مجلات الدول النامية وسط مضاد مطمئن الى مورث ثقافي متنوع في مجالاته ومساربه ، يتبنى تقاليدا واعرافا متخلفة كالقبلية والتفاوت الطبقي والعلاقات غير السليمة بين الجنسين وفوضى التناقض بين الفرد والمجتمع وانعكاسات المصالح والاهواء الفئوية والفردية غير المشروعة .

وفي مثل هذا الوسط تكون الحركة صعبة والتجديد تهمة وفرص النجاح والتطور غير مضمونة .

ب ـ مشكلة المادة الصحفية : ينجم عن اعتماد المجلة العراقية على المادة البريدية معاناتها كثيرا من اكوام الادب الرديء التي تضغط على هيئة التحرير وترهقها .

كما ان بعض هذه المادة البريدية ما يكاد ياخذ طريقه للنشر حتى نفاجأ بانها منشورة في مجلة اخرى او مسروقة .. مما يعقد علاقات هيئة التحرير بمرور الزمن مع عدد لا يستهان به من الادباء .

ومن مشاكل المادة الصحفية الالحاح الذي يمزق هوية التحرير بين الاكثار من المادة المترجمة او التقليل منها وبين افساح المجال للكاتب الوطني او الانفتاح على الاقلام القومية في الوطن العربي .

ج ـ مشكلة الطباعة : لا شك ان المؤسسات الصحفية الحسنة التجهيز والتي تستفيد من التسهيلات التي تقدمها التكنولوجيا وحدها القادرة على البقاء والصمود والنمو .

والحاجات الاعلامية والثقافية تتسع وتتضخم بسرعة في الدول النامية تفوق سرعة التضخم التكنولوجي ونموه مما يسبب ضغطا على الاجهزة التكنولوجية فوق طاقتها ... فنجد المطبعة ـ وهذا ما نلمسه في العراق ـ لا تستطيع تلبية جميع الطلبات مما يؤثر في انتظام صدور المجلات ويخلق امامها المصاعب ويؤدي بالتالي الى كونها صحافة صدى لا صحافة نبوءة .

واذا استطعنا التغلب على هذه المشكلة تواجهنا مشكلة كفاءة المطبعة فالمجلات الاكاديمية مثلا تعاني من ندرة الحرف الطباعي(الفونتيك) و (الرموز الاحصائية) و (ابجدية اللغات الاجنبية) قليلة الانتشار

وخاصة اللغات الافريقية .

د ـ مشكلة الاخراج الفني : مما يتعلق بالمشكلة السابقة ان طباعة الاوفست ... والهليوغرافور تتطلب ورقا من صنف جيد وتمنح المشرفين على الطبع مرونة كبيرة في تنظيم الصفحات وتروج للون وترفع قيمة الصور .. وهذا يعني ان فرص الاخراج الفني امام المجلة افضل من اي نوع صحفي اخر . وتتطلب كادرا فنيا للخط والتلوين والرسم وهي عملة نادرة في حدود مناهجنا التربوية الفنية .. والذين ولجوا هذا الميدان ولجوه غير مختصين .

هـ ـ مشكلة التوزيع ـ لا تكون المجلة مجلة ولا الكتاب كتابا ان لم يصل القارىء ولن يتحقق هذا الهدف بدون كادر واع يتذوق المطبوع ويعي ابعاد الواقع الثقافي لكي يوزع في ضوء هذا الواقع ... كما تفتقر المجلة العراقية الى تذليل الصعوبات امام توزيعها خارج العراق .. يضاف الى ذلك النسبة العالية التي تتقاضاها اجهزة التوزيع حيث تبلغ ٣٠ ـ ٥٠ ٪ من سعر الغلاف .

(٢) الحلول :

واعتقد ان الحلول التالية مفيدة في التغلب على المشاكل المشار اليها :

أ ـ ان مواجهة الوسط المتخلف بمشاريع فردية لن يكتب لها النجاح .. واعتقد ان المشروع الجماعي او المرتبط بجهاز من اجهزة السلطة الوطنية يساعد على الثبات ويمكن من تحمل اعباء النضال الصحفي ويسهل تحقيق الرسالة لان حسابات الاجهزة الثورية لا تعتمد الناحية التجارية ولا تسعى الى تحقيق الارباح المادية بقدر ما يهمها المصلحة العامة وازدهار الفكر والادب التقدميين .

ب ـ يمكن حل مشكلة المادة الصحفية وتلافي كثير من عيوبها في حالة تكوين وكالة ادبية تسعى الى تسويق المقالات والقصص والقصائد وتكون حلقة ارتباط بين الكتاب والمجلات عن طريق المشاركة شانها شان وكالات الانباء التي تمون الجرائد اليومية بالاخبار .

ولا باس ان تتعاون مع هذه الوكالة نقابة الكتاب والمحررين اسوة بنقابة الصحفيين .

ج ـ وتحل المشاكل الطباعية بتوفر الاعتمادات المالية والتوسع في استيراد المطابع وتدريب كادر طباعي ماهر .. ومن المفيد تاسيس مطبعة مركزية تزود بجميع انواع الابجديات وتكون مستعدة لاعارة ما لديها من الابجديات قليلة الانتشار والرموز الاحصائية والعلمية لاية مطبعة عند الحاجة .

د ـ من اجل تطوير فن الاخراج الصحفي وتهيئة كوادر فنية اعادة النظر في مناهج التربية التشكيلية والاكثار من الزمالات والايفادات في هذا المجال الى الدول المتقدمة .

هـ ـ ان حل مشكلة التوزيع الصحفي يبدأ من تغيير النظرة اليه .. فهو يختلف عن توزيع السلع التجارية باعتباره مسئولية وطنية حضارية . ومثل هذه المسئولية تستدعي تعاون مختلف المؤسسات وان يكون دليل التعاون (البحث عن القارىء والوصول اليه) وعدم ترك التوزيع الصحفي تحت رحمة قانون العرض والطلب . ان اجهزة وزارة الاعلام مدعوة لايصال المجلة الى كل مكتبة .. وان الدوائر الحكومية الرسمية وشبه الرسمية مدعوة لايصال المجلة الى كل مكتبة .. وان الدوائر الحكومية الرسمية وشبه الرسمية مدعوة لايصال المجلة الى كل موظف وموظفة ليظلوا على صلة بحركة الثقافة ولكي لا تعليهم مناصبهم الوظيفية .

وان تلبية اية دعوة من هذه الدعوات كفيلة بان ترفع مبيعات اية مجلة اضعاف ما هي عليه وتشجع على تطويرها .

المراجع :

١ ـ الصحافة / بيار البير / ترجمة محمد برجاوي .
٢ ـ الصحافة اليوم / توماس بيري / ترجمة مروان الجابري .
٣ ـ الصحافة الادبية / د . شكري فيصل .
٤ ـ الاعلام والتنمية القومية / و . شرام / ترجمة .
٥ ـ في الادب والفن / جزءان / للينين / ترجمة يوسف حلاق .
٦ ـ ما العمل ؟ / لينين / ترجمة دار التقدم بموسكو .
٧ ـ كشاف الصحف والمجلات العراقية / زاهدة ابراهيم (تحت الطبع ضمن منشورات وزارة الاعلام العراقية) .
٨ ـ الصحافة العراقية / عبد الرزاق الحسني / الجزء الاول .
٩ ـ قانون المطبوعات العراقية .
١٠ ـ وقائع الندوة التي اقامتها مجلة « الاقلام » لدراسة مشاكل المجلات الادبية والمتخصصة في ١٩٧٤/٥/٢٠ بنادي الاعلام .

تجربة « الثقافة الجديدة » العراقية

حول دور المجلات الادبية والثقافية في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي

فضلت هيئة تحرير « الثقافة الجديدة » ان تكون مساهمتها في ندوة المجلات الادبية والثقافية الافريقية الاسيوية ، من خلال عرض تجربة المجلة ، لسبب معين ، في الاقل كون « الثقافة الجديدة » قد واكبت مراحل مختلفة من تاريخ العراق المعاصر ، وعاشت انظمة مختلفة، وتعرضت لسحب الامتياز اكثر من مرة .

صدرت « الثقافة الجديدة » عام ١٩٥٣ ، وكان العراق تابعا يدور في فلك الاستعمار ، تعتصر خيراته الاحتكارات العالمية ، وما فضل منها مقسم بين الاقطاعية والكومبرادور ، وكبار الموظفين ..

وكانت اجهزة الدولة ، تبعا لذلك ، اداة بيد الاقطاعيين وشركائهم ، تمارس ابشع صنوف تدخل الدولة في شؤون المواطنين .. حتى تحول العراق الى سجن كبير ، صودرت فيه ابسط حريات التعبير .. والابداع ، وكان مألوفا اعتقال المواطنين وسجنهم ، على الظن والتهمة ، كانت القوانين من ذلك النوع المسمى قانون « ما شاكل ذلك » .

لم تكتف سلطة الاقطاعيين وشركائهم ، عملاء الاستعمار ، بسجن الشيوعيين والديمقراطيين المستقلين وشتى القوى القومية التقدمية المعارضة ، بل راحت تدبر الخطط لاغتيالهم داخل السجون ، فقبل حوالي شهر من صدور « الثقافة الجديدة » نفذت الحكومة مذبحة في سجن الكوت (١٩٥٣/٩/٣) اذ حصدت رشاشاتها من السجناء السياسيين ٨ شهداء و ١٠٣ جرحى ، بسبب اعلانهم الاضراب ، لاكثر من شهر ، احتجاجا على مجزرة سجن بغداد التي دبرتها الحكومة ضد السجناء السياسيين ، وكان ضحيتها ٢٢ شهيدا وحوالي ٥٠ جريحا .

في مثل تلك الاجواء المشبعة برائحة البارود والموت ، صدرت « الثقافة الجديدة » وهي على وعي تام بالمهام المطروحة امامها .. وتدرك جيدا تحت ظل اي نظام تعمل .. لقد اراد لها الحزب الشيوعي العراقي ان تستقطب المثقفين ، المعادين للاستعمار ، لتكوين الجبهة الثقافية العريضة ، على نحو يستجيب لمتطلبات مرحلة التحرر الوطني .. وكان من اللازم — مراعاة المجلة لحقيقة ان امتيازها (ادبية « غير سياسية ») — ان تزن كل كلمة وتتمعن بالالفاظ ، وتدرك انها تسير في حقل الغام .. ولكن لا بد من السير الى امام .

كان الهدف الاقرب — في المجال الفني — تبني الدعوة لحرية الممارسة الفنية : برفع الرقابة ، والمطالبة بضمان ظروف الخلق الفني . وصولا الى تبني المثقفين للمطالب الثقافية والوطنية .. ثم كان عليها ان تنشر الفكر العلمي فتقدم نتاجات مفكرين ماركسيين من البلدان الراسمالية .. وعليها ان تتدبر مسألة ، غاية في التعقيد ، وهي تقديم نماذج من النظام الاشتراكي ، وبالتالي عكس صورة من الصراع الايديولوجي الدائر في العالم ، اذ كانت الحرب الباردة (والحارة ، الاقليمية) سمة مميزة للجو السياسي العالمي .

ان مهمة الفنانين التشكيليين ، التقدميين ، في مثل هذه العملية، اسهل — نسبيا — من مهمة الادباء .. فوراء التشكيلات المعقدة بوسعهم ان يضللوا حراس النظام ، لدرجة يصعب عليهم اثبات « عدم شرعية الابداع » . واذا قورنت مهمة الادباء : شعراء وقصاصين ، بمهمة كتابة المقالة ، اتضح مبلغ العناء الذي يكابده كاتب المقالة ، صحيح ان ادوات تعبير الادباء في هذه المعركة الكلمات ، ايضا ، ولكن بوسعهم الالتجاء الى الرموز والايحاء .

وقيل — يوم ذاك — ان التعميم والتجريد في المقالات يمكن ان يكون مجنا يقي المجلة غارات العدو .. وتحمي به كتابها .. وقد طرحت الثقافة الجديدة — حينذاك — اسئلة (يصح ان تطرحها مجلات اخرى، افريقية وآسيوية ، في ايامنا هذه ، تبعا للظرف الملموس في البلد المعين) .

ما جدوى التجريد العام في المقالات ، تفاديا لمجابهة الحكم الرجعي ؟؟.. اذا كنا على يقين بان قوة الجذب — للمجلة — تبقى دائما في معالجاتها الملموسة ..؟

ثم كيف ترفع المجلة كفاحية المثقف ، وتجعل ممارسته لعملية الابداع الفكري ممارسة سياسية ، اذا اعتمدت التجريد مبدأ ؟؟ . هل ان نبتة تنقل من هذا الظل الى ذاك ، وتجنب كل هبة ريح تكون قادرة على صيانة نفسها حين تهب العاصفة ؟ (حتى وان استطالت وبلغت مبلغ الاشجار) . اذن لا بد من موازنة دقيقة ، تتفادى بها مواجهة الحكم الرجعي المطلق ، وترفع كفاحية المثقفين ، وبالتالي تؤدي مهمتها ..

* * *

اذا القينا نظرة على العدد الاول ، نلاحظ ان المجلة كانت تقترب من المشاكل العراقية من خلال مشاكل العالم ، وتعرض الخاص في موازاة العام .. وتعالج القضايا الملموسة عبر معالجات نظرية ، كما فعل كاتب مقال (البيروقراطية والدولة) .

يتحدث عن البيروقراطية ، ويعرفها تعريفا علميا ، من وجهة نظر طبقية ، ثم يتحدث عن الدولة ونشوئها ، منذ العصور البدائية ، حتى يتوقف عند نظام دولة ، تشبه دولتنا — يومذاك — وفيها مجلس نواب — ايضا — اغلبيته مطاوعة .. اداة بيد المالكين والمتنفذين . ثم يستمر في تعرية نظام الانتخابات في ظل سلطة الملاك وكبار الراسماليين « .. فاذا لم تعد جميع هذه القيود مفيدة لاحتلال اغلبية مقاعد البرلمان ، عندئذ تعمد الطبقة الحاكمة الى تقييد سلطات الهيئة التشريعية ، لحساب السلطة التنفيذية (التي تسيطر عليها) وتقوم بنفس الوقت بتركيز السلطات بيد الوزراء وممثليهم في الاقاليم ، واخر ما تلجأ اليه هو اعلان النظام الدكتاتوري ، لتسن القوانين التي تفيدها ، دون رقابة شعبية ، او قد تلجأ من حين لاخر الى تعطيل القوانين التي سنتها بنفسها والتي تضمن للافراد بعض الطمأنينة على حرياتهم (كالاحكام العرفية) .

ويواصل (الباحث) تعريته لنظام الحكم ، فيحدث العراقيين عن تفسخ جهاز دولتهم ، واسباب تفشي الرشوة والوساطات ، ولكن باسلوب اتخذ طابع البحث النظري العام ..

وتجد المجلة اكثر من فرصة للتعبير عن وجهة نظرها .. سواء من خلال البحث « نظرية القانون الصرفة — لهانز كلزن — والنقد العلمي لها » ، او من خلال تقديم : شخصية الشهر « زولا — فارس الحق » .

اندريه موروا
مسرحية الشهر « العادلون » البير كامو
كتاب الشهر « هيغو شاعر واقعي »
اراكون

وحتى من نقد لاصدارات عراقية ، ذات طابع تاريخي او قانوني .. فحين تستعرض المجلة كراس « الاحكام العرفية » وهو بحث قانوني صرف — تقول : .. كانت الاحكام العرفية المشئومة سيف ارهاب يعمل

في رقاب الناس ، وكان لا بد للمثقفين من ان يساهموا في الكفاح الشعبي ضد هذا النظام .. »

وتحت باب « في ربوع الفكر » المكرس لتغطية النشاط الثقافي والاجتماعي نشرت المجلة خبرا عنوانه : « اسبوع الفضيلة ! » رسمت خلاله صورة كاريكاتيرية لاولئك المتزمتين « الذين نظموا اسبوعا اطلقوا عليه اسم اسبوع الفضيلة .. على غرار اسبوع المراة ، افتتحوه من دار الاذاعة العراقية بالخطب الرنانة ، حول معارضة الدين لمنح المراة حقوقها السياسية ... ولكي يعطوا افكارهم ، هذه ، قوة التاثير في نفوس الناس ، ادعوا انهم يتكلمون باسم الدين، ويدافعون عن مبادئه ، والدين براء من كل ما يزعمون .. »

واخر صفحات المجلة باب عنوانه « اشتات » هو مجموعة اخبار قصيرة من انحاء العالم .

نقرا فيه هذا الخبر :

كتبت مجلة جامعة هارفارد :

« تستعد جامعة هارفارد لانتخاب رئيس جديد لها وان الانتخاب لعام ٩٥٣ ، يمثل مشكلة تختلف تمام الاختلاف عما هو في تاريخ الجامعات ، فقد كانت جامعة هارفارد تنتخب رئيسا يرضي الطلاب والعمادات والعلم على ان يكون ممن يعتمد عليهم في المحافظة على التقليد الامريكي في حرية السؤال ... اما الان ، وبعد ان اخذ المكارثيون يراقبون الجامعة ويهددونها فلا بد من اختيار شخص يوافقون عليه ، والا فسيهاجمونها .. والمكارثيون هم اتباع السناتور مكارثي ، وهم جماعة يهاجمون شيوعية روسيا ، ويبيعون لنا ولمدارسنا افكار الرعب والخوف والعداء .. والمكارثيون الخ ... »

ترى الى اي حد وفقت المجلة في تنفيذ خط الموازنة الذي الزمت به نفسها ؟

* * *

على اية حال ، لقد سحب امتيازها بعد صدور العدد الثاني ..

وكان على المجلة ان تبذل جهدا استثنائيا لمعاودة الصدور ، فاستغلت وجود معارضة نسبية في البرلمان ، تتبنى المواقف الوطنية .. وهكذا توجهت هيئة التحرير الى احد اقطاب المعارضة (عبد الرزاق الشيخلي) لاقناعه بان اصدار المجلة شكل جيد من اشكال المعارضة للسلطة ، فقدم طلبا لاصدار « الثقافة الجديدة » باسمه وصدرت من جديد عام ١٩٥٤ على نفس النهج الذي رسمته في العدد الاول .. وقد سحبت الحكومة امتيازها قبل ان يصدر العدد التالي .. ويومها وقف النائب ، عبد الرزاق الشيخلي (صاحب الامتياز) في مجلس النواب ينتقد الحكومة ويتساءل في معرض انتقاده :

ـ لماذا اغلقتم مجلة الثقافة الجديدة ؟

فتصدى له رئيس الوزراء (فاضل الجمالي) قائلا : لانها مجلة شيوعية ، فقال النائب : ليدلني رئيس الوزراء في اي سطر وردت الشيوعية ؟ ، واجاب رئيس الوزراء بسهولة : لا توجد عبارة معينة يمكن الاشارة اليها ، ولكن المجلة من الغلاف الى الغلاف حمراء ! .

وحينذاك وجه لفيف من اساتذة الكليات والمعاهد (اغلبهم من غير الماركسيين) رسالة احتجاج على غلق المجلة ، وقد نشرت الرسالة في الصحف ، فاحدثت ضجة نسبية .. وادت الى فصل عدد من الاساتذة .

لقد استطاعت المجلة باعدادها الثلاثة ان تخلق الجبهة (الثقافية) الوطنية وذلك من خلال تجمع الادباء والفنانين وكل المثقفين التقدميين حولها ، وما تقدم مذكرة الاحتجاج التي وقعها عدد كبير من المثقفين غير الماركسيين الا مثال على نجاح المجلة في رفع كفاحية المثقفين وجرهم الى ساحة المطالبة بالحريات الديمقراطية .. وقدمت المجلة ، في اعدادها الثلاثة ، اسماء ادباء وفنانين ، اشتهروا فيما بعد ، على الصعيدين العراقي والعربي ..

وعنيت المجلة منذ صدورها باصدار الكتب والكراريس في مختلف المجالات الفكرية والادبية لعبت دورا ايجابيا في توعية الرأي العام وفضح الحكم الرجعي .. وقد صارت اعداد المجلة الثلاثة ومنشوراتها، حتى بعد اغلاقها ، اشبه بمدرسة تتلمذ فيها العديد من المثقفين وتعلموا تطبيقيا ـ مبدأ الالتزام في الادب والفن ، وكان يومها مدار نقاش لم يصبح من المسلمات بعد ، حتى بين التقدميين ..

ونعتقد (من تجربة الاعداد الثلاثة) ان المجلة حاولت اتباع الاسلوب الملائم في معالجاتها ، ولكن السلطة الرجعية كانت تزداد شراسة ، عشية دخول العراق في الحلف التركي الباكستاني (الذي اصبح فيما بعد حلف بغداد) وما كان بوسع المجلة ان تعيد النظر في اسلوبها .. او تطرح على نفسها اسئلة جديدة، مثل:

هل الابقاء على الامتياز هو الهدف الاول ؟

هل تستظل بخيمة الرمز والتجريد .. ؟

على اية حال .. يبدو انها قد تاثرت بروح التحدي المتزايدة بين صفوف الشعب .. واستمرت على نحو لم تطقه السلطة الرجعية.

ان ثورة الرابع عشر من تموز (١٩٥٨) التي اطلقت سراح (ملازم) العدد الرابع ، الذي بقي حبيسا من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٥٨ ، قد وضعت على عاتق المجلة مهام جديدة وصعبة ، نابعة من كون سلطة الجمهورية الفتية ، التي حلت محل النظام الملكي الرجعي ، كانت سلطة وطنية وديمقراطية ، من حيث العموم ، انبثقت اهدافها الاقتصادية ، والسياسية والاجتماعية ، تبعا لذلك ، من طبيعتها البرجوازية الوطنية ، والديمقراطية العامة . وقد وعت (الثقافة الجديدة) اهداف المرحلة ، وكان عليها ان تسهم في انزال ضربة بمصالح الاستعماروالطبقات الاستغلاليةالكبيرة ـ الاقطاعية والبرجوازية والكمبرادورية ـ وكان على (الثقافة الجديدة) ان تشيع مفاهيم الديمقراطية وتدعو الى مؤسسات ديمقراطية ، وكان عليها ان تتبنى دعوة الاخاء القومي بين العرب والاكراد ، وكان عليها ان تعري المفاهيم للثورة تميزت بالتاثير المتزايد للطبقة العاملة العراقية باتجاهها الثوري الذي عبر عن المصالح الحيوية والجذرية للاكثرية الساحقة من سكان البلاد ..

وشهدت هذه الفترة تحقيق المكتسبات والاصلاحات الديمقراطية.

وكان للمعالجات التي تنشرها (الثقافة الجديدة) دور ملموس .. وقد اثار هذا الاتجاه الثوري فيمسيرة البلاد قلق ومخاوفالبرجوازية الوطنية ، التي وجدت نفسها وجها لوجه امام تعاظم وتصاعد مد الحركة الجماهيرية بقيادة الطبقة العاملة ..

وبغية ايقاف الحركة الجماهيرية استعملت البرجوازية كل اسلحتها وبدت المواجهة ساخنة ..

كان نصيب (الثقافة الجديدة) من هذه المعركة سحب امتيازها اواخر عام ١٩٦٠ بعد ان اصدرت ١٤ عددا .

وقد كتبت في افتتاحية العدد ١٧ (اب ـ ايلول ١٩٦٠) ما يلي:

« يشغل بال المجتمع العراقي اليوم ، ويقلقه ، ويسيء الى سمعة الجمهورية ، ويقلل من امكانيات صيانتها ، تعاظم النشاط الهدام، المخل بالامن والاستقرار ، الذي ياخذ صورا من جرائم التهديد والاعتداء والاغتيال التي يتعرض لها المواطنون بطرق غادرة لئيمة ، تعبر عن وحشية مرتكبيها وتجردهم من القيم الخلقية ، فمنذ اكثر من عام ، اخذت زمر من المرتزقة والشقاة وارباب السوابق ، بالاضافة الى بعض السذج والمخدوعين المغرر بهم ، اخذت تنشط في اقتراف جرائم كان مسرحها معظم مدن الجمهورية وقراها وارىافها ، وتناولت مئات والالاف من المواطنين .. ومن يتتبع وقائع الاجرام هذه يجد انها تناولت مواطنين من مختلف فئات ابناء المجتمع ، من طلاب ومدرسين واساتذة

ومن عمال وفلاحين وكادحين اخرين وحرفيين ، ومما يضاعف القلق في النفوس ، ويضاعف من الاساءة الى سمعة الجمهورية ، هو ان زمر اشقاء تمارس جرائمها جهارا ، في الشوارع ، والمحلات العامة، وفي وضح النهار دون شعور بالحاجة الى الحذر ودون خوف من عقاب ..

ويمكن للمراقب ان يلمس ان جرائم التهديد والاعتداء والاغتيال ضد المواطنين لا تقترف بدوافع ونزوات فردية وانها ليست غاية بذاتها ..»

* * *

بعد التغيير الثوري الذي قاده حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٦٨ عاودت « الثقافة الجديدة » الصدور في نيسان ١٩٦٩، ومع انها ظهرت بنفس الاسم ، وكما كانت من قبل ، مجلة الحزب الشيوعي العراقي ، الا انها ابتدأت تسلسل اعدادها من رقم ١ وقد اصدرت حتى الان ٦٨ عددا ..

ان « الثقافة الجديدة » في مرحلة اصدارها الجديد قد انتقلت في كل ما تكتبه من مجال الشعارات السياسية العامة الى معالجة اخطر القضايا الوطنية والقومية الملموسة ، واعطاء الحلول لها ، كمعالجتها للقضية الكردية ومسالة الحكم الذاتي ، وتحليل مفهوم الجبهة الوطنية ، وتشخيص قواها الاساسية ، وقضايا الاقتصاد والاجتماع : كتاميم النفط ، وتنفيذ الاصلاح الزراعي الجذري .

واولت المجلة عناية خاصة لعقد الندوات الموسعة والمتخصصة ، لمناقشة وانضاج اراء حول قوانين العمل .. مناهج التعليم .. مشاكل المراة العراقية ..

وفي مجال الادب والفن ، الى جانب عنايتها بالتراث الوطني والقومي والانساني ، الذي تعتقد انه ارث حضاري مشاع ، واصلت عقد الندوات لمتابعة الاتجاهات الجديدة.. واولت الشباب — كعهدها — رعاية خاصة ..

كانت « الثقافة الجديدة » منذ عهودها الاولى ، وما زالت ،معنية بربط قضايا التحرر الوطني والقومي بحركة التحرر العالمية ، وبتاكيد وحدة نضال القوى الاساسية المعادية للامبريالية :

— المنظومة الاشتراكية
— الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية
— حركة التحرر الوطني في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ..

وقد اتيحت لها فرصة ترسيخ هذا المفهوم ، خلال السنتين الاخيرتين ، فعمدت الى زيادة عدد صفحاتها واصبحت تتراوح بين ٢٦٠ — ٣٠٠ صفحة . وخصصت حيزا لا يقل عن الثلث، لنشر نتاجات مترجمة لخيرة مفكري العصر ، وفي شتى الميادين ، لمعالجة قضايا التحرر في امريكا اللاتينية وافريقيا واسيا .. ولمعالجة مشاكل الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية .. الى جانب تقديم التجارب الاشتراكية .. خبرة الدول الاشتراكية في معالجة بعض المشاكل وتجاوز الصعوبات وبناء الحياة الجديدة .. وظهور الانسان الجديد ..

* * *

وبعد ، يصح القول : ليس عبثا ان « الثقافة الجديدة » توزع في بلد تسوده الامية — كالعراق — من ١٥ — ١٢ الف نسخة شهريا .. ان لذلك اسبابا يمكن ان تكون قد توضحت .. وان تجربتها من خلال مسيرتها الان بين « ايدي » زميلات لها في النضال ..

وبعد هذا العرض لمسيرة مجلة معينة هي « الثقافة الجديدة »، لا بد من الخروج ، باستنتاجات عامة حول دور المجلات الثقافيةوالادبية في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ..

* * *

— المجلات ادوات تعبئة وتنظيم .. وسلاح فعال بيد الشعب ، ومن هنا لا بد منتاكيد ضرورة النضال لتوفير الفرص امامها .

— في مرحلة التحرر الوطني تناضل المجلة من اجل توفير حرية الممارسة الفنية ، وتطالب برفع الرقابة ، وضمان ظروف الخلق والابداع .

— تسعى الى لف الكتاب والمثقفين حولها لخلق جبهة (ثقافية) وطنية معادية للاستعمار .. قد تكون هي المقدمة لانبثاق الجبهة الوطنية (السياسية) .

— من خلال تبني المطاليب الثقافية والوطنية ، ترتفع كفاحية المثقفين ، ويدخلون معترك النضال السياسي .

— في مرحلة الثورة الوطنية ، تتخطى المجلة مطاليبها السابقة وتناضل من اجل ارساء مؤسسات مادية توفر الشروط اللازمة لممارسة الابداع الفكري .

— المجلة في ظل الدكتاتورية وانعدام الديمقراطية السياسية ، يمكن ان توجه عناية خاصة ، للاداب والفنون وبطرق خاصة تشحذ بها اذهان المثقفين .. وبالتالي تعمق وعي الفرد والجماهير ..

— مع عدم توفر صحف تقدمية اخرى تتسع مهام المجلة الىدرجة كبيرة ، يتعين عليها (تبعا للظرف الملموس) ان تتناول بالنشر ما هو من اختصاص الصحافة اليومية ، الى جانب كونها مجلة متخصصة ، مثل :

— النضال ضد الاستعمار الجديد ، وفضح اساليبه باستمرار..
— النضال من اجل السلم والامن في العالم .
— التاكيد على وحدة نضال القوى الاساسية المعادية للامبريالية
المنظومة الاشتراكية
الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية
حركة التحرير الوطني العالمية .
— ربط النضال الوطني والقومي بالتقدم الاجتماعي .
— النضال في سبيل الديمقراطية والاصلاحات الاجتماعية .

— النضال ضد المفاهيم الانعزالية والشوفينية .. والافكارالعدمية (داخل الحركة الوطنية التحررية) وضد الافكار والمفاهيم المغامرة والانشقاقية .

— الاهتمام بالتراث الوطنيوالقومي وربطه بالامية وتاخيالشعوب.
— الاهتمام بالشباب من الكتاب .. ومتابعة نتاجاتهم بعناية ..
— الاهتمام بمسالة تحديد هوية المثقف والاديب والفنان ، في مجتمع غير متجانس ، والبحث عن حل مناسب لهذه المسالة التي تشغل بال الشباب .

— على المجلة ان توسع علاقاتها بالكتاب والقراء دائما من خلال النشر والتعليق على النتاجات وعقد الاجتماعات الموسعة والمتخصصة لمناقشة محتوياتها وابداء الملاحظات عليها .. وتنفيذ مقترحاتهم بالقدر الذي تسمح به ظروفها .. وبما يتلاءم وخطط العام .

— في مثل ظروف البلدان المتطورة ، وعند المنعطفات السياسية، الحادة ، تبرز نزعة الطفولة اليسارية ، وترتفع اصوات تنادي بان لا جدوى من بقاء المجلة ما دامت غير قادرة على نشر كل شيء.

— على المجلة ان تتحلى بالجراة والموضوعية ، مع ملاحظةالشرعية القانونية ، وتوازن القوى ..

— اذا ادركنا دور هذه المجلات ، كادوات نضالية ، وجب ان نشن نضالا لا هوادة فيه من اجل ضمان حريتها ، ونحرص دائما على المجلات نفسها من شباك القوانين الجائرة — ان الصعوبات المالية، سيف ارهاب مسلط على رقاب هذه المجلات .. وان الثقافة الجديدة — رغم سعة توزيعها — كانت ستعاني الكثير من المشاكل المالية ،لولا مساندة ودعم الحزب الشيوعي العراقي .

شمران الياسري

عن مجلة « الثقافة الجديدة »

وقائع ندوة المجلات الأدبية والثقافية

***

في الثاني من هذا الشهر (كانون الاول ـ ديسمبر) نظم اتحاد الكتاب اللبنانيين ، باشراف المكتب الدائم لكتاب آسيا وافريقيا وبالتعاون مع المركز التربوي للبحوث والانماء في لبنان ، « ندوة المجلات الادبية والثقافية في افريقيا واسيا » التي استمرت حتى السادس من كانون الاول .

وقد عالجت الندوة في اربع جلسات طويلة الموضوعات الثلاثة التالية :

١ ـ دور المجلات الادبية والثقافية الافريقية الاسيوية في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي .

٢ ـ دور المجلات الادبية والثقافية الافريقية الاسيوية في حركة الابداع الفني .

٣ ـ الصعوبات التي تواجهها المجلات الادبية والثقافية وسبل تذليلها .

وكانت حفلة الافتتاح برعاية رئيس الجمهورية اللبنانية الذي مثله دولة رئيس الوزراء والقى الكلمة التالية :

كلمة دولة رئيس الوزارة

ايها الاخوان ،

يطيب لي وانا افتتح مؤتمركم باسم رئيس الجمهورية اللبنانية ان اعرب عن اعتزاز لبنان باستضافتكم في ربوعه وانتم حملة رسالة مقدسة طالما تجند لها لبنان وحمل رايتها بفخر وتناقلها نخبته قدما عن قدم .

ان قيمة الامة ، كل امة ، بما تمثل من تراث حضاري ، هذا التراث الذي لا تعريف به بدونكم .

من هنا يزداد تقديرنا لرسالتكم لانكم انتم القيمون على كل تراث والعاملون على تجديد كل ثقافة واضفاء الالوان الحضارية عليها وتقديمها للباحثين لتكون مرجعا لهم في تنقيبهم ولطلاب المعرفة مصدر انطلاق لا يخطئون معها السبيل الصحيح .

وغني عن التعريف ان التراث يغنى بتفاعله مع كل تراث اخر، ومن لهذه المهام سواكم تجددون وتنقلون وتعطون الامم ما عندنا وتقدمون لشعوبكم ما عند الامم الاخرى . انه تحقيق وممارسة عملية للانسانية الشاملة التي تقوم على بناء المعرفة بتبادل الخبرات الخيرة وتقوم ايضا على التفاعل الحي بين الحضارات التي لا تعرف الخصومة الحاقدة لانها لكل سواء من يريدها فهي له يغنى بها علما وعقلا وانسانية .

وكيف يتم كل هذا بدون تعريف ، بدون نشر ، بدون تعميم وانه لهذه المهام افضل الرسل .

ما اجتماعكم اليوم سوى تحسسكم بضرورة التفاهم والتنسيق فيما بينكم حتى تنصب جهودكم كلها في معين واحد وحتى تتمكنوا بالتعاون فيما بينكم من تجنب العثار وتعميم فوائد كل ثقافة تعنون بها وكل حضارة وتراث وجمال تقفون عليها .

ويطيب لي وانا افتتح مؤتمركم ان اتمنى لكم التوفيق في مسعاكم.

فاهلا بكم في بلد تتلاقى فيه الحضارات وعلى رأسها الحضارة العربية فتتصارع فيه الثقافات وهو ابدا على تراثه العربي الاصيل ياخذ منه ويضيف اليه . فالحضارة نتاج حي لا قيمة لها اذا ما تجمدت والسلام .

كلمة الدكتور سهيل ادريس

والقى الدكتور سهيل ادريس امين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين الذي انتخب رئيسا للندوة الكلمة التالية :

سيدي ممثل فخامة رئيس الجمهورية دولة رئيس الوزراء

السيد الامين العام للكتاب الافريقيين الاسيويين

ايها الاصدقاء

انها فرصة ثمينة تتاح للبنان ان تعقد فوق ارضه هذه الندوة العالمية للمجلات الادبية والثقافية في اسيا وافريقيا .

ذلك ان هذا الوطن الصغير في مساحته مركز اساسي في هذه المنطقة من العالم للنشاط الثقافي والتفاعل الحضاري ، وقد كان طوال تاريخه ، ولا يزال حتى اليوم ، بؤرة للاشعاع والابداع اللذين هما حصيلة الحوار والغنى في التنوع ، وملتقى للاثار الفكرية والادبية ترده خاصة من اربعة اركان الوطن العربي لتجد سبيلها الى الانتشار والذيوع في كل مكان .

ولعل المجلات الثقافية والادبية التي تصدر هنا هي المظهر الابرز لهذا التجمع الثقافي الذي يجد له في لبنان منبعا ومصبا ، حتى انه ليكاد يكون غريبا ان تلاقي الصحف التي تصدر في لبنان ، لبنانية الطابع كانت أم عربية ، رواجا واقبالا لا تجدهما الصحف والمجلات في مواطنهما الاصلية .

ومرد ذلك في اعتقادنا هو مناخ الحرية النسبية الذي تتنفس فيه الاقلام والافكار ، هذا المناخ الذي هو نتيجة نضال وصراع عاشتهما اجيال عدة من المثقفين المناضلين وسائر المثقفين العرب ، اكثر مما هو هبة ومنحة من القوانين والنصوص الدستورية .

ونحن من المؤمنين ، ايها السادة ، بان الازمة التي تعانيها الثقافة في اوطاننا هي بالدرجة الاولى ازمة حرية وديمقراطية ، وان كان

ينبغي لنا ان نوضح على الفور اننا نستبعد من تعبير الحرية اية نزعة للامسئولية ، ونستبعد من تعبير الديمقراطية اية نزعة لليبرالية .

وحين تعالج ندوتنا هذه موضوع المجلات الادبية والثقافية ، فانها تعالج في الحقيقة موضوعا قلما نال نصيبه من العناية والاهتمام ،على خطورته في بناء المجتمع المتحضر .

ان دور المجلة الثقافية والادبية من اهم الادوار في تحقيق البنية الاجتماعية ، فهو في قيمته ليس دون الكتاب ، بل لعل المجلة هي المدخل الحقيقي للكتاب ، بها يعرف ، وفيها يقيم ، ومنها يأخذ طريقه الى ايدي القراء والمثقفين . فهي وسيلته الفضلى للتعريف والتقييم والنقد ، وهي العدة الاساسية لتكوين الذائقة الادبية والفنية والجمالية . وانتشار الكتاب متوقف بالدرجة الاولى على المجلة التي تكون لها جمهورا ثابتا من القراء يكسبهم الكتاب دون ما عناء. وهذه المجلة الثقافية هي التي تقدم المواهب وتبرعم الابداعات وتبلور نزعات الخلق . ثم انها ، بانتظام مواعيد صدورها الصق بالاحداث، واقدر بالتالي على استنفار الاقلام المسؤولة للتعبير عن اراء الكتاب في هذه الاحداث . وهي بذلك انجح وسيلة لخلق الوعي الاجتماعي الذي هو الشرط الاول لخلق المواطن الصالح .

ومع ذلك كله ، فان حق المجلة مغموط ، ودورها مستهان به. بل هي في كثير من الاحوال والبلدان محاربة حربا شعواء ، تمنع وتصادر وتضطهد ، وتعاني من الضغط والارهاب ما قد يؤدي الى احتجابها وموتها وضياع تأثيرها في حياة المجتمع .

ايها السادة المؤتمرون

انكم حين تعالجون دور المجلات الادبية والثقافية في التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، ودورها في حركة الخلق والابداع ، والصعوبات التي تواجهها وتلتمسون لهذه الصعوبات حلولا ، انما تقدمون عونا كبيرا للثقافة الوطنية في كل بلد من بلدانكم . ولكننا كبيرو الثقة في ان تتابعوا امام السلطات والمسؤولين دوركم التاريخي لتلزموها باحترام الجهد الذي يبذلون في اصدار هذه المجلات وتحميلها رسالتكم النبيلة في خلق الوعي الثقافي والاجتماعي وتشجيع المواهب وتيسير اصدق الوثائق عن تطور المجتمع عبر الاثار الادبية والفنية والثقافية .

ولعلنا لن نكتفي هنا بمعالجة الموضوعات المطروحة ، ولا بتقديم الاقتراحات والتوصيات ، بل لعل كل واحد منا يعاهد نفسه حين يعود الى بلده ومجلته ان يناضل ويكافح من اجل تحويل واحد على الاقل من هذه الاقتراحات او التوصيات الى قرار ملزم يكون فيه تحسين لوضع مجلته تستطيع ان تتابع رسالتها وطريقها دون ما خوف من الاحتجاب .

ولا تكتمكم ، ايها الاصدقاء ، اننا نحن هنا في لبنان نعاني كثيرا من المصاعب في اصدار مجلاتنا وتأمين الوسائل لاستمرارها ، ولكننا سنواصل نضالنا في هذا السبيل ، ولعلنا استطعنا ان نبدأ باقناع المسؤولين عندنا باهمية دور مجلاتنا الثقافية والادبية حين وافقوا على مساعدة اتحاد الكتاب اللبنانيين لاقامة هذه الندوة التي تفضل فخامة رئيس الجمهورية برعايتها وقرر دولة رئيس الوزراء السابق تقديم المعونة لها ، ووافق دولة الرئيس الحالي على افتتاحها ، ومدت لها دوائر عديدة يد الدعم ، من وزارة الخارجية الى وزارة التربية الى وزارة السياحة ، الى الجامعتين اللبنانية والعربية . ونود ان نخص بالثناء هنا المركز التربوي للبحوث والانماء الذي قدم لنا معونات كثيرة . كما نشكر الاعلام الفلسطيني الموحد واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وثانوية الزراعة وجميع العناصر التي تعمل لانجاح ندوتنا .

مرحبا بكم ايها الاصدقاء وتوفيقا لكم في اعمالكم ، واقامة طيبة في بلدنا والسلام .

كلمة الدكتور وديع حداد

والقى الدكتور وديع حداد رئيس المركز التربوي للبحوث والانماء الكلمة التالية :

الجهل يظلم ما ينكره ليصبح مرفوضا بلا وجود في عالم الفكر والوعي،والمعرفة تظلم بدورها ما تكشف ليصبح مألوفا الى درجةاللامبالاة واللاملاحظة لان المألوف هو ضحية عمق المعرفة واستمرارها التي تفرغ الغريب من غرابته وتحوله الى عادي والعجائبي من عجائبيتهوتحوله الى طبيعي فيصبح المألوف هامشيا الى حدود التنكر فالجهل . واول ضحايا المعرفة واغربها الكلمة بالذات ـ الكلمة التي اصبحت مألوفة الى درجة الاستخفاف بقيمتها ومقدرتها وفعاليتها حتى انها اصبحت تحتاج الى عامل باعث يرفع عنها كابوس المألوف لتستعيد غرابتها وعجائبيتها في كونها الثروة المكثفة التي تعطي للخبرة امكانية التراكم وللفكر شكل التجسيد وللمعنى مقدرة التواصل وللمعقيدة سبيل الانتشار وللانسان ميزة العلم والتعلم ومجال الاقناع والاقتناع.

بهذا الرجوع عن المألوف تستعيد الكلمة تقديرها الواقعي كقوة محررة من الهذيان والانجراف عندما تقبل بموضوعية وانفتاح وتفاعل ـ وكقوة غاشمة مستبدة في مجتمع يفتقد الى الثقافةوالوعي.

من هنا يكتسب كل متعامل بالكلمة اهمية تتخطى الاطار المهني لتشمل المجال الانساني باكمله والمجال القومي بتشعباته ومن هنا يكتسب تجمع الكتاب فعالية تتخطى العدد والمعطيات المادية ، ومن هنا تكتسب هذه الندوة بالذات معنى يجمع بين المعنى وفوائده ، ومن هنا تكتسب التربية دورا انسانيا في تحرير المعرفة من ظلمها واعادة الكلمة الى موقعها الانساني .

من هذه المنطلقات جميعها كان تعاون المركز التربوي للبحوث والانماء مع اتحاد الكتاب اللبنانيين في تنظيم ندوة المجلات الادبية والثقافية بهدف تعزيز الكلمة ووسائلها والعاملين بها فارجو لهذه الندوة النجاح ولمنظمة كتاب اسيا وافريقيا واتحاد الكتاب اللبنانيين التوفيق ولضيوفنا الكرام طيب الاقامة .

كلمة الاستاذ يوسف السباعي

والقى الاستاذ يوسف السباعي الامين العام للكتاب الاسيويين الافريقيين الكلمة التالية :

أيها الاصدقاء والزملاء الاعزاء ،

اسمحوا لي أن اتقدم باسمكم جميعا ، وباسم المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين ، بالشكر العميق للشعب اللبناني الشقيق ، وللسيد رئيس الجمهورية اللبنانية ، وللسيد رئيس الوزراء ، كما اتقدم بالشكر والتقدير لاتحاد الكتاب اللبنانيين ، ولكل الاخوةوالزملاء من كتاب ومثقفين ، الذين اسهموا بالمبادرة والجهد والفكر في سبيل عقد ندوتنا في بيروت ، وفي سبيل توفير كل اسباب النجاح لها. كما اعبر عن امتناننا العميق للحفاوة التي لقيناها ، ونلقاها ،في البلد الكريم المضياف لبنان .

تعود بي الذكريات الى اكثر من سبعة اعوام ، حين عقدنا هنا ـ في بيروت ـ ثالث مؤتمرات كتاب افريقيا واسيا . وهو المؤتمر الذي نعتبره حجر الزاوية في تطور وانطلاق حركة الكتاب الافريقيين الاسيويين . ففي هذا المؤتمر تقرر ميثاق حركتنا . وفيه تقرر اصدار مجلة « لوتس » للادب الافريقي الاسيوي لتعبر عن اهداف حركتنا . وفي هذا المؤتمر ايضا تقرر مبدأ عقد ندوات ادبية متخصصة . فكانت اولى ندواتنا في العام الماضي عن الشعر الافريقي الاسيوي التي انعقدت في « يريفان » عاصمة جمهورية ارمينيا السوفيتية . واليوم نحس بسعادة بالغة اذ نعقد ثاني ندواتنا هنا في بيروت بالتعاون بين المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين وبين اتحاد الكتاب

اللبنانيين وبالتعاون مع المركز التربوي للانماء والبحوث في بيروت.

أيها الاصدقاء والزملاء الاعزاء

كان من القضايا الهامة التي شغلتني — ولا تزال تشغلني — منذ بدأت أعمل في حقل الثقافة والادب ، مشكلة العمل الثقافي بين الفكر والتنفيذ ، بين التصور والتطبيق .

ولقد اتيح لي بحكم اشتغالي الطويل بالادب والثقافة ، منتجا للثقافة ، ومشرفا على بعض الاجهزة التي تدعم العمل الثقافي ، ان اقف بنفسي على أبعاد تلك المشكلة وان اتعرف على اراء كل الاطراف المعنية بها .

فالذين ينتجون الثقافة ، ويبدعون الادب والفن ، يتصورون ان على اجهزة النشر والتوصيل — وفي مقدمتها المجلات الادبية والثقافية بالطبع — أن تقوم فورا بطبع ونشر ما يكتبون ، وتوصيل ما يبدعون للناس ، معتقدين ان الادب والثقافة والفن غذاء روحي ومعنوي لازم لجماهير الشعب لزوم الغذاء المادي وضرورات الحياة . ولا شك انهم محقون في هذا كل الحق . فالثقافة والادب والفن ، هي التي تكون عقل المواطن وضميره ، وتصوغ ذوقه . وهي التي تطور الحياة ،وترسم افاق المستقبل .

والمجلات الادبية والثقافية وغيرها من اجهزة النشر ، وسائر الاجهزة التي تعمل على توصيل الكلمة المطبوعة ، او المسموعة ، أو المرئية الى الجماهير ، تحكمها قوانين واعتبارات مختلفة .

فقد أصبحت كل هذه الاجهزة — مع التطور الحضاري الذي ساد عصرنا — مؤسسات تقوم في عملها على أساليب علمية ، وتراعى في تقديراتها طبيعة المشروعات ، وقوانين الربح والخسارة . ولا اريد ان اقول ، ان هذه الاجهزة — خاصة تلك التي لا تعاونها الدولة وتشرف عليها — على غير حق في اتباع هذا الاسلوب . فلا شك ان من حقها أن تمارس العمل الثقافي كمشروع ناجح ، يوفر لها ما يضمن لها الاستمرار .

ولكن على الدولة ان تحمي الاعمال الثقافية الرفيعة ، وان تدعم الاعمال الجادة ، وان تبذل لها من الرعاية والعناية المادية والمعنوية ما يضمن فاعليتها .

من هنا .. تجيء المشكلة . وخاصة عند الدول النامية او الدول المشغولة بقضايا النضال القومي والتحرر الوطني .

فهناك ظروف واعتبارات ، تجعل لبعض الاشياء المهمة ، الاسبقية على بعض الاشياء الاخرى ولو كانت هامة .

ولقد تجسد لي هذا الامر ، وانا أتصور مسئولية المجلات الادبية والثقافية ، في المرحلة التي اعقبت حصول معظم بلادنا في افريقيا واسيا ، على استقلالها ، وانطلاقها نحو مرحلة اعادة البناء الاقتصادي والاجتماعي . فلا شك اننا مطالبون بعمل جاد خلاق يتلاءم مع تلك المرحلة الجديدة من حياتنا . فقد كانت الانتصارات التي انتهت بتحقيق التحرر الوطني ، عبورا مجيدا الى افاق المستقبل الرحب . كان عبورا بها من اعباء الكفاح العاجلة الملحة ، الى ساحات العمل والبناء ، التي ترفرف عليها رايات الامل والرخاء .

ولا شك انه في مقدمة واجباتنا ومهامنا — في هذه المرحلة — مواصلة التعبئة المعنوية ،والحشد الفكري ، لمواجهة اي احتمال للتسلل الاستعماري الجديد ، وعودة النفوذ الامبريالي ، في الميادين الثقافية او الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية على السواء ، وتستغل فيها كل الوسائل الثقافية لابراز امجادنا الحضارية والنضالية على مر العصور في افريقيا واسيا ، والتأكيد على ان معاركنا مستمرة عبر تاريخنا العريق .

وفي هذا المجال اعتقد انه من واجبنا ، ان نؤكد العلاقة العضوية بين اطراف ثلاثة .. هم ..

اولا : منتجو الثقافة والادب والفن . وهم المفكرون والادباء والفنانون . ولا شك ان هؤلاء هم اصحاب العطاء ،الذين يجب رعايتهم، والاهتمام بهم ، ودعم اعمالهم ، ومعاونتهم .

ثانيا : اصحاب الحق في هذا العطاء . وهي الجماهير التي تتلقى هذا العطاء الثقافي والفني .

ثالثا : اجهزة النشر والتوصيل ، وفي مقدمتها المجلات الادبية والثقافية . وهذه الاجهزة ليست صاحبة العطاء ، وانما هي الوسيلة لتدعيم هذا العطاء ، ورعايته ، ونشره ، وتوصيله الى الجماهير صاحبة الحق في الانتفاع به والاستمتاع بثمراته .

ولا شك ان تأكيد هذا التلاحم بين هذه الاطراف الثلاثة ،سيساعد على اداء الرسالة الوطنية والقومية والانسانية ، وهي الرسالة التي نسعى جميعا الى تحقيقها لتسهم في تحقيق الحرية والامن والرخاء، حتى يتحقق مجتمع الكفاية والعدل ، مجتمع العلم والايمان ، مجتمع الازدهار والكرامة والسلام .

ان هذا التلاحم ايضا سيخفف من المشقة التي نحسها وتحس، تؤدي مهمة العمل الثقافي . فهذه المهمة — على فرط حيويتها — تبدو في ظاهرها نوعا من الترف او الترفيه بالنسبة لمهام أشد حيوية في بلادنا جميعا . مهام تشييد واستكمال البناء الاقتصادي . وتأتي في ترتيب الاهمية بالنسبة للتمويل الذي لا مناص منه لتنفيذ المهمة ،في مرتبة تالية لتلك المهام الاخطر ، وتصبح عملية التنفيذ منوطه بما قد يسمح به من تمويل ، لا يؤثر على المهام الاشد حيوية ، والاكثر خطورة. مثل تأمين الدفاع عن الاستقلال الوطني وتوفير الرخاء للجماهير الكادحة .

ان مهمتنا الحقيقية ، ان نتغلب علىكل هذه العقبات . وان نبذل كل الجهد والوقت والمبادرات الخلاقة لتدعيم العمل الثقافي .

وفي يقيني ان دراسة هذه المشكلات ومعرفتها ، يؤدي الىالتغلب عليها وتذليلها . وعلى القيادات الواعية في افريقيا واسيا ان تستثمر روح النضال الوطني العريق والمجيد في عملها ، وان تستفيد من هذه اليقظة الفكرية والروحية الكبرى التي عمت افريقيا واسيا حتى تزيل الفجوة بين الفكر والعمل ، بين التصور والتنفيذ ، في مجال العمل الثقافي .

ولا شك انه مما يتصل اتصالا وثيقا بنجاح عملية التغيير الاجتماعي لصالح شعوبنا هو تأكيد الدور الهام لثقافتنا فيالقارتين العظيمتين افريقيا واسيا هذه الثقافة التي يجب ان تتضافر فيها اصالة التراث وجدة المعاصرة لكي تساهم في بناء البشر .. اعلى ثرواتنا القومية .. التي يجب ان تساهم التنمية الاجتماعية والثقافية في بنائها ، والانطلاق بها لتحقيق آمال المستقبل المشرق لشعوبنا .. مستقبل الرخاء والعدالة والحرية والسلام .

لقد خاضت شعوبنا معارك مريرة من اجل الحرية ، وحققت انتصارات رائعة على قوى الاستعمار والعنصرية والصهيونية في فيتنام وافريقيا واخيرا في الشرق الاوسط ، حيث حققت الشعوب العربية انتصار اكتوبر ضد العدوان الصهيوني من اجل تحرير اراضيها واستعادة حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على ارضه .

ان ثقافتنا الاصيلة المفتوحة على كل التجارب المعاصرة لا بد ان تؤدي دورها في مواصلة بناء الانسان الافريقي الاسيوي الذي ناضل ويناضل من اجل تحقيق حريته حتى يساهم في التقدم الاجتماعي وفي اثراء الحضارة البشرية .

أيها الاصدقاء والزملاء الاعزاء ،

في هذه الكلمة الموجزة ، لا اود تناول موضوعات الندوة يقينا مني ان البحوث والدراسات المقدمة من الزملاء المشاركين في الندوة، وان المناقشات التي ستدور خلال اجتماعاتنا ، سوف تثري موضوعات

الندوة ، وتعمقها ، بالتفصيل والتحليل .

انني على ثقة من ان ندوتنا حول المجلات الثقافية والادبية في افريقيا واسيا سوف تشكل خطوة جديدة على طريق نضوج ونمو حركتنا خاصة ، وادبنا الافريقي بصفة عامة ، وتعميق الروابط الحتمية بين هذه الحركة وهذا الادب وبين مسيرة جماهير شعوبنا نحو تحقيق امانيها ، والحفاظ على قيمتها ، والعمل على بلوغ مثلها في الحرية والعدالة والسلام والكرامة الانسانية ، واطلاق طاقاتها الخلاقة والمبدعة نحو بناء المستقبل المشرق والمضيء للحضارة الانسانية .

وقائع الجلسة الاولى

صباح الثلاثاء في ٣ كانون الاول عقدت الجلسة الاولى للندوة (وكان مقرها القاعة الكبرى في فندق بوريفاج الذي نزلت فيه الوفود ضيفة على اتحاد الكتاب اللبنانيين ، وفيما يلي وقائعها :

د . ادريس ـ ارحب بالاعضاء ، وانوب مؤقتا عن رئيس الجلسة (فلسطين) المتغيب فأتولى ادارة الجلسة الاولى ، وموضوعها : دور المجلات الادبية والثقافية في التحرر الوطني من اجل الحرية والسلام. ومفروض ان يتكلم في هذه الجلسة كل من : الياس خوري عن لبنان ، وشمران الياسري عن « الثقافة الجديدة » في العراق ، وسوفرونوف (عن الاتحاد السوفييتي) ولطفي الخولي (عن جمهورية مصر العربية) فليتفضل كل منهم بتلخيص بحثه في مدة لا تتجاوز عشر دقائق ، باعتبار ان النصوص الكاملة موزعة على الاعضاء (١) .

ثم تكلم مندوب سريلانكا ، فلاحظ ان تجربة المجلات الثقافية توضح الى حد كبير استراتيجية الامبريالية وتبين كيف تحارب حركات التحرير الوطنية . فهي تحاول ان تبعد بعض المنظمات الثقافية عن حركات التحرير . لذا ، على هذه المنظمات ان تتجه اتجاهات اخرى وتتبنى الاتجاهات التقدمية . ان حركات التحرير ازاء تحقيق الاستقلال والتقدم ، خاصة بالنسبة للنشر ومحتواه ، يجب ان تنشر اعمال الفنانين المثقفين . وفي سريلانكا ، تنشر المجلات الثقافية اعمالا كثيرة . لقد حررنا انفسنا من قبضة الرجعية . ونخوض تجارب في المجال الثقافي ، وقمنا بتجارب في حقل الابداع ، مما يخلصنا من نير الاستعمار ، ونقصد به الولايات المتحدة وتكتيكات الامبريالية التي تحاول ان تجر بلدنا الى ما يعمل على بقائه متخلفا . وعلينا ان نقوم ببعض التوضيحات :

تأكيد حركات التحرير ، واخراج الخبرات الامية الى حيز النور، وجوب النشر ، والدعاية ، وتوعية الجماهير ،وهي مهام تاريخية يجب القيام بها ، مهما كانت التضحيات .

وتحدث مندوب السنغال : فحيا المؤتمرين ، ووجه الى مندوب لبنان الياس الخوري السؤال التالي :

ما هو المكان الذي نعطيه ،للثقافة المسماة بالتقليدية ، ذلك المكان الذي سرقته الامبريالية ؟. واذا كان لا بد من تدعيم التقليدي ، فباية وسيلة ؟ واوجه السؤال الثاني لمندوب العراق : كيف نجد استراتيجية تمكن الجماهير من المشاركة في الكفاح الثقافي ؟ وقد اتعرض الحديث عن الاقتصاد لكن العنصر الاجتماعي وقف على العنصر الاقتصادي .وكل منهما مرتبط بالاخر . وهناك حديث عن الانسان الجديد في التقرير الفلسطيني : فما هو هذا الانسان في عالمنا الحالي ؟ وهناك حديث عن الانسان المثقف في تقرير مصر . لا بد اذن من ايجاد تعريف مناسب . تلك في مجموعها الاسئلة التي كنت اود ان اطرحها .

الياس الخوري : اعتقد ان التساؤل الموجه يطرح سؤالا كبيرا يفترض نقاشا واسعا واوضح ما حاولت ان ابحثه في الكلمة المقدمة مني : اردت فقط ، على المستوى التاريخي ، حين نبحث في الثقافة الحديثة ، الا نسقط في افتراضية وصفية . المثقف العربي الحديث بدأ اساسا كمثقف تقليدي بالمعنى العام للكلمة ، مثال ذلك رفاعة الطهطاوي . هنا تطرح المسألة على اساس كيفية القيام بنهضة ؟ وفسرت مرحلة التمزق بأنها كانت فشل الاصلاح ، بعد ان قامت الامبريالية بتفتيت الهيكلية الاجتماعية . وكانت النتيجة هذا الانحطاط في الفكر العربي . المسألة ليست فكر تقليدي وفكر حديث .فالفكر الديني مثلا يستغل بطريقة لا تقدمه الا في شكل رجعي ، بينما تحاول التقدمية ان تدرسه وتستخلص الدروس منه .

عمر الجاوي ، مندوب اليمن : الدراسات المقدمة مرت مر الكرام على دور المجلات حتى المرحلة الجديدة . واقترح ، كما فعل الياس الخوري ، ان تدرس حركة هذه المجلات من الداخل ، من داخلها . كذلك اقترح ان يرتبط رؤساء تحريرها بميثاق ، والاحظ ان الدراسات المقدمة لم تكن متخصصة ولم تأخذ في اعتبارها المراحل التاريخية .

لطفي الخولي : اعتقد ان رئاسة الندوة عليها ان تقدم خريطة لاوجه الاختلاف في الابحاث ، بحيث تكون مفتاح لمناقشة منظمة .اعتقد اننا نحفر عميقا في الواقع الذي نقف عليه . ان هذه الندوة عملية ، لا اكاديمية . فنحن نواجه مشاكل محددة ، ونقوم بدور في حركة التحرر العالمي . كيف يمكن ، بعد ان تكامل لدينا كم من الزمن والتجارب في اسيا وافريقيا عمره عشرون عاما ، وبعد ان نشأت مجلات وسقطت اخرى ، كيف يمكن ان تنظم دراسة مشتركة لهذه المجلات ، بحيث يكون تبادل الخبرات محددا ملموسا . ان حركة التحرر الوطني ليست معزولة في الكفاح . وخلال العشرين عاما الماضية ، حدث نوع من التحالف بين حركة التحرر الوطني وحركة القوى الاشتراكية ، في الاتحاد السوفييتي بالذات . وحدث تقدم ، وحدثت انعكاسات . وبما ان التحالف بين العالم الاشتراكي والعالم التحرري الوطني يجب ان يكون عضويا ، يجب ان نناقش كيفية نسج اقوى علاقة ممكنة بين العالم الثالث والاتحاد السوفييتي بالذات .

سوفرونوف : عندنا ثلاثة اسئلة . لقد سمعنا خطبا هامة جدا ، تعكس تجربة المجلات الممثلة هنا . تصدر في الاتحاد السوفييتي مجلات كثيرة ، لكن بالروسية فقط ، او باللغات المحلية . واصبح هذا النمط من الحياة قانونا عندنا . واحد الاهداف مطروح امامنا اليوم ، خاصة اننا نلتقي لاول مرة في مثل هذا اللقاء التاريخي . سيقال في يوم ما ان هذا اللقاء كان تاريخيا . يجري هذا اللقاء لاول مرة في الواقع . وانتهز فرصة وجودي في بيروت لاشكر اصحاب الدعوة اصدقاءنا اللبنانيين ، ولقد ايدنا مبادرتهم في كل مكان . نحن نعيش في ظروف اجتماعية مختلفة ذات مستويات مختلفة . ولن اتحدث نظريا ، بيد ان العملية تجري نحو الايجابية . ومشكلة رفع المستوى الثقافي للشعب كانت ، وما زالت ، وسوف تبقى . وعندنا تجربةمجلة « لوتس » مثلا . في هذه المجلة ، يلتقي كتاب وشعراء اسيا وافريقيا. واعتقد اننا ، هنا ، نستطيع ان نتعارف ، ونجد الوسائل لتبادل مجلاتنا ، وطبع اعمالنا . انا محرر مجلة صغيرة الحجم . ويقولون عني : اني اضخم محرر (١) لاصغر المجلات حجما .وتطبعمجلتنا اعمالا كثيرة لكتاب اسيا وافريقيا ، منهم المغول والفيتناميون مثلا . واعتقد اننا لا نحمل الى قرائنا الا السعادة والبهجة . واعتقد ان سير المناقشات في هذا اللقاء سيجعلنا نجد السبيل الى توطيد الصلات بيننا . فالادب ليس تجربة كاتب واحد . بل هو تجربةالشعب

---

(١) يجد القارىء نصوص هذه الدراسات في مكان اخر من هذا العدد .

(١) ملاحظة من « التحرير » ـ لا بد من الاشارة هنا الى ان السيد سوفرونوف ضخم الجسم .

كله وحركته . لذلك ، فان النشر المتبادل يعني ان نتحدث عن حياة الشعوب الاخرى .

ونجد الطريق للالتقاء والتعاون على صفحات مجلاتنا ايضا . وعلينا ان نفكر في طريقة ايجاد سبل للتعاون ، والوصول الى نقاط محددة ملموسة .

د . ادريس : اشكركم باسم اتحاد الكتاب اللبنانيين على لقاءات هذه الندوة التي نعتقد انها هامة . فموضوعها يعالج لاول مرة على هذا الصعيد . والمثقفون جميعا مهتمون بها ، وفي لبنان بالذات . ولسوف يذاع كلام عنها في الاذاعة والتليفزيون اللبناني . واذا لم يبق تمة من يود الكلام ، فاني ارفع الجلسة .

ـ لطفي الخولي : نحن حتى الان على هامش المناقشات ، ولذلك اطلب الاستمرار في الجلسة .

ـ د . ادريس : قررت رفع الجلسة، حين لم ار احدا يريد الكلام.

ـ لطفي الخولي : لم نات لنسمع كلاما عاما . ويمكن ان يصبح اجتماعنا اجتماعا جادا . ما الذي سنخرج به من الموضوع الاول؟ نحن في مواجهة حركة التحرر الوطني في اسيا وافريقيا . ولنركيف تخدمها المجلات . اثار سوفرونوف قضية « لوتس » مثلا . انا لم اتعرف على « لوتس » الا هنا في لبنان . وهذا موضوع هام ، الان ، بعد ان اجتمعنا ،علينا ان تعكس « لوتس » مثلا الاتجاهات المختلفة لمجلات اسيا وافريقيا ، والا تعتمد على نشر اعمال كتاب مختلفين دون تخطيط ، ونرى ما اذا كانت « لوتس » منبرا للحوار بين المجلات في اسيا وافريقيا ام لا . وبالتالي ،هل يمكن ان تقوم علاقة منتظمة بين « لوتس » ومجلات اسيا وافريقيا . واذا كان هذا ممكنا، فكيف؟ كيف تصبح forum حول القضايا المشتركة ؟

ـ يوسف السباعي : الطبعة العربية من « لوتس » تطبع وتوزع في مصر . ونحن نرسل نسخا منها للمهتمين بالثقافة . الخطا اذن هو خطا لطفي الخولي . فلوتس منتشرة في مصر . والمشكلة تكمن في توزيع النسخ الفرنسية والانجليزية . اما عن بدئنا التخطيط للوتس من الان فاعتقد انها عملية عجيبة . فهناك مجلس تحرير مسئول عن « لوتس » يجتمع كل ستة شهور . وكل عدد يخطط له ، ويعرض على مجلس التحرير . وفي كل اجتماع ، تكلف احد الممثلين بعمل دراسة لقطاع من القطاعات ، وتقديم تقرير عنها . وان تصدر المجلة بثلاث لغات ليس بالعملية السهلة . ومسئول عنها احد عشر كاتبا من كبار كتاب آسيا وافريقيا . والمشكلة في الترجمة والطباعة . فنحن ناخذ النصوص ، ونعمل التخطيط ، ثم تاتي مشكلة الطباعة . وانا اشكر المانيا الديمقراطية في كل وقت وكل مناسبة على توليها طباعة النسختين الفرنسية والانجليزية . وهناك استحالة في تنظيم التوزيع . وقد كانت هناك فترة تصدر خلالها الاعداد متاخرة . وقد ساعدنا المندوبون في كثير من بلاد اسيا وافريقيا . هناك بلاد لا يوجد فيها اتحادات للكتاب . صحيح اننا انشانا مراكز منطقية. اليابان ، مثلا ، تعاون في تجميع الكتابات . واطلب لقاء مع لطفي الخولي ، حيث اعطيه الدراسات والاعداد . ولسوف يعرف عندئذ ان هذا مجهود خارق . ود . سهيل ادريس من اكثر الكتاب انتقادا للمجلة، ودائما نستفيد من نقده .

د . ادريس : لنغتنم فرصة اقامة هذه الندوة للتحدث عن « لوتس » . ان الشكوى التي ذكرها الخولي شكوى واردة . المشكلة المهمة ايضا هي التوزيع. كنا نركز دائما على ان التوزيع سيء. واقترحنا ان يتولى مسئول « لوتس » المجيء الى لبنان ليتفق مع اكبر شركة توزيع في العالم العربي . وليتم هذا الان . يجب ان تتداول « لوتس » بين القراء جميعا . والمجلة فيها جهود كثيرة . بالرغم من ماخذ سوء التوزيع . ولنخصص جلسة « للوتس » ، ولنخرج منها بقرارات حاسمة لتحسين التحرير والطبع والتوزيع .

ـ مندوب غانا : علينا الا نكون رومانتيكيين . فعملية اصدار المجلات عملية تكنيكية . واقترح ان نخرج من اقتراحات مندوب مصر بشيء محدد ، على اساس المتغيرات التي اوضحها . وعلينا ان يكون لنا رد فعل ايجابي في هذا الصدد . ولسوف يكون ذلك مفيدا للغاية . علينا مثلا ان نهتم بالترجمات علينا ايضا ان نحدد مسالة الترجمات هذه .

ـ الياس خوري : لقد توزعت المناقشات كثيرا ، واني اقترح حصرها بالبحوث كما هي ، وليكن النقاش عاما . لم هذا الخلط في النقاش ؟ هذه البحوث تستحق قليلا من النقاش .

ـ حسين مروة (لبنان) : عن اسلوب العمل في الندوة . خشي سوفرونوف ان تسمى الندوة ندوة تاريخية ، لكنها كذلك . من حيث موضوعها . اما عن جدوى نتائجها ، فيبدو لي انها لن تكون كذلك نظرا لاسلوب العمل . وهو يتعلق بكل منا ، نحن كتاب اسيا وافريقيا . لا يمكن قراءة الابحاث في وقت ضيق واستخلاص النتائج منها . وارجو ان يكون هذا الموضوع وسيلة لتغيير هذا الاسلوب في الندوات اللاحقة . يجب ان ترسل الابحاث الى المكتب الدائم في وقت سابق للندوة ، يكفي لترجمة الابحاث وتوزيعها على المندوبين في بلادهم قبل اجتماعهم . وهذا النحو الارتجالي السريع ، لا يتيح فرصة للمناقشة . واقترح ان نضع فاصلا زمنيا بين المؤتمر وارسال الابحاث . والا ستذهب ندواتنا دون جدوى حقيقية .

ـ حبيب صادق (لبنان) : عودة الى « لوتس » . حضرت اجتماعات كثيرة كانت تثار فيها مشكلة « لوتس » . وسيظل الامر كذلك حتى ايجاد حل حاسم لها . وما زلنا نسجل عليها ثلاثة عيوب رئيسية خطيرة : قصور المجلة عن تمثيل الابداع الادبي والثقافي في اسيا وافريقيا . عدم الامانة في ترجمة المساهمات الادبية التي تنشرها مجلة « لوتس » . سوء توزيع المجلة الذي ما زال مقصورا على نطاق ضيق جدا . واقترح تخصيص جزء من جلسة تذليل الصعوبات لمشكلة « لوتس » وحلها جذريا .

ـ مندوب كينيا : معظمنا ليست لديه اتحادات للكتاب . ومن ثم، لا نستطيع السيطرة على الانشطة التي تقوم بها . في كينيا مثلا لا نستطيع ان نقوم بالاعلان الكامل . ولدى الناشرين مشاكل مادية . واحيانا ، لا نجد الا الناشرين المحبين للامبريالية . ويمكن أن يعمل اتحاد الكتاب على القضاء على بعض المشكلات التي نعاني منها . كما يمكن ان تكون « لوتس » المجلة ـ الام في عالمنا الافرواسيوي . ولا شك اننا يجب ان نتغلب على مشاكل الماضي . ونحيل الى ان رؤساء تحرير المجلات في مختلف البلاد الافريقية ـ الاسيوية عليهم ان يتعارفوا ، ويتعرفوا على هيئة تحرير « لوتس » . هكذا نعرف الكثير الذي علينا بالنسبة لكل المجلات . فهناك نقص كامل في المعلومات. وعلى « لوتس » ان تسد النقص الذي نشعر به وان تتنوع موضوعاتها وموادها . ونحن نجد في بعض البلاد عددا كبيرا من المجلات التي توجد في بلد واحد وان اختلفت اتجاهاتها . ومن ثم كانت ضرورة تبادل الخبرات والمعلومات ،على ان يكون ذلك بصفة مستمرة في العالم الافرو اسيوي .

ـ د . ادريس : اقترح ان تخصص فترة من جلسة الغد لمعالجة موضوع « لوتس » واستنفاد مشكلاتها ، والوصول الى حلول جذرية بشانها .

مندوب اليمن : ان مناقشة « لوتس » ستكون مدخلا الى حديثنا عن باقي المجلات . يجب اذن وضع تقرير عن المجلة وظروفها ،ومشاكلها، حتى تتمكن الندوة من وضع اقتراحات عملية بهذا الشأن .

ورفع الدكتور ادريس الجلسة الاولى على ان تعقد الجلسة الثانية بعد ظهر اليوم نفسه لمعالجة الموضوع الثاني من موضوعات الندوة.

وقائع الجلسة الثانية

بدأت الجلسة في الساعة الخامسة والربع من مساء يوم الثلاثاء ٣ – ١٢ – ١٩٧٤ ، برئاسة السيد ليونيداس بينيا مندوب الفيليبين كان أول المتحدثين هو الدكتور ميشال عاصي (لبنان) ، وتحدث عن المجلات الادبية والثقافية في لبنان ودورها في الخلق الفني واثرها في الحياة الثقافية . (انظر بحثه في هذا العدد) .

وتحدث بعدئذ السيد جوكاسانا فيتانا(سيري لانكا) عن المجلات الادبية والثقافية والفنية وعن المناخ الثقافي في بلاده ، وركز على اهمية مواجهة المحاولات التي تبذلها الامبريالية لتشويه الوجه الثقافي في بلاده بصفة خاصة ، وفي بلدان افريقيا واسيا بوجه عام. ثم انتقل بعد ذلك الى الحديث عن الاتجاه التقدمي الذي يسود ثقافة بلاده الان .

ثم تلاه السيد بأروزدين رئيس تحرير مجلة دروجبا نارودوف وسكرتير مجلس اتحاد كتاب الاتحاد السوفييتي . (انظر مقاله في هذا العدد) .

وكان المتحدث الرابع هو السيد صلاح عبدالصبور (مصر)الذي تناول مشكلة المجلات الثقافية في مصر (انظر مقاله في هذا العدد).

وبعد ذلك تحدث العزيز تيموف (الاتحاد السوفييتي) فعرض لتاريخ المجلات في الاتحاد السوفييتي وتحدث عن المبادىء التي تؤمن بها الشيوعية وهي الاممية .

وتلاه السيد د . تارفا (منغوليا) فاشاد بمجلة « لوتس » التي عرفت شعوب اسيا وافريقيا بفناني وادباء منغوليا ، كما عرفت بالادباء الافريقيين الاسيويين .

واقترح في نهاية حديثه تبادل الخبرات بين المجلات الادبية والثقافية ، وقال ان هذا اللقاء يجب ان يصبح تقليدا .

ثم تحدث مندوب اليمن عمر الجاوي فقال انه كان بالامكان توزيع الابحاث والدراسات قبل الندوة بوقت كاف لدراستها ، لكن التكليف قد جاء متأخرا ، مما اضطرنا الى تقديم هذه الابحاث في وقت متاخر . وأبدى عدة ملاحظات منها ان المجلات تبدو بخير غير ان ذلك لا يظهر في ممارستنا كرؤساء تحرير وذكر كذلك ان هناك جوانب سلبية تتعلق بالشكل والمضمون لم تستطع المجلات الافريقية والاسيوية تلافيها مثل نشر هذه المجلات وتوزيعها على نطاق واسع فيمجتمعاتنا. وأكد على ضرورة ايجاد الحلول لهذه السلبيات في هذا المؤتمر .

وتحدث بعد ذلك السيد حبيب صادق (لبنان) فقال ان معظم المشاركين ظلوا على هامش جوهر الموضوع لان ابحاثهم كانت عرضا مستفيضا لتاريخ المجلات ولذا نتمنى ان تدور المناقشات حول دور هذه المجلات بالنسبة لمشكلات الخلق الفني .

وعلق رئيس الجلسة قائلا ان هناك شكاوي كثيرة من ان مشكلات الخلق الفني لم تتناولها البحوث . وبما اننا لم نقرأ كل الابحاث فانني اقترح ان نعود الى هذه المناقشة بعد قراءتها .

كما تحدث ايضا السيد كريس وانجالا (كينيا) فأيد مندوب لبنان وركز على ضرورة بحث مشكلات الخلق الفني ودور المجلات في حل هذه المشكلات .

وتكلم السيد الشيباني (اليمن) قائلا ان زميلي مندوب سريلانكا ذكر الكبت والاضطهادالذي يمارسهالاستعمار وانني اضيف انالسلطات الرجعية والاستعمار الجديد في الخليج العربي تحول دون تفتح الشعب على العلوم والثقافة . وذكر ان اجهزة القمع تفوق الابداعات الفنية والمجهودات لدفع عملية التطور والتقدم الاجتماعي وتشرد الكفاءات الثقافية التي تنادي بالتحولات الاجتماعية والديمقراطية وتودعها السجون .

وتحدث السيد ادالي مورتي (غانا) قائلا : انني ارى اننا جميعا منغمسون فيالسياسة لدرجة اننا دائما ننسى ،في مثل هذهالاجتماعات لكتاب اسيا وافريقيا ، الموضوع الاساسي ونركز على السياسة اكثر مما نركز على الادب ومشكلات الخلق الفني . انني ارى انه يجب الا نقدم لشعوبنا مجرد شعارات ولكن علينا ان نبرز لهم بالكلمة الجميلة، اي بالفن والشعر – لا بالدعاية – واقع حياتنا .

وعقب السيد لطفي الخولي (مصر) قائلا اننا جميعا نمارس النقد الذاتي وذلك لاننا لم ندرس المشكلة بجدية . والواقع ان لدينا مشكلة وكنت اود ان نتحدث بصراحة عن المشكلات التي تجابهنا لا ان نستعرض الايجابيات فقط ونتجاهل السلبيات ، وأن نكون صرحاء لنتبادل الخبرات حول تذليل الصعوبات التي تقابلنا في مجال الخلق الفني .

واستطرد لطفي الخولي يقول : هناك مشكلات حقيقية في توصيل الثقافة التقدمية للجماهير فكيف نتغلب عليها ؟ يجب ان نعترف ان الثقافة الغربية مقروءة اكثر وتلقى صدى اكبر لدى الجماهير وليس ذلك فقط بسبب الاستعمار ، يجب ان نسأل انفسنا لماذا لم ننجح في جذب الجماهير العريضة ؟ هذه هي القضية يجب أن تعرض المجلة كيف استطاع الاديب ان يتغلب على مشاكل الخلق الفني في مختلف الظروف الاجتماعية وكيف نوصل الثقافة الى القاعدة العريضة للجماهير ، ان مهمة المجلة هي أن تتصدى للقضايا الانسانية مثل قضية غربة المثقف في المجتمع الاشتراكي فهي مختلفة عن غربة المثقف في الدول الرأسمالية او الاوروبية ويجب ان نتحدث بصراحة عن هذه المواقف لانها موجودة فعلا ، واعتقد ان هذه الغربة صحية لانها تخلق الصراع الذي يؤدي الى الخلق الفني .

وتكلم السيد ديبندرانات فاندير بادهي (مندوب الهند) ، فركز على أن الثقافة والسياسة مرتبطان ارتباطا وثيقا ولا يمكنفصلهما. لذا فالاستعمار والثقافة الاستعمارية يجب ان يحاربا .

وتحدث بعد ذلك السيد حسين مروة (مندوب لبنان) فقال : علينا أن نحدد المشكلة وهي أن الادب الافريقي الاسيوي يمر بأزمة ابداع فني تتجلى في علاقة الشكل بالمضمون . وهناك على المستوى العالمي ثورة في الشكل في جميع الاشكال الفنية يقابله جمود فياشكال الابداع الفني في البلاد النامية . لكن ، بما ان مضمون وواقع هذه الشعوب قد تغير فان الادب والفن عامة لم يستطع ان يتغلب على هذه المشكلة وهي تكييف الشكل وربطه بالمضمون . وانا لا ارى ان نفصل السياسة عن الثقافة . كما طالب السيد مروة بان تعقد ندوة متخصصة لمناقشة هذه الظاهرة الحيوية بالنسبة للادب الافريقي الاسيوي .

وحين تحدث السيد الياس خوري (لبنان) تكلم عن الابحاث المقدمة ثم طرح السؤال : كيف نعبر عن السياسة في الادب ؟ فالادب ليس معادلة علمية فهو ليس تطوريا او انعكاسيا والمثقف يعاني غربة شديدة في مجتمعه رغم التزامه الفكري وذلك بسبب التخلخل بين الطبقات وهو التخلخل الذي خلقه الاستعمار .

وعقب الدكتور عزالدين اسماعيل (مصر) قائلا اننا خرجنا مرة ثانية عن الموضوع وتجاوزناه الى علاقة الادب بالسياسة وموضوعات اخرى قتلت بحثا في الماضي . لذا ، فانني احدد مرة ثانية ما هي المشكلات التي يقابلها الابداع الفني في المجلات الادبية وكيف نحلها؟ وما هو دور المجلات في عملية الابداع ودورها المنشود المتصور في الابداع ؟ ان لب القضية هو نوعية المجلة ودورها في احتضان وانعاش الابداع . هذا ما اود ان تدور حوله مناقشاتنا في الجلسات القادمة .

وفي ختام الجلسة قرأ رئيسها برقية من السيد عبدالكريم غلاب الى السيد الدكتور سهيل ادريس يهنئه فيها بانعقاد الندوة ، ويتمنى لها النجاح في تحقيق اهدافها .

وقائع الجلسة الثالثة

عقدت الجلسة الثالثة للندوة صباح الاربعاء في ٤ كانون الاول ، وقد طلب الدكتور سهيل ادريس الكلام في مستهلها ليدلـي بالبيان التالـي :

د . سهيل ادريس : أود الادلاء بكلمة يهمكم الاستماع اليها لانها خاصة بحادث جرى وسهده عدد منكم ، عندما ذهبوا لمشاهدة مسرحية « الرفيق سجعان بدعوة من مؤلفها جلال خوري . دخل رجال الشرطة بعد بدء المسرحية ، وطلبوا ايقافها بأمر من السلطة . مما اثار احتجاج المؤلف ، والممثلين ، والحاضرين . وربما اثار احتجاجكم ايضا . وباسم اتحاد الكتاب اللبنانيين ، ورئاسة هذه الندوة ،بدأت امس الاهتمام بالامر ، فقابلت صباح اليوم دولة رئيس الوزراء رشيد الصلح مرتين ، وبعثت اليه احتجاجنا على ما حصل . وفي المرة الثانية ، قابلته منذ نصف ساعة فقط وعلمت ان مؤلف المسرحية لم يتقيد بالقانون الذي ينص على ضرورة طلب رخصة مسبقة من وزارة الاعلام لعرض أي مسرحية في لبنان ، وان السلطة المسؤولة اضطرت الى تطبيق القانون . وبالصدفة ، طبق القانون ليلة امس بالذات ، بعد مرور ثلاثة أسابيع على بدء المسرحية ، ولسنا ندري اذا كانت مجرد صدفة أم شيئا مقصودا .. وقد طلب الي رئيس الحكومة ان اتصل بالمؤلف وهو عضو في اتحاد الكتاب ، ليتقدم بطلبرسمي، ووعد بأن يستأنف عرض المسرحية ابتداء من الليلة . وحاولت الاتصال بالمؤلف ، لكني لم أجده حتى الان ، وانا بانتظار هذا الاتصال : المسألة اذن ، على وجهها الظاهر على الاقل ، تتعلق باجراء قانوني لم يراع . لكن ، نود ان نوضح أن مسألة اخذ امر مسبق بعرض المسرحية مسألة قابلة كثيرا للنقاش . فليس عندنا رقابة مسبقة على الصحف ، او الكتب او وسائل الاعلام الخاصة(المطبوعات) الاخرى . لذا ، لا نفهم أن يطلب هذا الترخيص المسبق بالنسبة للمسرح . ونعترف باننا لم نكن على اطلاع كاف بهذا الموضوع . وسنبدأ منذ اليوم بالمطالبة بالغاء هذه الترخيصات المسبقةللمسرحيات. ونؤكد ، استنتاجا من ذلك ، ما ذهبنا اليه جميعا هنا من ان الحرية لا تعطى من القوانين ولا ينص عليها في الدساتير ، وانما هي تؤخذ بالنضال المستمر والممارسة المتواصلة . وسنواصل ممارستنا لهذا ، ونطلب من اخواننا الموجودين هنا ونرجوهم ان يواصلوا هم ايضا طلب الحرية والديمقراطية ، والنضال من اجل حرية التعبير ، على اي مستوى من المستويات .

لطفي الخولي : كنت احد الذين حضروا بدء عرض المسرحية ، بناء على دعوة من السكرتارية العامة لهذه الندوة . والقضية جزء لا يتجزأ من اعمال هذه الندوة ، ولا يجب الاستخفاف بها . واشكر جهود د. سهيل ادريس في الدفاع عن المسرحية . ذهبنا ، وشاهدنا المشهد ١ و ٢ و٣ . واذا بكتيبة من البوليس تقتحم المسرح وتطردنا جميعا الى الخارج . اذكر ان في حفل الافتتاح ، تحدث د.سهيل عن الحرية النسبية التي يتمتع بها لبنان . وكنا نشاركه حتىامس هذه المقولة . ولا اعتقد انه حدث في بلد عربي ان اقتحم البوليس مسرحا واقفل الستار وطرد المتفرجين . ولو كان يوسف السباعي هنا ، لابتسم في وجهي . لاني اشهد له بان وزارة الثقافة في مصر لم تستخدم البوليس ابدا في مواجهة الادباء والفنانين . الحادث السالف الذكر قضيتنا جميعا . واشك في ان الموضوع متعلق بقانون. فلقد علمت ان قانون الرقابة قانون يرجع الى ١٩٢٢ ومن وضع الاستعمار العثماني . يقول هذا القانون ان على كاتب المسرحية ان يقدم الى والي بيروت والاعيانطلبا بعرضها. القانون ،فيالواقع ،غيرموجود. ولميحدث ان تقدم احد بطلب لعرض مسرحية . والموضوع يخص العالم العربي ككل ،المسرحية المذكورة التي اوقفتتنتمي الى الفكر الماركسي. والقضية هي : هل تقبل بلادنا العربية التيار الماركسي الوطني ام لا ؟ ولا يجب ان تتهرب الندوة من هذا الموضوع ، لانه جزء أساسي من قضية الحرية في عالمنا الثالث . ولتسجل الندوة احتجاجنا على طردنا من المسرح بالبوليس وشكرا .

د . سهيل ادريس : لا نجد اي مانع من ان نتابع مناقشة هذا الموضوع حاليا . لا نريد ان نضع حاجزا من اللياقات في هذا الصدد، واقترح ان يظل الباب فيه مفتوحا . اسمحوا لي ان اتكلم فيه ثانية باختصار . حين فكرنا في عرض هذه القضية هنا ، اردنا النقاش والتوضيح . لكن ، نرجو ان نبقى في الحدود المعقولة . نعتذر عما حدث بالامس ، وهو شيء يسيء الينا . لقد اوضحنا نقطة قانونية . واقول لصديقي لطفي الخولي ، تعليقا على بعض المقارنات، انه قد لا يحدث في بلد اخر ان يمنع رجال الشرطة مسرحية ما . ذلك لان المسرحية التي لا تريد السلطة عرضها تمنع اصلا ، فلا حاجة الى رجال البوليس عند ذلك !!

لطفي الخولي : لا بد من الاحتجاج على تعرض البوليس لاعضاء الندوة في المسرح .

رئيس الجلسة : كل من يتحدث عن الصعوبات التي تقابل المجلات الادبية والثقافية في اسيا وافريقيا والسبيل الى تذليلها ، يجب ان يتحدث عن حرية الراي والتعبير الادبي والثقافي . وهذا يهمنا في غانا ايضا .

د . ادريس : نتبنى اقتراح لطفي الخولي في الاحتجاج . ولقد قدمناه فعلا بصورة شفهية الى رئيس الوزارة ، ونحن علىاستعداد ان نقدمه كتابة .

ثم قدم كل من عايدة مطرجي ادريس وفؤاد التكرلي تلخيصا لبحثهما (يجدهما القاريء في هذا العدد).

جونسينافيتانا (سيري لانكا) : كانت الدوائر الاستعمارية فيبلادي تمنع نشر المواد المناهضة لها ، اما الان فعلينا ان نواجه الصحافة الراسمالية التي تحاول ان تنال من المحاولات البناءة . تضطر الصحف الرائدة احيانا الى تخفيض عدد صفحاتها لعدم توفر الورق وكثيرا ما تضطر الى التوقف او وقف نشاطها وعلينا ان نعمل على تخفيض تكاليف الطباعة . هناك مئات من الموضوعات الادبية والعلمية لا تجد مجالا للنشر ويجب علينا ان نقدم الاعمال الخلاقة للاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية .

ادالي مورتي (غانا) : ظهرت ثلاث مجلات وهي اوكيا ، وبلاك اوفيوس (تطبع في نيجيريا) وليجون اوبزرفر . وكانت بلاك اورفيوس تواجه مشكلة في تنمية التاييد من جانب الشعب نظرا لضعف التعليم عندنا وكان يشرف عليها مجموعة من الكتاب الافريقيين . وقد واجهت المجلة صعوبة في النشر والطبع لان اصحاب المطابع كانوا من انصاف المتعلمين ولم تكن هناك منظمة تود ان تساندها . اما ليجون اوبزرفر وهي مجلة تعبير حر فلم تلق تاييدا من الحكومات المتتالية ولو ان الحكومة العسكرية اثبتت انها اكثر ليبرالية ولم تصدر منذ يونيو الماضي ونحن ما زلنا نبحث عن ناشر وعن مواد للنشر .

انور عليم حانوف (الاتحاد السوفييتي) : احدثت ثورة اكتوبر الاشتراكية ثورة ثقافية وفتحت مدارس كبيرة مما غير التقاليد الفكرية وادى الى ظهور الادب الثوري ولكن الشعب الكزاكي يملك اليوم العديد من المجلات المختلفة ويزيد عدد المشتركين فيها عن ٢٠٠ الف مشترك . ومن المشاكل التي تواجهنا : كيف نترجم من اللغة الام الاصلية مباشرة لاننا نترجم الكثير من الادب الافريقي الاسيوي بعد ان تتم ترجمته الى اللغة السوفيتية .

وتحدث احمد ابراهيم الفقيه (ليبيا) عن تجربة مجلة اسبوعية ادبية في ليبيا (نص كلمته في مكان اخر من هذا العدد) .

وفتحت المناقشة العامة للابحاث ، فتحدث الدكتور ميشال سليمان (لبنان) قائلا : ان الابحاث التي القيت حتى الان كانت منشغلة بقضايا شكلية دون التطرق الى المشكلات الاساسية ، واهم هذه المشكلات

ازمات ناتجة عن طبيعة الانظمة القائمة في تلك البلاد . اما بالاشارة الى ما حدث بالنسبة لعرض مسرحية « الرفيق سجعان » فاني ارى ان الحرية مست في لبنان ، واود ان تتخذ الندوة موقفا معينا لان قضية الحرية لا تتجزأ واؤيد الاستاذ لطفي الخولي .

د. سهيل ادريس : اسمحوا لي ان اقرأ عليكم نص البرقية الموجهة الى المسؤولين لاتخاذ قرار بشأنها :

« ان الامانة العامة لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين تحتج لدى السلطات اللبنانية المعنية على ما تعرض له اعضاء ندوة المجلات الادبية والثقافية الافريقية والاسيوية الذين دعاهم اتحاد الكتاب اللبنانيين لحضور مسرحية « الرفيق سجعان » باقتراح من مؤلفها عندما دخلت قوة من رجال الامن ومنعت المسرحية واخرجت المتفرجين. ان هذا التصرف لا يتناسب مع روح الحرية التي نعتقد ان البلد المضيف يتمتع بها .

سكرتير عام الكتاب الافريقيين الاسيويين
يوسف السباعي
سكرتير عام اتحاد الكتاب اللبنانيين
د . سهيل ادريس

محمد صادق روحي (افغانستان) : لا يمكن ان نفصل الادب عن السياسة ويجب ان نحترم البلد المضيف ولا نتدخل في اموره الداخلية وان كان لا بد من ان نناقش هذا الموضوع فيجب ان ترتكز المناقشة على اساس موضوعي .

رئيس اللجنة : لم اتوقع ان تكون المناقشة بهذه الحرارة . لماذا نستخدم العصا الغليظة ؟

لطفي الخولي : تهربت الندوة من مناقشة المواضيع التي عرضت عليها ولكن عندما نتهرب من قضية مست الاشخاص الحاضرين فلماذا نجتمع اذا واين مسؤوليتنا ؟ هل نحن لبنانيون اكثر من اللبنانيين الذين كانوا اول من اثار هذا الموضوع ؟

د . سهيل ادريس : تجنبيا لاعضاء الندوة لاي احراج قد يرونه ممن تحدثوا اليوم بالاضافة الى من يريد الانضمام .

رئيس اللجنة : دعونا ننتظر بعض الوقت او تشكل لجنةصياغة في المشاركة بالاحتجاج، اود ان ابلغكم ان اتحاد الكتاب اللبنانيين قرر ان يرسل برقية احتجاج الان في كلمات لا تحمل عبارات المجاملة . ونحن الكتاب اللبنانيين هنا ، لا نفعل الا ما فعلناه ونفعله دائما بالاحتجاج على كل ما يمس حرمة حرية الفكر والتعبير عندنا . لقد شاء بعضكم ان يراعي روح الضيافة ، ولكننا نحن نقول : اذا تعارضت الحرية مع الضيافة ، فنحن مع الحرية ضد الضيافة . ولهذا اكرر اننا نتبنى برقية الاحتجاج من جانبنا وحدنا اذا كان ثمة اي حرج لاعضاء هذه الندوة .

لطفي الخولي : هذا ليس تدخلا في شؤون لبنان لاننا نقف مع الكتاب اللبنانيين ونقول لهم اننا معهم ونحن لا نقف ضد الحكومة اللبنانية لان رئيس الحكومة ابدى استغرابه لما حدث . نحن ندافع عن دور لبنان كمنبر عربي ونحن ضد هذا الامتهان للفكر .

عبدالرحمن الشرقاوي : ان العدوان الذي حدث امس هو عدوان على الندوة يجب الا نسكت عنه ، بل ان ننتهز هذه الفرصة لنضع ضمانات لحرية الكتاب الافريقيين الاسيويين . القضية هي قضية الحرية الادبية وحرية التعبير .

رئيس اللجنة : ارجو اتخاذ قرار برفع الايدي (جمع الاصوات)
تم اتخاذ القرار بتأييد ٣٥ عضوا دون اعتراض احد .

وقائع الجلسة الرابعة

بعد ظهر الاربعاء ٤ كانون الاول ، انعقدت الجلسة الرابعةللندوة، فتكلم الياس خوري (لبنان) مشيرا الى ان الصعوبات الاساسية التي تواجهها المجلات ليست الصعوبات التقنية والمهنية التي ذكرها المحاضرون من ورق وطباعة وتوزيع وحبر ، رغم اهميتها ، بل ان المشكلة الاساسية تبرز في الانظمة الحاكمة البرجوازية والرجعية التي تسعى الى احتضان هذه المجلات والسيطرة على اتجاهاتها . ثم اشار الى ظاهرتين اعتبرهما من اهم الصعوبات التي تواجهها المجلات ، الاولى هي تمويل بعض الدول لبعض المجلات ، والثانية الرقابة والمنع . وضرب مثلا مجلة « الكاتب » المصرية التي اوقفت عن الصدور ،و مجلة «مواقف» التي تمنع في اكثر من بلد عربي .

ورد الاستاذ يوسف السباعي ، بصفته وزيرا للثقافة المصرية ، بان مجلة « الكاتب » لم تمنع ، ولم تتوقف ، وانها تصدر كعادتها ،وان كل القضية كامنة في ان رئيس تحريرها احمد عباس صالح قدم استقالته ، فعين مكانه صلاح عبدالصبور (١).

وهنا طلب الياس خوري من لطفي الخولي ان يفسر لماذا استضافت مجلة « الطليعة » مجلة « الكاتب » . فقال لطفي الخولي ان وزير الثقافة لم يقل ، بالفعل ، رئيس ومجلس تحرير « الكاتب » ،وانما استقال رئيس التحرير نتيجة لخلافات قامت حول مسؤولية هيئة التحرير . وكان لوزير الثقافة راي يخالف ما ينشر من اراء فيالمجلة. وكان موقف « الطليعة » هو اعتبارها ان الاسباب التي اعلنت حول توقيف « الكاتب » غير مقنعة ، وبالتالي قررت استضافتها ، علىالرغم من اختلاف المنابع الفكرية .

وقال صلاح عبدالصبور ، رئيس تحرير مجلة « الكاتب » الجديد ان الخلاف حول « الكاتب » كان خلافا اداريا ، يتجسد في خروجها عن مفاهيم مواثيق الثورة ، وضمها اعضاء جدد للهيئة الادارية دون ان تستشير وزير الثقافة . وقال عبدالصبور ان الهيئة الجديدة لم تتعرض لمقالات المجلة .

لكن لطفي الخولي رد بتاكيده ان الخلاف لم يكن اداريا وانما كان خلافا في وجهات نظر سياسية وفلسفية وفكرية . وقال ان من حق وزارة الثقافة ان تكون لها وجهة نظر .

ووصف ذلك بانه « ظاهرة صحية » ، مشيرا الى وجود اليسار اليمين في مصر منذ البدء .

ثم وجه الحديث الى صلاح عبدالصبور قائلا : اعتقد ان الوزير يوسف السباعي لا يشاطرك الراي . فالخلاف ليس اداريا بقدر ما هو خلاف ايديولوجي .

وتدخل عبدالرحمن الشرقاوي في المناقشة فقال ان موضوع مجلة « الكاتب » اخذ حجما اكبر مما ينبغي .

---

(١) في هذه الاثناء وزع بيان على الحضور وعددان اخيران من مجلة « الكاتب » .

البيان الختامي
لندوة المجلات الأدبية والثقافية

في اليوم الرابع من ندوة المجلات ، صدر البيان العام التالي :

ان المرحلة التاريخية الراهنة ، ونحن على مشارف الربع الاخير من القرن العشريـن ، تتطلب من الادباء والمثقفين في اسيا وافريقيا ، ان يتصدوا ، بيقظة تطرد حدة وبـوعي يـزداد عمقا باستمرار للمسئوليات الملقاة على عاتقهم .

وادراكا لهذه المسئولية ، من جانب اتحاد الكتاب الافريقييـن الاسيوييـن وتنفيذا لقرار المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الاسيويين المنعقـد في الما آتا من ٤ الى ٧ سبتمبر ١٩٧٣ انعقدت في بيـروت عاصمة الجمهورية اللبنانية في الفترة من ٢ الى ٥ ديسمبر ١٩٧٤ ، ندوة متخصصة عن « المجلات الادبيـة والثقافية فـي افريقيا واسيا » بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين وفي اطار اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيوييـن . وحضر الندوة ٥١ مندوبا من رؤساء التحرير والمسئوليـن عن ٢٣ مجلة ادبية وثقافيـة في ٣ بلـدان افريقية ، ١٠بلدان اسيوية، ٧ بلدان عربية ، ومراقب واحد .

عالجت الندوة دور المجلات الافريقية الاسيوية الادبية والثقافية، في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، ودورهـا في حركـة الابداع الادبي والصعوبات التي تعترضها في سبيل تاديـة كل مـن هذيـن الدورين الاساسيين وطرق تذليل هذه الصعوبات .

وانعقد راي المشاركين في الندوة على ان المجلة الادبيـة والثقافية يمكـن ان تكون سلاحا ثمينا وفعـالا للنضال ضد عسف الامبريالية ، وضد استماتة الاستعمار القديم في التشبث بمـا بقي له من مواطـيء قدم ، وضد خبث الوسائل التي يجهد الاستعمار الجديد عن طريقها في التغلغل الىثقافةواداب بلادنا ، وضد مهانـة العنصرية ، وصلافـة الصهيونيـة ، ضد الاستغلال وتخريب ثروات الانسان المادية والروحية علـى الســواء .

ويؤكد المشاركون في الندوة ، من جديد ،عزمهم الذي لا يحيد ، على مواصلـة العمل في ساحـة هذا النضال النبيل، من خلال انتاجهم الادبـي وعن طريق المجلات الادبيـة والثقافية التي يتولون مسئوليتها.

انهم ليؤكدون أن الصحافة الادبية والثقافية عمل ثوري هام،ومنبر اساسي ينبغي الحفاظ عليه وتدعيمه ، في هذا الاتجاه ، في خدمـة جماهير شعبهـا وتعبئة طاقاتها الخلاقة ، وتلبيـة حاجاتها الثقافيـة والروحيـة .

وقد عمل المشاركون في الندوة على تحديد القسمات الاساسية للمهام التي ينبغي على المجلات الادبيـة والثقافية والروحية .

وقد عمل المشاركون في الندوة على تحديد القسمات الاساسية للمهام التي ينبغي على المجلات الادبيـة والثقافية ان تنهض بها ،ومن ابرزهـا :

أ ــ في مجال النضال من اجل التقدم الاجتماعي والسلام وحماية الشعوب في افريقيـا واسيا :

١ ــ تعميق نضال الشعوب الافريقية الاسيوية ، والارتفاع بكفاحية المثقفيـن فيها ، من اجل تصفيـة الامبريالية ، والقضاء علىالاستعمار، وايقاف التسلل الاستعماري الجديد ، ومحو عار العنصرية ، والمام هزيمة الصهيونية كاحتلال على ارض فلسطين وكايديولوجية رجعية .

٢ ــ العمل ، باساليب ملموسة ، على دعم التعاون والتضامن بين حركة التحرر الوطني في افريقيا وبيـن الحركة الديمقراطية في العالم الغربي ،بفصائلها المختلفة ، والبلاد الاشتراكية .

٣ ــ العمل على توثيق الترابط المستمر بيـن الفكر والتطبيق ، بحيث يكـون المثقفـون والادباء جزءا عضويـا من مجتمعاتهم لا يمكـن الفصل بينهم وبينهـا ، وبحيث يصبحون حقا ، قوة مرتبطـة عضويـا بالقوى الاجتماعية الحركةلعملية التحولالاجتماعي التقدميالديمقراطي.

ب ــ في مجال الابداع الفني والفكري :

١ ــ العمل على توعية الجماهير وتعريفها بالقضايا الاساسيــة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والفنية ، والابداعات الفنية ، مـع ارتباطهـا المستمر بالنضال من اجلها ، وتقييمها ، ونقدهـا ، وفهـم العمليات المعقدة التـي تتم في نطاق الادب والفكر الافريقي الاسيوي في عصر التقدم السياسي والاجتماعي والتقني ، والمساعدة على تكويـن الذائقـة الجماليـة الرفيعـة لدى الجماهير الشعبية العريضة .

٢ ـ تقديم ورعاية المواهب الفنية والادبية وافساح السبيل امام الممارسة الخلاقة وانماء انواع ادبية طليعية وجديدة نابعة عن التغييرات الهائلة التي تجري في البلاد الافريقية الاسيوية .

٣ ـ تطوير وتعميق العلاقة بين المعاصرة والتراث القومي والانساني على اساس الحفاظ على العناصر الحية المتجددة من هذا التراث .

٤ ـ العمل على احلال اللغات القومية ، محلها اللائق بها وبخاصة في البلاد الافريقية والاسيوية الحديثة العهد بالاستقلال ، والحفاظ على هذه اللغات وتطويرها وتحديثها .

٥ ـ توثيق الروابط الاممية بين ثقافات الشعوب في مجالات الابداعات الفنية المعاصرة والتراث الانساني العريق على السواء وتبادل الخبرات الفكرية والفنية ، والتعريف على وجه اخص بالاداب الافريقية الفتية والاداب الاسيوية العريقة المتجددة .

٦ ـ توسيع نطاق الصلة بين المجلة والجماهير عن طريق اللقاءات والندوات والمناقشات ، سواء على الصعيد المحلي او على الصعيد الاقليمي والدولي .

وتوصي الندوة بعقد ندوة متخصصة في قضايا الابداع الفني ، بمختلف جوانبه ، برعاية اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين . وقد عالج المشاركون في الندوة المشكلات والصعاب التي تعترض المجلات الادبية والثقافية وسبل تذليل هذه الصعاب .

ويوصي المشاركون في الندوة بما يلي :

ا ـ من حيث التمويل :

ـ ان تقوم الدول الوطنية والتقدمية باستمرار دعم المجلات الادبية والثقافية ماليا على اساس ان المجلة الادبية والثقافية مشروع قومي لا يقل اهمية عن المشاريع الحيوية الاخرى .

ـ ان تقوم المؤسسات والهيئات الثقافية بالدور الذي تمكنها منه مواردها المالية في هذا المجال ، سواء كان ذلك بالدعم المالي المباشر ، او بالاشتراك في المجلات بصفة خاصة .

ب ـ من حيث مشكلات العمل التقني الصحفي :

ـ متابعة تنفيذ قرار المكتب الدائم للكتاب الافريقيين الاسيويين بانشاء مراكز اقليمية في اسيا وافريقيا للاتصال بالكتاب الافريقيين الاسيويين ، وان يعهد الى هذه المراكز بتوثيق الاتصال بالمجلات الادبية والثقافية .

دراسة مسالة انشاء وكالة ادبية افريقية اسيوية تسعى الى تسويق المقالات والقصص والقصائد لتكون حلقة ارتباط بين الكتاب والمجلات .

ـ السعي الى الارتفاع بالمستوى التقني للطبع والاخراج الصحفي عن طريق الاستعانة بالخبرات المكتسبة في البلاد الاشتراكية والهيئات والمؤسسات التقدمية والديمقراطية في العالم العربي وفي البلاد الافريقية الاسيوية المتقدمة في هذا المجال .

ـ السعي الى تهيئة الاطر التقنية في هذا المجال عن طريق العمل على تعديل مناهج التعليم التشكيلي والتقني وزيادة البعوث والزيارات الى الدول المتقدمة في هذا المجال .

ج ـ من حيث مشكلات التوزيع :

ـ العمل على الاستفادة عن الخبرة المهنية المتخصصة وتطويعها لخدمة الاهداف الثقافية للمجلات الادبية والثقافية التقدمية .

ـ السعي الى تعدد وتوسيع قنوات التوزيع من غير طريق التسويق التجاري (اشتراكات الهيئات والمؤسسات والمكتبات وانشاء نوادٍ للقراءة .. الخ) .

ـ العمل لحل مشاكل الرقابة وتحويل العملة التي تحد من توزيع المجلات .

وتوصي الندوة بدراسة انشاء هيئة منبثقة عن المكتب الدائم لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين وتتكون من رؤساء تحرير المجلات الادبية الممثلين في الندوة ، لمتابعة توصيات هذه الندوة ،وتجتمع بصفة دورية .

ان ميزان القوى في العالم اليوم في ظل الظروف التي انفتحت فيها افاق الانفراج الدولي يرجح على نحو ملموس ، لصالح القوى الديمقراطية والتقدمية وقوى التحرر الوطني ، ضد الامبريالية والاستعمار بكل اشكاله والصهيونية والعنصرية . ونحن اذ نشيد بالانتصار التاريخي الذي حققه نضال الشعب الفيتنامي الباسل ضد الامبريالية الامريكية وحلفائها ، ونلتزم بمواصلة تاييد هذا النضال حتى يستكمل مسيرته ، ونحيي مناضلي غينيا بيساو وجزر الراس الاخضر ، وموزمبيق ، وانجولا اذ يتقدمون ، مع حركة التاريخ الحتمية، تقدما باهرا نحو تحقيق الاستقلال الوطني بفضل كفاحهم اولا واساسا ونتيجة لعمل القوى التقدمية في البرتغال . كما نشيد بنضال الكتاب في كوريا الجنوبية ونطالب باطلاق سراح المسجونين منهم وتوفير حرية التعبير لهم ، كما نحيي الشعب الشيلي في نضاله وخاصة الكتاب في نضالهم ضد الحكم الفاشي من اجل الحرية والسلام والقضاء على الطغمة العسكرية . ونحن نجدد العهد بالتزامنا بتاييد نضال حركة التحرر الوطني في البلاد العربية ، ونحيي الانتصار الذي حققه كفاحها في حرب اكتوبر ١٩٧٣ محطما اسطورة التفوق العنصري الاسرائيلي ومثبتا مقدرة الشعوب العربية على النهوض باعباء حرب التحرير والسيطرة على ظروفها التكنيكية المعقدة ، ونحيي نضال الشعب الفلسطيني في استرداد حقوقه الوطنية وحق تقرير مصيره على ارضه ، ونحيي منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، ونضال الشعوب العربية من اجل تحرير ارضها المغتصبة ، ومن اجل التنمية الاجتماعية لصالح الجماهير واعادة البناء الاقتصادي والثقافي المستقل . واننا ندين الاعتداءات الاسرائيلية المتواصلة على جنوب لبنان وعلى السكان المدنيين على الاخص بقصد تهجيرهم عن بيوتهم واراضيهم وابتزاز الموارد المائية اللبنانية في الجنوب ، خارقة السيادة الوطنية للجمهورية اللبنانية وشرعة حقوق الانسان كما نستنكر ابعاد السلطات الاسرائيلية للمواطنين العرب في الضفة الغربية المحتلة مناقضة القانون الدولي واتفاقية جنيف . ويجب ان يعود هؤلاء المبعدون الى وطنهم فورا .

والمشاركون في الندوة يؤكدون من جديد اهمية وضرورة التحالف بين القوى التقدمية في العالم كله : قوى التحرر والقوى الديمقراطية والعمالية والاشتراكية في العالم الغربي ، وقوى البلاد الاشتراكية .

ان دور المجلات الادبية والثقافية في بلادنا سواء في مجال حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، ام في مجال الابداع الادبي ،يتعاظم وزنه اكثر فاكثر في هذه الظروف العالمية الجديدة بوجه عام وظروف حركات التحرر الوطني الافريقية الاسيوية بوجه خاص . ففي هذه الظروف الجديدة التي تؤذن بانتهاء مرحلة انهيار الحكم الاستعماري الكولونيالي كليا ، تبرز امام شعوبنا الافريقية الاسيوية جمعاء مهمات جديدة في سبيل تحقيق مطامحها الى احداث التحولات العميقة والشاملة في مجالات البناء الاقتصادي الاجتماعي الثقافي التقدمي المستقل ،وفي سبيل حماية مكتسباتها التحررية ، الوطنية والاجتماعية من اخطار التامر الاستعماري الامبريالي القائمة والمحتملة .

ان هذه المهمات الجديدة في مرحلتنا الحاضرة ، تضع على عاتق

المجلات الادبية والثقافية في بلداننا مسئوليات ذات ابعاد افقية وعميقة من نوع جديد . فقد اصبحت المجلة الادبية والثقافية في عصرنا من اهم الوسائل الفعالة :

أ ـ في تحديد هذه المهمات واضاءتها بطريق الابداع الادبي او المنهج الفكري التقدمي .

ب ـ في تعبئة روح الجدية الصارمة لدى القادة الثوريين ،ولدى الجماهير الشعبية ، من اجل تحقيق المهمات المطروحة امام قوى التغيير الاجتماعي التقدم .

ج ـ في ابراز دور الجماهير الشعبية في انجاز تلك المهمات بصورة جذرية ، وحمايتها من اخطار التآمر الاستعماري الامبريالي الرجعي .

ان الكلمة الواعية والفكر المسئول ، لكي يتحولا الى قوة معبئة وفاعلة في مجتمعاتنا لتحقيق هذه الاهداف كلها ، يجب ان يتهيا لهما سبيل الانتشار الاوسع في صفوف الجماهير المعنية في الدرجة الاولى بهذه الاهداف نفسها . في حين ان معظم مجلاتنا الادبية والثقافية التي تحمل الكلمة الواعية والفكر المسئول ، تعاني الان صعوبات متنوعة تحول دون انتشارها الضروري . وياتي في طليعة هذه الصعوبات :

اولا : تركة الامية والجهل الموروثين في شعوبنا عن عهود الاستعمار الطويلة والثقيلة . فقد اوجدت هذه العهود المظلمة والظالمة شكلا من اشكال الضعف التاريخي عن استيعاب ما تحمله مجلاتنا من ابداعات ادبية واتجاهات فكرية واساليب في التعبير والتفكير جديدة ، فاضعف ذلك من عدد قرائها ، وحال دون انتشارها في صفوف الجماهير الشعبية وانصاف المثقفين ، واضعف ـ بالتالي ـ من قدرتها على تادية دورها في تعبئة الراي العام الوطني والشعبي والثقافي تعبئة فكرية عميقة وشاملة وفاعلة .

ثانيا : النقص الفادح في تكون الاطر الفنية الكافية لاعداد هذه المجلات اعدادا يستجيب لحاجات التطور المعاصر في وسائل نشر الفكر العلمي التقدمي والادب الابداعي الثوري الملتزم ، واصالها الى اوسع الجماهير التي هي العنصر الاساسي في تحقيق مهمات التغيير الاجتماعي لصالح هذه الجماهير .

ثالثا : عدم توفر المناخات الضرورية لحرية التعبير في كثير من بلداننا ، عن المتطلبات الحقيقية الجذرية للمرحلة التاريخية ، الحاضرة وشبه الحاسمة من مراحل النضال الذي لا تزال تخوضه شعوبنا في مواجهة التحديات الاستعمارية الامبريالية والرجعية .

رابعا : افتقار الانتاج الادبي والثقافي ، في معظم بلداننا ، الى الحماية التشريعية لملكية الانتاج الثقافي بوجه عام ، ولوسائل تسويقه وتبادله بين اوطاننا الافريقية الاسيوية ، سواء من حيث الرسوم الجمركية ، او التوزع ، او الاستثمار المادي لطاقات منتجي الثقافة بمختلف اشكال الاستثمار ووسائله المتبعة حتى الان .

ان هذه المصاعب وامثالها تحتاج منا الى البحث عن الحلول الحاسمة لها ضمن كل من بلداننا وفي الاطار الافريقي الاسيوي العام . والبحث عن هذه الحلول يضع امام مجلاتنا الادبية والثقافية مسئولية النضال المتواصل في سبيل تحقيق المهمات التالية :

١ ـ عمل كل منا في بلده لحث السلطات المسئولة على انجاز حركة مكافحة الامية ، وعلى تعميم التعليم الرسمي ومجانيته والزاميته في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، بحيث يصبح شاملا مختلف الطبقات والفئات الشعبية .

تحية وشكر

اصدر المؤتمر القرار التالي في نهاية جلساته

ان ندوة المجلات الادبية والثقافية الافريقية الاسيوية المنعقدة في بيروت عاصمة الجمهورية اللبنانية من ٢ الى ٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٤ ، تشكر فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ سليمان فرنجية على رعايته الندوة ، ورئيس الوزراء الاستاذ رشيد الصلح على مشاركته في الافتتاح ، والمؤسسات الرسمية التي تعاونت مع الندوة ولا سيما المركز التربوي للبحوث والانماء، على ما لقيه اعضاء الوفود من حسن الضيافة ، كما تشكر اتحاد الكتاب اللبنانيين على ما بذله من جهود مثمرة وما وفره مع الامانة العامة لاتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين من حرية المناقشة في هذه الندوة الهامة التي تسجل مكسبا جديدا لمنظمة الكتاب الافريقيين الاسيويين في نضالها من اجل ثقافة تقدمية في خدمة شعوب القارتين .

٢ ـ العمل على هدم الاسس والمبادىء التربوية الرجعية البالية التي ورثتها بلداننا عن عهود الاستعمار وايديولوجياته الاستعمارية، واقامة المناهج والبرامج التعليمية الوطنية على اسس ومبادىء جديدة علمية مستوحاة من توجهات شعوبنا نحو مهمات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على اساس انتاجي يخدم مصالح التحرر الاجتماعي الشامل .

٣ ـ العمل على ابراز الشخصية الوطنية لثقافة الشعوب الافريقية الاسيوية ، بالتعبير عن خصائصها التاريخية المتكونة ضمن اطار القوانين العامة للتطور البشري ، مع ربط هذه الخصائص بالمطامح التحررية والتقدمية التي بلورتها نضالات شعوبنا على المدى الطويل .

٤ ـ معالجة التراث الثقافي والحضاري بوجه عام لبلداننا على اساس النظر اليه في حركته وصيرورته ، لا في ثباته وسكونيته ،بمعنى ان ننطلق في رؤية هذا التراث من خلال حاجات الحاضر نفسه ،بما في هذا الحاضر من احتمالات المستقبل وافاقه التطورية المتقدمة .

٥ ـ العمل على فتح اوسع افاق الحرية الفكرية لمنتجي الادب والثقافة الابداعيين الملتزمين بقضايا التقدم المادي والروحي لكل الطاقات البشرية لدى شعوبنا . وذلك بمنع مصادرة اي اتجاه من الاتجاهات الوطنية التقدمية ايا كانت منابعها الاجتماعية والفكرية من النشر في المجلات الثقافية والفكرية .

٦ ـ العمل لدى السلطات المسئولة على ايجاد التشريعات الضرورية ، في كل بلد من بلداننا ، لحماية الانتاج الثقافي ، وازالة جميع الحواجز المالية والسياسية والاعتباطية التي تعرقل او تمنع تبادل هذا الانتاج وتفاعله المثمر بين بلداننا الافريقية الاسيوية .

ومن هذا المنطلق يؤكد المشاركون في الندوة تصميمهم على العمل ، من خلال مجلاتهم واعمالهم الفنية والفكرية ، من اجل كشف ودحر الثقافة الزائفة الامبريالية باتجاهاتها الانعزالية والتشاؤمية والعدمية وهم يرون ان طاقة الخلق والابتكار ، وقوة التفاؤل والاستبشار ، والعزم على المشاركة الايجابية في هموم الناس وامالهم وعلى حمايتهم ودعم نضالهم من اجل التقدم الاجتماعي ، والايمان بالقوى الروحية الهائلة للانسان ، انما هي رصيد لا ينفد ودافع محرك الى الامام لا يتوقف ، من اجل المستقبل ـ وهو مستقبل يكمن في صميم الحاضر نفسه بكل تعقيداته ـ مستقبل العدالة والحرية والكرامة والسلام .

النشاط الثقافي في العالم



رسالة لندن من شفيق مقار

في الحب والحرب وازمة الامم

عشت وسلمت يامصر . اذكرك، والقلب يتقد شوقا اليك ، في مثل هذه الايام من عام مضى ، قبل ان يتكاثروا عليك ، وقد فتحت عينيك ، برغم كل شيء ، ورفعت راسك لحظة ، فقلبت الدنيا راسا على عقب ، يا ام الدنيا ، يا حبيبة .

ولمَ تنسى دائما من انت ؟ لم تنسى انك مصر فيكاد يحاصرنا اليأس من كل جانب ؟ من الذي فعل بنا هذا ؟ لمَ لا نذكرك الا ووجهك جريح وراسك منكس وعبيدك القدامى ينتهكون أرضك ؟ لمَ ، وانت انت مصر وستظلين ابدا . هزة غضب قصيرة واحدة من قبضتك، في وجه عالم متواطيء عليك ، واذا بمصائر الامم تتارجح في الميزان . غيرت كل شيء ، وقلبت كل الموازين . والله هم لا يضيقون عليك الخناق ويغصبونك بحقدهم الا لانهم يعرفون ، ربما باكثر مما نعرف نحن احيانا، ما الذي يمكن ان تفعليه لو تركت لتحققي مصيرك . كم يوما فاتت منذ عام يا مصر ؟ وها هي اعتى أمم العالم واغناها واشدها باسا ما زالت من يوم قتالك تلعق جراحها ، وتحاول ان تستعيد توازنها فيختل اكثر . فمعركتك كانت في صحرائك ، لكنها ، لانك مصر ، بات العالم كله ساحة لها .

انعرفين ما فعلت بهم يا مصر ؟ هذه ليست تهاويم ابن عاشق لك مؤمن بك أدار راسه في الغربة الكالحة الباردة حنين لاعج لوجهك الصبوح . انظري اليهم وانت رابضة صامتة لا تفصحين كأبي الهول في صحرائك ،وهم يدورون حول انفسهم كوحوش جريحة تزمجر وتحاول ان توقف نزف دم حياتها الذي لا ينقطع .

اذكرك وانا اتسكع في تلك الليلة التي لا تنسى من رمضان الفائت ، بازقة الحسين ،لا اكاد اصدق ، وكلنا ما زلنا منومين، لا نحس بعد ذلك النبض الذي ما لبث ان زلزل الدنيا ، وقد بدأ يدق في عروقك. سمعتنا في تلك الليلة نتساءل في اعماق قلوبنا: « احقا ، يا مصر ؟ » وسمعت عبدا من عبيدك القدامى ينطق بلسان امانيهم منذ شهور ويقول : « لقد تعبت مصر » . وكم يحبون لو تعبت بحق . فهل انت تعبت يا مصر ؟ لكنك ، منذ فجر الزمان ، كنت هدفا دائما لمقتهم وخوفهم وغارات حقدهم . منذ قديم وهم يحلمون بمصرعك. فمن الذي ظل يصحو لهم على مر العصور كمارد ويسحقهم، كل الغزاة وسابلة الزمان ؟ ومن الذي عاد فقعل بهم هذا كله الآن ؟ . انت . وانت لم تكادي تتململين .انظري اليهم يا مصر ، معذبيك وكارهيك وطالبي موتك، الذين طال عذابك على ايدي مقتهم وخوفهم من يقظتك . انظري اليهم جيدا ،واصغي الى ما يقولون . انهم لا يكرهون الاك . لانهم يعرفونك. كم مرة حاولوا ان يجهزوا عليك ؟ كم مرة يا مصر ؟ وكم سلاح استخدموا ضدك ؟ وكم سفاح اكتروا عليك ؟

انظري اليهم والقي اليهم بسمعك . اللهم لا شماتة ، بل يقظة. صحوة اطول . وانظري فقط ما فعلته بهم صحوة لك قصيرة لم تدم في حساب الزمان الا لحظة . نهرك الهادر الجائش التحت ارضي المتدفق ابدا ، لا تطمسه اقدام الغزاة او الطغاة ، الذي ظل يتفجر كبركان على مر العصور ، بغتة ،بعد ان يكون الكل قد آمنوا أنك هجعت وتعبت ونمت ، لا تدعي اعداءك يقطعون الطريق عليه ويحولونه الى مخاضة لاقدامهم الدنسة . دعيه يندفق وينفجر يا مصر ، ويجتاح في طريقه كل ركام واوساخ القرون التي خلفتها الضباع والكلاب على دروبك ، وانظري اليهم اليوم ، واسمعي ما يقولون عما فعلته بهم ، اولئك الاعداء الذين اكتروا عبيدك القدامى عليك :

« انقضى اليوم عام منذ نشبت الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل . وذلك حدث تعاظمت - بدلا من أن تتضاءل - بمرور الوقت، ابعاده . ويبدو من الان ان عام ١٩٧٣ سيذكره الخلف كتاريخ من التواريخ الرئيسية في القرن العشرين ، القرن الذي بلغت فيه سيطرة الشعوب ذات الاصل الاوربي على العالم ذروتها ثم بدات منه انحدارها السريع الحاد .»

(افتتاحية التايمز ٧ اكتوبر ١٩٧٤ ، بعنوان « بعد عام من حرب يوم الغفران »)

« كانت اخر ذروة بلغها الاقتصاد العالمي في النصف الاخير من سنة ١٩٧٣ . فالازدهار العظيم (للدول الصناعية) كسر وتحطم بحرب اكتوبر » .

(التايمز ٢٦ سبتمبر ١٩٧٤)

« منذ اخر عرض لحالة الاقتصاد العالمي ، في الشهر الماضي، تغير الموقف الاقتصادي .. الى الاسوأ ، بالنسبة للنشاط الاقتصادي العام ، بل وجنح الى الركود والتدهور . فالبطالة ، وان لم تكن قد وصلت بعد الى درجة تثير الذعر ، تتزايد بلا هوادة من يوم الى يوم، خاصة في المانيا الغربية . وبحدوث هذا التغير في الموقف العام ، تجدد الحديث حول الكساد العالمي والانحسار الاقتصادي الذي بدات علاماته المبكرة تشاهد بوضوح ، خاصة في الولايات المتحدة الاميركية » .

(يوروبا ١ - ١٠ - ١٩٧٤)

« وجه المستر دنيس هيلي ، وزير الخزانة البريطاني ، تحذيرا باعثا على اشد الانزعاج الى العالم امس من خطر تكرار كارثة ١٩٣٠ الاقتصادية ، وذلك في الكلمة التي القاها باجتماع صندوق النقد الدولي بواشنطن » .

(التايمز ٢اكتوبر ١٩٧٤)

« الواقع ان المنشورات الانتخابية للاحزاب البريطانية في الحملة الانتخابية الراهنة ، والمحاولات المبذولة لتفسير مضامينها وشرحها للناخبين ، تترك انطباعا بأن القادة السياسيين انفسهم لا يقلون ذهولا وارتباكا ازاء الحالة الاقتصادية الراهنة من جمهور الناخبين ذاته ».

(الفاينشال تايمز ٢ اكتوبر ١٩٧٤)

« قبل ايام قليلة من اجتماع كبار رجال الصناعة الفرنسية بمدينة ليل في مؤتمرهم السنوي ، اعلنت الحكومة الفرنسية في تقرير رسمي ان حالات الافلاس في منطقة باريس ، بين المؤسسات الصناعية ، قد ازدادت بنسبة ٤٥ بالمئة خلال الشهور العشرة الماضية ... وفي فرنسا كلها ، ارتفع عدد الشركات التى باتت فى حاجة الى عون مالي من الحكومة من ١٦٠٠ شركة الى ٣١٢٠ شركة » .

(الفاينشال تايمز ٣ اكتوبر ١٩٧٤)

« القى افلاس احدى شركات الانشاءات الكبرى بالمانيا الغربية عن خصوم قدرها ١٢٠ مليون مارك الماني ، ضوءا مزعجا على تفشي حالات الافلاس بين الشركات الالمانية المشتغلة بصناعة البناء والانشاءات والتي افلس منها خلال النصف الاول من هذا العام عدد ضخم وصل الى ٤٨٨ شركة (يخشى ان يرتفع الى ١٠٠٠ شركة قبل نهايةهذا العام) ».

(الفايننشال تايمز ٤ اكتوبر ١٩٧٤)

« حققت المانيا الغربية وثبة مزعجة في العجز بميزان مدفوعاتها الذي وصل الى ٣٠٣٠ مليون مارك الماني في اغسطس ١٩٧٤ . ويقول تقرير « البانذبنك » الذي نشر اليوم ان العجز وصل بذلك الى ثلاثة اضعاف ما كان عليه في يوليو الماضي . »

(الفايننشال تايمز ٣ اكتوبر ١٩٧٤)

« رغم التحسن الطفيف في موقف بريطانيا بالنسبة للعجز بميزان مدفوعاتها (اذ لم يزد الا بحوالي ٥٧ مليونا من الجنيهات الاسترلينية فيما بين اغسطس وسبتمبر ١٩٧٤) فان حكومة العمال التي اعيد انتخابها تذهب الى مقاعد الحكم وهي مواجهة بحقيقة تجعل المرء يفيق من اي وهم ، وهي ان الحساب الجاري لميزان المدفوعات البريطاني ما زال يعاني من عجز خطير وصل رقم معدله السنوي في الربع الثالث من هذا العام (يوليو الى سبتمبر ٧٤) الى حوالي ٣٥٠٠ مليون من الجنيهات الاسترلينية . »

(الفايننشال تايمز ١٢ اكتوبر ١٩٧٤)

« سببت اسرائيل حرجا بالغا للسوق الاوربية المشتركة عندما فاجات بلدان السوق بطلب تضمين « اتفاقية التبادل التجاري الحر » التي يجري التفاوض حول شروطها حاليا ، بنودا تقضي بتقديم معونات مالية الى اسرائيل . فقد اوضح الاسرائيليون أن العجز في ميزان مدفوعاتهم يحتمل ان يصل الى ١٥٠٠ مليون من الدولارات هذا العام ، وطالبوا ، لذلك ، بالسماح لهم بالحصول على قروض من مؤسسات السوق المالية « كبنك الاستثمار الاوروبي » .

« ويصر الاسرائيليون على ان وضعهم المالي والاقتصادي تدهور بشكل خطير منذ حرب اكتوبر ، بينما تحسن وضع العرب تحسنا ضخما » .

(الفايننشال تايمز ٨ اكتوبر ١٩٧٤)

ومنذ شهور قليلة اشرفت ايطاليا على الافلاس ، وما زالت مهددة به ، ويقدر العجز الذي ستحققه في حسابها الجاري حتى اخر هذا العام بما يصل الى ٥٥٠٠ مليون من الدولارات .

(الصحف البريطانية ١٢ و ١٣ يونيو ١٩٧٤)

وفرنسا وصل العجز في حسابها الجاري حتى شهر مايو الماضي ٨٠٠٠ مليون فرنك ، واعلن رئيس جمهوريتها الجديد برنامجا صارما للتقشف استهل عهده به . ويمثل ذلك كله نكسة خطيرة للاقتصاد الفرنسي ، بعد ان ظل ميزان المدفوعات الفرنسي يحقق فائضا طوال سنة ١٩٧٣ .

(الصحف البريطانية ١٤ يونيو ١٩٧٤)

وازاء ذلك كله يتتابع اشهار افلاس البنوك في الغرب . وقد استهلها بنك هيرستات الالماني ، وفي اعقابه البنك البريطاني الاسرائيلي بلندن ، بفضيحة مدوية ، والان بنك فرانكلين الاميركي وهو من كبريات البنوك بالولايات المتحدة ، وبنك الائتمان الدولي السويسري. كما تعرضت بنوك اخرى بريطانية واميركية والمانية لهزات خطيرة . وحتى شركات الطيران الكبرى الاميركية بدأت تواجه بدايات الافلاس وتحاول ان تنقذ انفسها بالاندماج .

وهذه كلها شذرات متفرقة ، وقطرة في بحر متلاطم مصطخب اجاج .

ومن الذي صحا وتصدى وايقظ وقاد وعرى صدره للمهالك وفقد الالاف من اعز ابنائه ؟ أنت يا مصر . عشت وسلمت وانتصرت . تحية لك من اعماق القلب ولكل ابن من ابنائك مات او جرح او عرض حياته للخطر من اجلك .

عن بحر المال العربي والاعلام العربي الأبكم

لا تكاد تفتح صحيفة او مجلة مما يصدر في الغرب في الاونة الاخيرة الا وتجد حديثا لا ينقطع عن « فائض اموال النفط العربية الذي يجتاح الغرب كالطوفان » .

ويقيم الاسرائيليون الدنيا ويقعدونها حول ذلك الخطر الداهم الذي يتهدد « الديموقراطيات » الغربية في اعز ما لديها . واعز ما لديها هو السيطرة الحاكمة الخانقة لرأس المال الصهيوني الذي بدأ يحس ذعرا حقيقيا من « منافسة » رأس المال العربي الباحث عن سوق استثمارات ، والباحث عن اشياء اخرى ايضا غير الاستثمارات واسعار الفائدة والضمانات والتعهدات ضد تآكل قيمته الحقيقية بفعل التضخم الضاري المستشري في الغرب .

ومنذ شهر او اكثر ، نشر هذا الكلام في الغرب : « ستحقق البلدان العربية المنتجة للنفط دخولا تبلغ ١٠٠ بليون دولار (اي حوالي ٤١٦٠٠ مليون من الجنيهات الاسترلينية) هذا العام . ولسوف يتدفق الجانب الاكبر من تلك الاموال على سوق الاستثمارات الغربية. وسيتجه جزء لا يستهان به منها الى الولايات المتحدة بالذات . ولقد بدا ذلك يثير نقاشا حادا في الولايات المتحدة حول قدرة اميركا على استيعاب ذلك المال العربي المتدفق دون ان تفقد سيطرتها على صناعاتها لتنتقل تلك السيطرة الى ايدي العرب . وتقوم اللجنة الاميركية اليهودية بمناقشة تلك القضية من واقع بحث مقدم لها عنوانه: « الاستثمارات العربية : تهديد ام منفعة للغرب ؟ » لانه ان كانت الفوائض النفطية قد زودت العرب بسلاح عسكري وسياسي فعال ضد اسرائيل في حرب اكتوبر ١٩٧٣، فما الذي لا تستطيع تلك الفوائض ان تحققه للعرب مستقبلا ؟ وتبين ابحاث اللجنة ان الاموال العربية قد توصلت حتى الان الى غزو السوق العقارية ، والبنوك، والصناعة ، في الولايات المتحدة الاميركية » .

وفي بريطانيا مؤخرا اشترت الكويت مجموعة من الشركات البريطانية في صفقة بلغت قيمتها حوالي ١٠٠ مليون من الجنيهات الاسترلينية ، فخرجت الصحف على قرائها بذلك النبا بالصورة التالية : « العرب يخطفون ما قيمته ١٠٠ مليون من اقتصادنا ».

وتطالعنا الصحف كل صباح بانباء المال العربي المتدفق لينقذ البلدان الصناعية من محنتها الاقتصادية ، واقرب ما تعيه الذاكرة القرض السعودي الى اليابان وقد وصل الى ١٠٠٠ مليون من الدولارات .

ورغم ذلك كله ، ورغم ما اعترفت به الصحف البريطانية صباح ٣ اغسطس الماضي من ان الفضل في ايقاف التدهور الخطير في احتياطيات المملكة المتحدة وتحقيق الاستقرار النسبي لسعر العملة بها راجع الى الايداعات الضخمة للبلدان العربية المنتجة للنفط في البنوك البريطانية .

ورغم ان ضخ دم الحياة في شرايين الاقتصاد الاميركي والصناعة البريطانية والاميركية الذي اعتبرته اللجنة اليهودية « خطرا يتهدد الغرب » - يساعد ذلك الاقتصاد وتلك الصناعة في الواقع على تزويد اسرائيل بمزيد من السلاح ومزيد من الدعم الاقتصادي والمالي والعسكري .

ورغم ان القروض التي طالبت اسرائيل بلدان السوق الاوروبية السماح لها باقتراضها من مؤسسات السوق المالية كبنك الاستثمار الاوربي لم تكن لتصبح ممكنة على ضوء ازمة الغرب الاقتصادية الراهنة) لولا بحر المال العربي المتدفق على الغرب هذا .

ورغم ما نعرفه ، نحن العرب، او رغم ما ظللنا نكرره حتى اقتنعنا

به ، من ان السيطرة الصهيونية الخانقة على العقول والضمائر والافواه والاقلام في الغرب راجعة الى قوة راس المال الصهيوني وتحكمه في اقتصاديات بلدان الغرب وتداخل مصالحه مع مصالح تلك البلدان .

رغم ذلك كله ، ورغم هذا الدور الخطير الذي بات راس المال العربي يلعبه في انعاش اقتصاديات الغرب و« رد الروح » اليها، كما نقول في مصر ، فان قولك « الشرق الاوسط » في اوروبا ، ما زال معناه (ومعذرة فالحقيقة تجرح) « مباءة العالم ».. باستثناء اسرائيل بطبيعة الحال . عندما يقدم اوربي عربيا الى اوربي اخر، يقول ، بتلك اللهجة المهينة ، وهو يتلاعب بملامح وجهه :« السيد فلان . من .. من .. من .. الشرق الاوسط » . بل ربما ساءت مضامين «الشرق الاوسط» هذه عن قبل . اما قولك « عربي » ، فحدث عما تمنيه بها ولا حرج . ومعذرة مرة اخرى ، فذلكهو الواقع . والواقع هو ان العرب (رغم كل اموالهم المتدفقة على الغرب ورغم « تعاونهم »)مهدرة دماؤهم ، مهدرة كرامتهم ، ومهدرة آدميتهم ذاتها ، في الغرب . فهم صيد حلال مباح ، ابتداء من ثرثرة المقاهي والخمارات ، الى اقوال الصحف ، وعروض التليفزيون ، وافلام السينما .

ويمكنك ، ان كنت قادرا على التمتع بشيء من البرود ، انتجلس امام التليفزيون الانجليزي لتتعلم منه خلال بضعة ساعات ان الذي بنى الهرم الاكبر مهندس يهودي اسير عند خوفو وان اسهام مصرالوحيد في بناء الهرم كان عمل الملايين من عمال السخرة والصخور والرمال، وان العرب هم الذين كانوا (وما زالوا حتى الان) يقومون بغارات وحشية بربرية على الزنوج المساكين في افريقيا لبيعهم عبيداً في اسواق النخاسة ، وان الاوروبيين البيض ، ابتداء من طرزان يهودي الملامح ، الى جنرال انجليزي ،هم الذين قاتلوا دفاعا عن السود لئلا ياسرهم « العرب المتوحشون » ويرسلوهم الى اميركا ربما . فالعربي، باختصار ، هو شرير الحلقة . بصورة مستمرة . وهو ــ معذرة ، لا تغضبوا ، فهكذا نصور هنا ــ « غشاش ولص وشهواني ومتوحش وافاق ومتاخر ولا قيم ولا اخلاق لديه ولو ترك وشانه لعاث فسادا في العالم بحق » .

وتتراوح الحملة بين السخف والاسفاف الرخيص (الذي يؤثر، للاسف ، تأثيرا عميقا وباقيا في عقل وقلب الاوربي العادي) الى الاستاذية في التصميم والاخراج والعرض والاداء . وحتى غارات الفانتوم على الضحايا البشرية تصف المقتولةفي مخيمات اللاجئين بجنوب لبنان ، تصور بصورة « البطولة الخارقة ، خدمة للقيم الانسانية العليا » .

فما الذي يفعله بحر المال العربي المتدفق على الغرب ، ازاء كل ذلك ؟ والسؤال مطروح من منطلق القول بان الاسرائيليين توصلوا الى تحقيق سيطرتهم الاعلامية والفكرية من خلال اموالهم الكثيرة في الغرب .

يبدو ان راس المال العربي المتدفق على الغرب لا يعنيه شيء من هذا في قليل او كثير . رغم ان مثل هذا الغسل المستمر لامخاخالسادة الغربيين يمكن أن يغفر براس المال العربي ، اذ يهيىء الاذهان للموافقة على مصادرته او تجميده في وقت من الاوقات ، لا قدر الله . اليسمال « اولئك العرب » الاتين « من الشرق الاوسط » ؟

والاعلام الوحيد الذي يسهم فيه راس المال العربي خدمة لقضية البقاء او الفناء العربية هو ما يتيحه ــ مثلا ــ لصاحب سلسلة نوادي « بلاي بوي » من ان يقول (كما قال منذ ايام في التليفزيونالبريطاني): « ومالكم تتحاملون علينـا هكذا ؟ اننا نعمل في خدمة الاقتصاد الغربي، ونسترد لكم بعض ما ياخذه العرب منكم عنوة ثمنا للنفط . فيالليلة الماضية فقط خسر احد اولئك العرب على مائدة اللعب بنادي بلاي بوي نصف مليون جنيه . اليس ذلك مكسبا لنا نحن المتحضرين ؟ » او ما يتيحه ، ذلك البحر ، لصحيفة كالجارديان ، لان تقول ، بطول نهر كامل على صدر صفحتها الاولى يوم ١٤ اكتوبر ١٩٧٤ : « تشحيم عجلات القمار » بقلم بول ويستر ، مراسل الجارديان بباريس :

« خسر العرب اول معركة يخسرونها في « حملة دولارات النفط الكبرى » ! ولقد مني العرب بتلك الهزيمة على موائد الروليت بكازينو مونت كارلو للقمار فيختام اغرب موسم للعب شهدتهالريفييرا.

« وقد وصف احد العاملين بالكازينو اولئك العرب بقوله انهم « يلعبون بشراسة » ، رغم ان ما انصب في جيبه من عطاياهم جعل ذلك الموسم افضل مائة مرة من اي موسم مر به في حياته .

« واضاف قائلا : « لم يكونوا يريدون ان يكسروا البنك فقط . كانوا يريدون ان يكسروا الكازينو ايضا ! »

« ولعلهم كانوا سيقدرون حقا على تحقيق هدفهم وكسر الكازينو حقا ، لو لم يكونوا قد نسوا اهم قاعدة من قواعد مونت كارلو: الذوق السليم .

« وعندما اجتاحوا مونت كارلو بقوافل سيارات الرولز رويس والكاديلاك والمرسيدس ، كانوا قد ذهبوا فجربوا حظهم اولا في «كان»، لكنهم لم يظلوا بها طويلا لان القوانين الفرنسية تحد المراهنة بمئة وخمسين جنيها استرلينيا تقريبا، فشدوا الرحال الى مونت كارلو .

« وهناك لقوا ترحيبا عظيما ، فمونت كارلو تضع قواعدها وحدودها الخاصة بها . وهكذا قبل الكازينو ان يظل مفتوحا طولالليل وان يقبل المراهنات بما يصل الى ٨٠٠ جنيه استرليني في المرة الواحدة (اربعة اضعاف الحد العادي) ارضاء لاولئك العرب . او ان الكازينو فعل ذلك حتى اكتشف ان اولئك العرب كسبوا منه في ليلة واحدة ١٢٠ الفا من الجنيهات الاسترلينية .

« وعند ذلك الحد بدأ الكازينو يحس بالتوتر العصبي . فلقد بين التاريخ ان هناك حدا لما في جيب أي امرىء وحدا لما تحتملهاعصابه. لكن ذلك لم يكن ينطبق على اولئك العرب .

« ولقد وجد الكازينو « حلفاء مخلصين » في زبائنه العاديين من اللوردات الانجليز ، والمهراجات الهنود ، واصحاب الملايينالاميركان، واصحاب المناجم في اميركا اللاتينية الذين اثار غيظهم اعطاء اولئك العرب البقشيش للنادل بواقع ٥٠ جنيها استرلينيا في المرة الواحدة ! او الاف الجنيهات للعاملين على موائد القمار . فقد اعتبر ذلك التصرف من جانب اولئك العرب عملا من اعمال محدثي النعمة الذين احرجوا الزبائن العاديين « ممن لا تمكنهم مواردهم » الا بالمراهنة في حدود ٥٠ جنيها في المرة .

« وهكذا التقت مصالح الكازينو ومصالح اللوردات والمهراجات واصحاب الملايين والمناجم (المتحضرين) واعلن الكازينو انه ، تحت الحاح زبائنه ، قد قرر ايقاف الاستثناءات الممنوحة لاولئك العرب . وقد تمكن الكازينو من استعادة معظم خسائره وقلل كثيرا من اعداد اولئك العرب الذين اقتحموه » .

والقصة قميئة وزرية من الجانبين كما ترى . فالكاتب المنفعل المحتد بلاهة (واسوأ منه الصحيفة التى تدعي انها نبراس الليبرالية والتمدين المهذب التي سمحت له ان يقيء هذه البلاهات علىصفحتها الاولى) تقول ان الكاتب وصحيفته لم يفطنا (تحت وطأة الحقد على « اولئك العرب ») الى انهما اشبه بمن يقف على باب ماخور ويتظاهر بالانفعال من اجل الفضلة . والصحيفة المسالمة تدافع عن وكر من اوكار اللصوص بل وتقول بجدية مطلقة ان « ناطقا باسم الشركة صاحبة الكازينو صرح بان العرب كانوا يلعبون بدوافع سياسية ! » لكن ذلك ليس بغريب من صحيفة تتغنى بامجاد « نسور الجو الاسرائيليين فوق جنوب لبنان » .

والاقبح والاشد بذاءة من الكاتب وصحيفته ومهراجاته وشركته وموائد قماره ، السادة الاماجد العرب الذين ذهبوا يبعثرون المالعلى اولئك البغايا ، وشعوبهم تموت جوعا وجهلا . لكن الذي تريد ان نبرزه

النشاط الثقافي في الوطن العربي

مراسلو «الآداب»

ج . م . ع .

رسالة القاهرة من سامي خشبة

ماذا فعل ٦ اكتوبر في ثقافتنا ؟
او : هل تصنع الحرب ثقافة جديدة ؟

هل هناك من يشك في عظمة التضحيات وضخامة الجهود التي بذلها جنود مصر وجنود سوريا ورجال المقاومة الفلسطينية ، ومعهم كتائب من اقطار عربية كثيرة (من العراق حتى الكويت ، ومن الجزائر حتى المغرب ، ومن اليمن الديموقراطية حتى السودان) على الجبهتين في حرب اكتوبر ٧٣ ؟ لقد بذل الرجال دماءهم وحياة كل منهم رخيصة من اجل الوطن والحرية والتقدم ، وانتصروا حاملين رايات هذه المعاني، وحاملين ايضا رايات الايمان بالله او بالمسيح بالمعنى الذي يفهمه الانسان السوي البسيط لهذا الايمان : ان الله يقف - بداهة - الى جانب الحق والعدل ، والى جانب الحرية والتقدم ، ولا يقف ضدهما : انه فقط ينتظر حتى يقف اصحاب هذا الحق الى جانب حقهم لكي يقف هو الى جانبهم . وقد حارب هؤلاء الرجال ، وبذلوا دماءهم وسنوات اعمارهم وصباهم ، او بذلوا حياتهم نفسها ، بنفس الشجاعة والاستعداد للتضحية ، بصرف النظر عن اصولهم الطبقية او عن القطر الذي جاؤوا منه ونظامه السياسي او الاجتماعي .

ومهما كتب الشعراء الصادقون عن بطولات الرجال ، او الشعراء الكاذبون تجار هزائم الامة وجراحها وتجار « الانتصار » عن عشقهم لدمشق ورغبتهم في ان يعلموها فنون العشق اذا وضعتهم كالشط في شعرها (١) او عن القاهرة ورغبتهم في « اداء الاذان من فوق اعلى مئذنة » (٢) فان احدا لن يوفي هؤلاء الرجال حقهم من التمجيد. فالكلمات صادقة او كاذبة - لا يمكن ان تساوي هدايا الدماء والاعمار التي بذلها الجنود لوطنهم تحت رايات القيم التي حاربوا من اجلها .

ولكننا نريد هنا ان نتحدث عن حرب اكتوبر حديثا اخر وفي « سياق » مختلف . لا ننوي في حديثنا هذا ان نقيم الشعراء - الصادقين منهم ولا الكاذبين - ولن نحاول ان ننافسهم فنتحدث كما كان يكتب الاستاذ موسى صبري في جريدة الاخبار القاهرية قبل عام مضى عن « الارتعاشة التي تصيبه » ما لا اعرف من الكيان كلما حاول ان يخط بقلمه عبارة « ٦ اكتوبر » .

انما ببساطة نريد ان نسال : ما الذي صنعه « ٦ اكتوبر » في ثقافتنا ؟ وعذرا ان اتخذت من المسرح المصري مجالا استمد منه الامثلة التي يمكن ان نستقرىء منها وفيها تاثير هذه الحلقة الساخنة من

(١) هذه الرغبات الغريبة وغيرها (مثل الرغبة في مضاجعة المدينة) تجدها في قصيدة لنزار قباني نشرتها مجلة الاسبوع العربي في احد اعدادها السابقة ، وقد تصلح هذه القصيدة لدراسة سيكوباثية نموذجية (يلاحظ فيها مثلا تكرار كلمة « امي » ، « خذيني » .. الخ) بقدر ما تصلح للتعبير عن الخيبة الكاملة التي وصلتها الحركة الرومانتيكية في الشعر العربي الحديث ، بعد ان اصبحت « الحوادث » شعرا تفوق قيمته (كحقيقة) قيمة اي صور مختلقة او مسروقة من شعراء اخرين .

(٢) للشاعر المصري صالح جودت من قصيدة نشرها في الهلال .

هنا ان ذلك هو الاعلام الوحيد الذي نمارسه بين هؤلاء الناس .

والواضح طبعا ان كاتب الكلام الذي نشرته الجارديان القراء يهودي او مستخدم لدى جهاز ما من اجهزة الدعاية اليهودية التي تخصصت لتتبع العرب والتناص فضائحهم في الغرب ، ابتداءمن الطالب الجامعي الذي ياتي الى لندن ليضبط وهو يسرق خرقة من دكان ، الى الامير عظيم الشأن الذي يذهب الى مونت كارلو ليقامر باموال شعبه الى ان يتكاثف عليه زبانية عصابات القمار ونفايات الانسانية التي تتحلل على مهل في تلك المواخير تحت اسماء لامعة عددتها الصحيفة المتحضرة ، ويلقون به خارجا كاللقيط غير المرغوب فيه حتى وان كان عنده مال قارون . وربما لو كان سموه قد اشترى بما صبّه في جيب مستخدم الكازينو الذي وصفه بانه « يلعب بشراسة مسعورة » ، صندوقا من السلاح او الذخيرة لمن يقاتلون من اجل بقاء العرب لما كان احد من تلك النقابة قد جرؤ على ان يلقي به خارجا .

ولو كان لدينا متخصصون في الاعلام بحق من جماعات الصم البكم والفحول الدلاة السنتهم وهم يلهثون وراء الاعجاز النتنة نتن الراحيض العامة في شوارع المدن الاوربية ، لكان المتخصصون قد وجدوا في هذه البلاهة التي تورطت في نشرها الجارديان ،وعشرات بل مئات البلاهات المثيلة التي لا تكف صحف الغرب عن نشرها ، مادة حية دسمة لفضح هذه الصحافة امام قرائها وتشكيك اولئك القراء في قيمة معظم ما تقدمه لهم من خبر ورأي .

والواقع ان هناك مجالا - لو كان لدينا اعلام عربي حقا - لتشكيل اجهزة تكون مهمتها تعقب ما تنشره تلك الصحف ووسائل الاعلام من اخبار وتحليلات ، تماما كما يتعقب اليهود فضائح صغار النفوس من العرب .

وهناك مجال للاعلام العربي - ان وجد - للاشتباك مع اعلام العدو وما يمتطيه من اقلام والسنة تدعي التحضر والتقدم في الغرب ، الاشتباك مع ذلك الاعلام ومطاياه في معركة حقيقية ، معركة حياة او موت فكري واخلاقي ، هدفها اظهار الحق العربي الذي يشوه في كل لحظة ويصور على انه « بغي والفتات » ، وابراز صورة الانسان العربي الذي يشوّه فيكل لحظة ويرسخ في الاذهان انه « وحش متبربر ولا ينتمي الى فصيلة الادميين » .

وقديما ، عندما كان احد يتساءل : لم لا يحاول العرب - من خلال الاعلام المتقدم الستنير - ان يعرضوا قضيتهم ؟، كان يقال له بابتسامة مهمومة : اه ! ما باليد حيلة يا بني. راس المال الصهيوني !. وراس المال الصهيوني ما زال هناك ، وفي اشد حالات الضراوة، لانه لم يعد يدافع عن حلم السيطرة على العالم من خلال الحركة الصهيونية والدولة اليهودية فحسب ، بل وبات يدافع عن بقائه ايضا . لكنه لم يعد وحده في الساحة الدولية ، والعرب لم يعودوا عزلا من سلاح المال . فهناك بحر المال العربي، فقط لو لم يسكب في بنوك الغرب بلا مقابل الا فائدة هزيلة ، او في مصانع اميركا ليمول صناعة السلاح التي تدعم اسرائيل ، او في مواخير باريس وعلى موائد القمار بمونت كارلو .

افيقوا قبل ان يجهزوا عليكم . انطقوا وخاطبوا العالم قبل ان يقتلوكم .

* * *

ومعذرة للاداب وقراء الاداب ، لانه لم يكن في القلب او في الراس متسع هذا الشهر لتتحدث عن نشاط « اخوتنا البشر » الغربيين في مسرح او سينما او رواية او شعر . فذكرى الذين ماتوا وروت دماؤهم ارض سيناء والجولان تفجرت في القلب وهدرت في الراس ولم تدع امام العينين الا صور وجوههم ودمائهم واجسادهم التي تناثرت اشلاء و « الرينا » من وراء تضحيتها .

لندن

نضال « الامة » العربية ضد الاستعمار العالمي بشكل عام ، وضد الاستعمار الصهيوني العنصري الاستيطاني بوجه خاص في ذروة تحالفه مع الولايات المتحده الامريكيه قائدة الاستعمار الجديد .

ولا نحسب اننا سنبدو مطالبين بالحديث عن ثقافتنا – او عن مسرحنا – قبل « ٦ اكتوبر ٧٣ » . يكفينا هنا على الاقل ان نقول ان مسرحنا كان غارقا في كل شيء وفي اي شيء باستثناء الشيء الوحيد الذي كان الشعب المصري كله (مع استثناءات لا بد سنوضحها) يكرس له جهد الحياة ويراهن به على كل المستقبل . ولذلك فقد حدث حينما انفجرت الحرب ان تعالت صيحات بعض الكتاب تتساءل : لماذا لم يفعل مسرحنا شيئا في ٦ اكتوبر ؟

ونحن نحسب ان السؤال الصحيح الذي يجب ان نطرحه الان ، بعد مرور عام كامل على معركة العبور العظيم هو : ماذا صنع ٦ اكتوبر « في » مسرحنا ؟.

في اجابة هذا السؤال لا بد ان يتحدد المعنى الحقيقي لمعركة العام الماضي . اي لا بد ان ندركها على اساس انها جزء من العمل السياسي الذي يبذله المجتمع للحفاظ على نفسه في ظروف تاريخية وفي ضوء المعطيات الاجتماعية المحددة التي يعيشها بالفعل .

وقد يحق لنا ان نسأل : ما هو التأثير الحقيقي الذي تحدثه « الحرب » على ثقافة مجتمع ما ؟ ولناخذ مثالنا من اكبر حربين عرفهما التاريخ ، الحرب العالميه الاولى مثلا . من المعروف انه ظهرت في اوروبا ، في نهايات الحرب وبعدها كل المدارس والاتجاهات الفنية التي عرفت فيما بعد بأنها اتجاهات « الانهيار » او « الاضمحلال » .

وكانت هذه الاتجاهات هي الروافد التي سارت فيها الثقافات السائدة في مجتمعات اوروبا الغربية والوسطى. ولكن في اوروبا الشرقية، في الاتحاد السوفيتي وحده بالطبع في تلك الفترة ، ظهرت تيارات اخرى ، تصارعت وتطاحنت واختلف حولها شعراء وكتاب ورسامون كبار ، حتى استقرت اخر الامر على استخلاص التركيبة التي عرفت باسم تيار الواقعية الاشتراكية . فهل كانت هذه الاتجاهات ، في البلدان الرأسمالية او في البلد الاشتراكي الوحيد في تلك المرحلة نتاجا للحرب نفسها ؟

الحرب العالمية الاولى كانت حتى مراحلها الاخيرة هي حرب القوى الاستعمارية الكبرى من اجل اعادة تقسيم العالم واسواقه ومستعمراته . كانت هي الحرب التي انفجرت على نطاق العالم ، بين اكبر القوى الرأسمالية بعد وصولها الى اخر مراحل تطور نظامها السياسي والاقتصادي (الاستعمار) وبعد ان كانت المجتمعات الغربية قد سادتها ثقافات اخرى غير ثقافات البورجوازية في عصر ثورتها النسبية في القرن الثامن عشر وما قبله . وجاءت الحرب العالميه نفسها لكي تكشف هذه الحقيقة : ان هذه المجتمعات لم تعد تؤمن بقيم الثورة التي قامت على اساسها قبل مئتي عام . واذا كانت الحرب قد كشفت هذه الحقيقة ، فعجلت بوصول « الثقافة » الغربية في مجموعها الى مرحلة الشعور بأزمة حضارتها وافتقارها الى القيم الانسانية التي قامت عليها ، فان الحرب قد خلقت « الحالات » والنماذج التي ستكون بعد قليل مادة للاعمال الفنية التي شيدت بناء ثقافة الانهيار بعد ذلك . الحرب عجلت باكتشاف ان هذه الحضارة على وجه التحديد تهجر قيمها ، وانها اصبحت بحاجة الى ثقافة اخرى تعبر عنها في حالة انهيارها ، اي ان الحرب لم تفعل اكثر من التعجيل بالوصول الى النتيجة التي كانت حركة المجتمعات الرأسمالية الامبريالية في الغرب تسعى اليها بوتيرة متسارعة اوصلتها الى الحرب نفسها . وعلى الجانب الاخر ، نحن نعرف ان المجتمع في روسيا القيصرية كان يغلي بالثورة قبل الحرب ، وان الاتجاهات التي تصارعت بعد الثورة على السيادة في ميدان الثقافة ، كانت اصولها وجذورها تتصارع قبل الحرب وقبل الثورة نفسها . ولم يكن انتصار الاتجاه الاخير ، الا تعبيرا عن انتصار الثورة ذاتها (على وجه من الوجوه على اي حال) ، بما ان الثورة كانت نجاحا – في الميدان الدولي – في تحويل قطاع رئيسي من الحرب العالمية ، الى حرب اهلية ضد قوة من القوى الاستعمارية المشتركة في الحرب الاصلية ، فاصبح هذا القطاع حربا ثورية ، تشنها الطبقات الثائرة من اجل استخلاص حريتها وتحقيق العدل وتوفير دماء الجنود من جانبي المتاريس على حد سواء . فهل كانت الثقافة الجديدة في الاتحاد السوفيتي نتاجا للحرب الثورية نفسها – او نتاجا للحرب الاستعمارية كما كانت في مرحلتها الاولى ، ام كانت نتاجا للحركة الاجتماعية والتاريخية (سياسيا وثقافيا) التي سبقت الحرب الاستعمارية والحرب الثورية كليهما ، والتي لم تكن هذه الحرب او تلك سوى مرحلة من مراحل التعبير عن هذه الحركة وسبل تحقيق اطرافها لذاتها ، بالدبلوماسية ثم بمعارك الجيوش الضخمة ، او باضرابات العمال وهبّات الفلاحين ، ثم بالانتفاضات الثورية المسلحة التي ادت الى الحرب الاهلية الثورية ؟

ان الحرب لا تخلق « ثقافة » جديدة ، حتى لو كانت حربا عالمية تمتد اربع او خمس او ست سنوات ، وانما هي تساعد على التعجيل باكتشاف الوضع المعنوي للمجتمع الذي يخوضها ، والذي يتمتع باعلى ثقافة لكي يمدها بالقيم التي تعبر في اعمالها الفنيه عن هذا المجتمع . واذا كان المجتمع مجتمعا موحدا او متناغما Integrare ، فسوف تكون ثقافته ، واعماله الفنية بالتالي معبرة عن نسق متكامل وموحد من القيم . واذا كان مجتمعا ما زال يعيش في حاله من الغليان، خاصة بعد ان تعرضه الحرب لاكتشاف أنه كان يعيش في الحقيقه بعيدا عن نسق القديم الذي قام في بدايته عليه ، وانه كان يعيش بمجموعه من القيم غير الانسانية ، المعادية للعقل والحرية والفرديه النسوية والفنان ، وانه خاض حربا دموية دفاعا عن هذه القيم الاخيرة بالتحديد.

علينا اذن ان ننظر الى معركتنا في العام الماضي ، على انها مثل كل حرب يخوضها اي مجتمع ، باعتبارها تعبيرا عنيفا لعنف صور متعددة ، عن المرحلة التاريخية الاجتماعية التي يعيشها مجتمعنا . واختصارا نقول : ان هذه المعركة كانت بالنسبه لنا جزءا او حلقة عنيفة من حلقات ثورة التحرر القومي والوطني الديموقراطيه التي تعيشها مصر وتعيشها اقطار الوطن العربي كله (بمستويات متفاوتة وفي مراحل متنوعة النضج) حيث تتصدر قيادة الحركة الاجتماعيه في المجتمعات العربية انماط مختلفة من فئات متباينه من الطبقة المتوسطة (وفي بعض الحالات تسعى هذه الطبقة ما تزال الى الصداره، وتتحالف مع قاصريها المحليين الاكثر تخلفا ، وقد تكون رأت في الحرب فرصة للتخلص من بعض من يقهرونها او بعض من يهددونها .. تنقصنا المعلومات) . وعلى الطرف الاخر كانت هذه المعركه – بالنسبة لاسرائيل – تعبيرا عن لحظه الدفاع العدواني التي اجبرها الهجوم العربي على دخولها ، وهي لحظة من لحظات مرحلة الاستيطان العنصري والتوسع الاستعماري التي يعيشها المجتمع الاسرائيلي بقيادة مؤسسته العسكرية الصهيونية الحاكمة المتواطئة مع الرأسمالية اليهودية ومع الاستعمار الجديد وعميلته .

ولكن مجتمعنا ليس مجتمعا موحدا بعد وليس مجتمعا متناغما . ولذلك فانه لا يملك نسقا واحدا من القيم . وطبقاتنا الشعبيه بالذات (اذا افترضنا ان هذا التحليل الذهني يمكن ان يستند الى اي معلومات عن ثقافة هذه الطبقات الشعبية) تفتقر الى ان تعرف « نسق قيمها » الخاص ، علاوة على خضوعها للانسقة القيميه للطبقات المسيطرة في الماضي او الحاضر . وبالتالي – بالنسبة لنا على الاقل – فاننا لا نستطيع ان نرى تأثير هذه المعركة على ثقافتنا الا من خلال الاعمال التي عبرت عن الثقافة السائدة التي يملك منابرها مثقفو الطبقة المتوسطة . اننا لا نزعم ان هذه الاعمال وحدها هي التي عبرت عن حرب اكتوبر الماضي . فمن المؤكد ان الطبقات التي شاركت في تحمل العبء الاكبر من تكاليف الحرب (اقتصاديا وبشريا ، من قوتها ودماء ابنائها) قد عبرت بشكل ما عن « حربها » وعن قيمها ونظرتها الى الحرب . ولكننا نهتم هنا بالتعبير الثقافي عن الحرب ، الذي ظهر في المنابر الرسمية ، التي لا تملكها هذه الطبقات .

واذا كنا سنأخذ ، المسرح نموذجا ، فليس افضل من النظر في الاعمال التي قدمها المسرح بالفعل عن القضية وعن المعركه ، من جوانبها الثلاثة : قضية التحرر القومي ، وقضية التحرر الوطني ، وقضية « الاصلاح » الاجتماعي .

* * *

عن قضية التحرر القومي ، او بتعبير اكثر دقة ، عن القضية

جانبها القومي ، قدم المسرح المصري في ((٦ اكتوبر)) اكثر من عمل واحد ، سنختار من بينها مسرحية لكاتب مصري ، رشاد رشدي ، هي ((حبيبتي شامينا)) ، وشيئا لا يمكن وصفه بانه ((مسرحية)) كتبه شاعر فلسطيني هو هارون هاشم رشيد باسم ((سقوط بارليف)) .

ورغم الاطار الاسطوري لمسرحية رشاد رشدي (وهو اطار مستمد من نشيد الانشاد في التوراة) ، والاطار الذي يكاد يكون طبيعيا مباشرا في ((شيء)) هارون هاشم رشيد ، فسوف نكتشف على الفور التقارب الغريب بين تصور كل منهما عن القضية ، ومن جانبها القومي بالذات. في ((شامينا)) نكتشف أن ((العرب)) قد باعوا فلسطين للملك يدعى سليمان ، وان حبيب شامينا كان كثير الكلام عن حبه وهواه لها، حتى قرر يوما ان يقنع بان العفو هي الحل ، فيمتشق السيف ، ويهاجم قلعه الملك ويحرر شامينا . وعلينا بالطبع (على طريقة الكلمات المتقاطعة في التأليف المسرحي التي اشتهر بها رشاد رشدي) علينا ان نفهم ان شامينا هي فلسطين ، وان الملك هو ((اليهود)) ، خاصة وانه يدعى باسمه التوراتي ((سليمان)) ، وان اخوة شامينا الذين باعوها لسليمان هم العرب ، وان حبيب شامينا هو كل من يحارب لتحرير فلسطين . هكذا، لا اشارة الى هوية هذا الملك،عن أي شيء يعبر (أليهود؟ بصرف النظر عن مسالة التفرقة بين اليهود والصهيونية ، هل كان من اغتصب فلسطين هم يهودا فقط ، منذ بلفور الى كيسينجر ومنذ روتشيلد الى نلسون روكفلر ؟) ، ولا شيء عن حقيقة الذين باعوا فلسطين ، من الفلسطينيين ملاك الارض الكبار انفسهم الى الملوك وكبار الرأسماليين العرب ، وباعوا مع فلسطين كثيرا من القوى الوطنية العربية داخل اقطارهم ذاتها ، ولا شيء عن حقيقة الذين يمكن ان يدفعوا الدماء حتى النفس الاخير دون وهن ولا تردد ولا مماطلة من اجل تحريرها واستكمال تحرير اقطارهم الوطني الديموقراطي معها .

نفس الفكر بنفس الملامح سنراها عند هارون رشيد . فبالاضافة الى الصياح الكثير والنزعة الخطابية الزاعقة التي التزمها رشاد رشدي لكي يعبر عن ((الحماسة)) او ((التحمس)) الزائف للقضية لا تهمه في الحقيقة ، اضاف هارون رشيد من عنده فكرة الثأر (الفكرة المتخلفة من بقايا حركة القوميين العرب في الخمسينات ، والتي نابوا عنها في الستينات ورفعوا راية الماركسية اللينينية !) . ولكن هارون لم يقفز من اقصى اليمين الى اقصى اليسار هكذا دون مبرر ، لقد اكتفى بان جعل جنود مصر يشتعلون شوقا الى القتال فقط لكي ((يثأروا)) من هزيمة ١٩٦٧ الغادرة . وبما ان ذلك كذلك ، فان الجندي اليهودي لا يحارب الا لانه عدواني ودموي ومتوحش ، ثم انه منحل يرقص مع الفتيات في الخنادق ، وحين يهزم ينهار ويبكي قبل ان يموت كالخنزير. وبذلك شفى الشاعر الفلسطيني غيظه وروى غليله الى الانتقام بالنظم الرديء دون أن يبذل مجهوداً حتى في تجويد النظم . وليس من المنتظر بالطبع ان نطالب من مثل هذا النوع من الحساسية او التصور للقضية بأي تصور علمي عن القوى الاجتماعية التي تخوض المعركة من اي من الجانبين ، ولا عن المعركة نفسها . ان رجلا لا يدرك ان قضية فلسطين ، التي كانت قبل ٦٧ مركزا قوميا لكل قضايا التحرر الوطني لكل قطر عربي ، كانما هي رمز يؤكد ان القضايا الوطنية للاقطار العربية لها بعد قومي واحد، اصبحت بعد ٦٧ وبعداحتلال اراض مصريةوسورية قضية ((الوطنية)) في هاتين القطرين بصورة مباشرة ، وتم الالتحام الحسي بين القضية الوطنية والقضية القومية بصورة لم يعد امام البورجوازيات العربية الوطنية معها الا ان تجرب سلاحها في ساحة القتال ، ولو بشكل جزئي . وليس من المتوقع ان نطالبه بان يتصور خصمه على حقيقته ، قوة استعمارية شرسة ، عالية التدريب والاعداد التكنيكي ، معبأة الى درجة مخيفة بنوع من الوعي الزائف القادر على احتواء عقول البشر بالدعاية المركزة ولمس الاوتار الحساسة فيالنفوس، وان عدوا من هذا النوع لا ينهار هذا الانهيار السخيف الا اذا تم سحقه سحقا كاملا (ان النازية ، احدى الاورام الراسمالية المقابلة للصهيونية ، لم توقع وثيقة استسلامها الا بعد سقوط مركز الحكم في قلب العاصمة برلين ، نفسها ، ولم تكن المقاومة المتطاولة العنيدة من جانب الجيش النازي مجرد جنون من هتلر وقادته النازيين ، ولذلك كان مطلب الحلفاء الدائم هو : الاستسلام دون قيد او شرط او استمرار القتال حتى النهاية) .

فاذا كان هارون رشيد يمثل الجانب الساذج من فكر طبقتنا المتوسطة ، فان رشاد رشدي يمثل الجانب الاكثر تدريبا وحذقا، بلجوئه الى الاطار الاسطوري ، وتزويد العمل المسرحي بظلال جانبية من تيارات فكريه لا تحمل الطابع السياسي المباشر (من مثل الرمز الى اغتصاب فلسطين باغتصاب الملك لشامينا وهي نائمة ، او تشبيب الراعي حبيب شامينا بها تشبيبا جنسيا غير غريب عن لغة رشاد رشدي وتصوراته) ولكن النتيجة في النهاية واحدة ، وهي تجاهل الاساس الاجتماعي التاريخي لقضيه فلسطين ، اي ببساطه ، تجاهل معناها السياسي نفسه وارتباطها الجوهري بقضايا الثورة الوطنية الديموقراطية العربية التي يصبح يوما بعد يوم استحالة استكمالها لمهامها تحت قيادة نفس الطبقات المتوسطة التي تقودها . وهو تجاهل غبي احيانا كما في حالة رشيد ، ذكي احيانا في حالة رشدي، ولكنه يسير في اتجاه واحد (١).

* * *

ومن مسرحيات القضية الوطنية سنختار مسرحيتين ، احداهما من القاهرة ، والاخرى من الاقاليم . الاولى هي ((الحب والحرب)) التي الفها شوقي خميس ، واخرجها عبد الغفار عودة للمسرح الحديث في نوفمبر ١٩٧٣ ، ثم مسرحية ((رواية النديم عن هوجة الزعيم)) التي كتبها محمد أبو العلا السلاموني وعرضتها فرقة كفر الشيخالمسرحية من اخراج محمد سالم . والمسرحيتان لهما موضوع واحد وبطل واحد، هما الثورة العرابية وبطلها احمد عرابي .

سنكتشف بين المسرحيتين فروقا نوعية ضرورية ذات طابع فني . فصاحب ((الحب والحرب)) اكثر مهارة من الناحية الادبية ، بقوة صياغته الشعرية ، وقدرته على استخدام المونولوج للكشف عن اعماق موقف درامي تعيشه الشخصيات (ولكن ليس فيها نصيب لاحمد عرابي نفسه ، وسنعرف السبب) ، بالاضافة الى تصوره للجانب النفسي من بعض المواقف وبابتكاره لقصة حب تتوازى مراحلها حتى النهاية الحزينه مع مراحل الثورة حتى النهاية المحزنة . ولكن صاحب ((رواية النديم)) اكثر مهارة من الناحية المسرحية بتوصله الى تركيبة مسرحية خاصه يستعرض فيها احداث الثورة الاساسية ومعانيها (من وجهة نظره) من خلال ((تشخيص)) النديم خطيب الثورة واحد زعمائها لشخصية بطل الثورة وقائدها احمد عرابي . الامر الذي يخلق قدرا معقولا من التبرير غير المفتعل لاستعراض هذه الاحداث ويوفر الفرصة لاكتشاف مستقبل الثورة الحقيقي مهما كانت الهزيمة المؤقتة .

ولكن بصرف النظر عن هذه الفروق النوعية ، سنكتشف قدرا مدهشا من التطابق في تصور شخصية الزعيم احمد عرابي وفي تصوير اسباب هزيمة الثورة . في المسرحيتين سنجد نفس التفسير للثورة العرابية باعتبارها ثورة فلاحية قادها فلاح تصادف ان صار ضابطا (ولم يغيره زي الضباط ولقب البكوية ثم الباشوية ورتبة الميرالاي ثم اللواء ، وعلاقاته بالملاك والباشوات .. الخ ، لا هو ولا زملاؤه ، ولم يتحول بالتالي الى بورجوازي صغير من نوع جديد جنيني) ثمصار قائدا لانه ((انسان عظيم)) . عرابي في المسرحيتين رجل قوي الاخلاق ، قوي الايمان بالله وبالشعب وبقضيته ، صورة للاب الكبير الطيب كما يبدو في عيون اطفاله المبهورين بالوقار والقوة والحكمة ورباطة الجاش والثبات وقوة الجنان التي تنطق بها قسمات وجه ((الاب)) حتى في احلك اللحظات ، وهو بالتالي شخصية المعبود ، البطل ، المنزه عن الخطأ . وبالتالي فان هذا ((البطل ـ الاب)) لم يهزم لعيب فيه هو ، بل ليس بين اسباب هزيمته اي عيب فيه شخصيا ، ولا في زملائه وضباطه الابطال ، ولا في الجماهير ((العظيمة)) من الفلاحين الذين قادهم (وفي الحقيقة انه اتجه اليهم ساعة ((الزنقة)) ولم يفكر في امكانية اللجوء اليهم للمقاومة ، ولا حتى للاختباء بعد الهزيمة ـ باستثناء النديم نفسه ـ والمدهش انهم هم انفسهم الذين اندفعوا يطعمون الجيش من تلقاء انفسهم بعد ضرب الاسكندرية).الهزيمة حدثت

(١) المسرحيتان قدمهما المسرح القومي في القاهرة ، الاولى في ديسمبر ١٩٧٣ واخرجها سمير العصفوري ، والثانية في اكتوبر ٧٤ واخرجها سناء شافع .

لاسباب خارجية ، وخارجية فقط هي تآمر الاقطاعيين مع الخديو ، وتآمر الخديو مع البريطانيين ، واخيرا خيانة بعض البدو وارشادهم الجيش البريطاني الى مواقع الجيش المصري في التل الكبير .

لن نتحدث هنا عن طريقة طبقتنا المتوسطة وعقليتها وثقافتها في تفسير تاريخنا . ولكننا سنهتم بالآثار التي تتركها نفس العقلية على تصورات اكثرية كتابنا المسرحيين عن الدراما . فاذا كان صحيحا ان عقلية وثقافة طبقتنا المتوسطة لم تتخلص من سيطرة ثقافة ابائها المباشرين المتوسطين الكبار ، فان هذه الصفات لا تتجلى بصورة اوقع من تجليها في تصورات الكاتبين المذكورين عن « دراما » البطل احمد عرابي . ليس من المعقول في الدراما ولا في التاريخ ان نتصور « البطل » الذي ينتهي هذه النهاية المأساوية دون « كعب اخيل » ، اي دون الثغرة في تكوينه التي ستنفتح منها الهوة تحت قدميه حيث قدر له السقوط . وليس من المعقول في الدراما بشكل خاص ، ولا في الدراما السياسية بشكل اكثر خصوصية ان يحرم الكاتب المسرحي « شخصية » بطله الدرامي من اي نظرة نقدية ، وبالتالي يبدو لنا عرابي في المسرحيتين بطلا « خرافيا » تهزمه القوى الخارجية وحدها ، مع ان التاريخ نفسه ، بصرف النظر عن ابسط القواعد الدرامية التي لا يبدو ان المؤلفين الشابين قد تخليا عنها ، اقول ان التاريخ نفسه يستطيع ان يمدنا بأدلة كثيرة عن افتقار هذا البطل ـ الذي لا شك في اخلاصه ولا شك في عظمته ونبله ـ الى الكثير من الفهم الصحيح في امور السياسة الحديثة والادارة والحكم والاقتصاد والحرب ، وان هذا الفقر في الفهم ، كان احد الاسباب الاساسية لهزيمة ثورته ولسقوطه هو في النهاية هذا السقوط المأساوي المحزن .

ولكن عقلية طبقتنا المتوسطة وثقافتها ، الواقعتين تحت مؤثرات قوية من ثقافات الاسلاف العبوديين والاباء ملاك الارض اشباه الاقطاعيين ، تحب دائما ان تخلق الابطال الخرافيين (من الاشخاص ومن المعاني) ، وان تعبدهم ، وهي لا تحب ان تتذكر الحقائق كثيرا لان تذكر الحقائق يعني ان تستعد لظهور الفكر العلمي النقدي الحقيقي (فالحقيقة في النهاية علمية ، والحقيقة الاجتماعية في عصرنا هذا بالذات تدين هذه الطبقة بالذات وتشير لها الى مصيرها المحتوم)، كما ان تذكر الحقائق يعني ان تكف هذه الطبقة عن النظر الى مصالحها باعتبارها هي مصالح « الوطن » ذاته ، وان تكف عن التغزل بهذا الوطن وخضرته وصفاء سمائه وعذوبة مياهه والتحدث عن عشقها الشديد له ، بل ورغبتها في ان يكون امرأة وان تتزوجها او تضاجعها او تلعب في شعرها ، بالاضافة الى الوهية ابطاله ، ان تكف عن كل ذلك لكي تستعد للنظر الى هذا الوطن على حقيقته باعتباره وطنا يتكون شعبه من طبقات ذات مصالح متضاربة ، وان تاريخه يتحرك من مرحلة تاريخية الى مرحلة اخرى من خلال صراع هذه المصالح ، وان حركته مقضي عليها هي بان تختفي ذات يوم من على « المسرح » كله ، بتصوراتها وافكارها واخلاقياتها واوهامها ومصالحها .. ومسرحها .

* * *

ومن مسرحيات الجانب الاجتماعي للقضية سنختار مسرحية « كلام فارغ » التي ما زال يقدمها المسرح الحديث من اعداد نبيل بدران عن « انصاص كلمات » احمد رجب ومن اخراج سمير العصفوري ، ثم مسرحية « مجنون » التي كتبتها ليلى عبدالباسط واخرجها عبدالغفار عودة لفرقة مدينة طنطا المسرحية . فالمسرحيتان ايضا ، احداهما من القاهرة والاخرى من الاقاليم .

ورغم الاختلاف النوعي الفني بين المسرحيتين ، فانهما معا تحاولان القول بانهما تتعرضان بـ « النقد » لمشاكل الحياة اليومية لـ « الناس ». والطبقة المتوسطة كما عرفنا تحب ان تعتبر نفسها هي « الناس » او انها هي « الشعب » . لذلك سنكتشف ان المشاكل التي تتعرض لها المسرحيتان هي مشاكل حياة الطبقة المتوسطة بشرائحها المختلفة (ولعل في هذا جزءا من سر النجاح التجاري للمسرحية الاولى ، بالاضافة الى اغاني الجيرك الوطنية التي تخصص فيها احمد نوح ، حيث يتم التوفيق بين العاطفة الوطنية المتواضعة وبين نزعة التشبه بالغرب القوية ، علاوة على اجادة الممثلين اجادة لا شك فيها) وهي مشاكل من نوع الغش في « الكباب » وكثرة الضرائب وعدم الاعتراف بالشهادات العلمية الكبيرة ، ثم ازمة السكن والتاكسيات والتليفونات ، ثم قسوة الامتحانات و « قلة الادب » الشائعة في الوسط الفني .. الخ .. الخ . اما مشاكل الناس الذين يأكلون اللحوم في الاعياد فقط ، والذين لا يملكون ما يدفعون عليه ضرائب ولم تمح اميتهم اصلا ، والذين لا يراودهم حلم ركوب تاكسي او امتلاك تليفون (بل حتى التحدث فيه !) والذين لا تهمهم قلة الادب كثيرا قدر الرغيف والجلباب والعمل ، اما هؤلاء ومشاكلهم فلا تفكر فيهم المسرحيتان وتتجاهلهما اصلا (١) .

وسنكتشف ثانيا ان المسرحيتين تقدمان المشاكل التي تتعرضان لها باعتبارها « ظواهر » متفرقة ، لا علاقة تربط بينها ، ولا تعبر في مجموعها عن « وضع » اجتماعي متكامل هو الذي خلقها وادى اليها . وبصرف النظر عن الادعاء بان الشكل الفني لهذا النوع من المسرح هو الذي يملي هذا النوع من المعالجة ـ فان الشكل الفني قد يفرض معالجة ولكنه لن يفرض نوع المشاكل ولا وجهة النظر الفكرية التي تقيم المشاكل على اساسها وتعبر عنها المعالجة والشكل الفني معا ـ اقول انه بصرف النظر عن هذا الادعاء ، فان « كلام فارغ » مثل « مجنون » تشيران الى جانب اخر من جوانب عقلية وثقافة طبقتنا المتوسطة ، في النظر الى مشاكل الواقع . انها عقلية على استعداد بالطبع ، ومن وجهة نظر عملية وتكتيكية ـ للاعتراف بان « هناك مشاكل »، ثم : اين النظم واين هي المجتمعات التي تخلو من « المشاكل » ؟ . ولكنها تفضل ان تعتبر المشاكل ظواهر منفرقة ، لا تمثل انعكاسا للوضع الاجتماعي القائم برمته ، وتفضل ان تعتبر المشاكل مظاهر عارضة ، من المؤكد انها سوف تحل بشيء من « التخطيط » ، على ان يكون مع التخطيط ، ابتعاد كامل عن « السياسة » من جانب « الناس » ، علاوة على صبر طيب واخلاق حميدة ، تمسك باهداب الفضيلة والورع ، ولا بأس من ان نتذكر ايضا « الوطن » باعتباره « سندا » قويا للوعظ الجميل ، يجعل من يتعظ ، باذن الله « وطنيا » ، الى جانب تمسعه بمكارم الاخلاق .

* * *

ربما يقال ان معظم هذه المسرحيات ـ باستثناء الشيء الذي كتبه هارون هاشم رشيد ـ لم تكتب « من وحي ٦ اكتوبر » . وهذا صحيح بشكل من الاشكال . ولكنها كتبت ـ او المفروض انها كتبت ـ تحت وطأة ـ او تحت الهام ـ ان « ٦ اكتوبر » هذا لا بد ان يحدث ، وان وقوده وصانعيه لا بد ان يكونوا ابناء « مصر » كلها ، لا ابناء الطبقة المتوسطة وحدها . وقد يكفي تحليلنا للمسرحيات التي اخترناها للتدليل على ان طبقتنا المتوسطة المتحكمة في منبر للتوصل الفني هو بطبيعته منبر سياسي مثل المسرح ـ تنظر الى نفسها والى مصالحها ومشاكلها باعتبارها هي الوطن ومصالحه ومشاكله . وقد نستطيع في حديث قادم ان نحلل المسرحيات التي كتبت « عن عمد » تحت وطأة والهام الذكرى الاولى لمعركة ٦ اكتوبر ، وقدمت في احتفالات هذه الذكرى . سنحاول حينئذ ان نجيب ـ ان لم نكن قد اجبنا ـ على السؤال : ماذا فعل ٦ اكتوبر « في » مسرحنا ، وفي ثقافتنا ، اكثر من التعجيل باكتمال واكتشاف ما كان قد شرع في النمو من قبل ، والذي كان سيكتمل حتما في حركة التاريخ التي لا تعرف السكون .

« القاهرة »

---

(١) في السلسلة الاذاعية الرمضانية السنوية التي يقدمها فؤاد المهندس وزوجته ، قدمت شخصيتان لاثنين من « اولاد البلد »، بائع سجائر ، وبائع « بطاطا » باعتبارهما « الشريرين »، مصدري التآمر الخبيث على زميلتهما الفقيرة التي يحبها « احمد بك » الممثل صاحب المسرح العظيم والتي حولها البك الى « هانم » بطريقة بيجماليون . وتمت « بهدلة » الاثنين لاجترائهما على حب زميلتهما الفقيرة الجميلة ، اساسا بوصفهما « فقيرين » ولا يملكان ما يقدمانه لها ، وفي المقابل كانت الشخصيات البورجوازية هي الطيبة الفكهة المتفاهمة .. الخ . والامثلة من هذا النوع لا حصر لها ، وتفوقها فجاجة ومباشرة .

قرأت العدد الماضي من "الآداب"

الأبحاث

الياس خوري

في الافتتاحية التي كتبها محمود درويش للعدد الماضي من الاداب « لا تعود الى الماضي حين تذهب في العودة » ، محاولة جديدة لمتابعة رسم خط الحلم الذي يحيط دائرة الوطن . ففلسطين هي مستقبل نفسها حين تنهض وتتقدم نحو عودتها الجديدة . واشياء الطبيعة هي امتداد الانسان في زمن التقدم نحو الارض . ففلسطين ، حين تعيد اكتشاف نفسها ، تنفض عن اللغة ركابتها وتعيد للدم وحدته : «فللدموع التي تأخذ صيغة الدم سحر سابق » ! يتابع درويش هنا رسم اطارات رؤيته بلهجة المخاطبة المباشرة التي تضم الشعر وترسله في تداعيات تطلعها ثوابت تربط اطراف الرؤية . فالصورة التي تمسك بمفاصل النثر وتشده الى الشعور هي التي تعود فتصبح ثوابت للحظات تتقدم داخل فكرة واحدة تستعير شكل الوطن . هكذا لا يكتب درويش شعرا او دراسة ، انه يرسم شعبه بلغة الشعر وانسياب النثر ، فتاتي هذه الافتتاحية وكأننا امام بشارة بعدد يتجاوز اليومي والمألوف ، لنفاجأ اننا لا نزال امام اليومي والمالوف ، وان لا شيء يستطيع انقاذ هذا العدد « الفلسطيني » من هاوية السقوط خارج دائرة المعاناة الابداعية الحقيقية .

●

حين نسترجع مقالات العدد الماضي من « الاداب » تستلفتنا ثلاث ظاهرات :

١ ـ خلو العدد من اية معالجة سياسية للقضية الفلسطينية . هذا الغياب لا يبرره شيء على الاطلاق . فالساحة الفلسطينية تشهد منذ فترة احد اخصب حواراتها واكثرها اهمية في مسيرتها الثورية المعقدة . فمسائل طرح القضية في الامم المتحدة ، وكيفية متابعة النضال في ظل ظروف ما بعد حرب تشرين ، هي مسائل مركزية تطرحها الحركة الثورية العربية باسرها . وحين يأتي عدد خاص عن « صوت الادب الفلسطيني » ولا يطرح هذه المسالة بشكل واضح ، ويستكمل بعض عناصر النقاش الدائر ، فيحق لنا التساؤل عن الاسباب غير الشرعية لهذا الغياب ؟ فالادب الفلسطيني لا يحيا في فراغ سياسي ، من هنا كانت المشاركة في هذا النقاش ضرورية .

٢ ـ جميع المقالات هي دراسات نقدية جزئية . اي اننا لا نعثر على دراسة نقدية شاملة ، تحاول تقييم مسيرة الادب الفلسطيني ورسم منعطفاته وخط تطوره . هذا النقد الجزئي هو هرب الى السهولة ، التي حين تغرق في الخاص تتناسى العام ، وتتهرب من دراسة المسائل الادبية التي لها طابع نظري . هذه الملاحظة ليست ادانة لكتاب العدد ، كما انها لا تريد التقليل من اهمية الدراسات النقدية الجزئية. لكنها تريد لفت النظر الى مخاطر هذا النوع من الدراسات ، في ظل غياب تصور كلي ، والى الخلل الهائل الذي احدثه هذا الغياب في العدد باسره . حتى بدا النقد الفلسطيني وكأنه لا وجود له خارج العمل النقدي الجزئي الذي يقترب من لغة الصحافة . ونستثني هنا دراسة يوسف اليوسف ، التي انطلقت من مجموعة شعرية واحدة لترسم تصورا نقديا شاملا ، يستطيع ان يتعامل مع بنية الشعر من داخلها .

٣ ـ عدم وجود اية دراسة نقدية لها طابع مقارن . علاقة الادب العربي بالادب الفلسطيني من خلال تطور هذا الاخير . مفهوم ادب المقاومة الخ . وقد ادى هذا الغياب الى عدم محاكمة المفاهيم النقدية التي طرحت حول الادب الفلسطيني ، وتركت مسالة تحديد مصطلحات هذا الادب غائبة عن النقاش .

تسمح لنا هذه الملاحظات الثلاث بمناقشة هذه المقالات . لكننا نريد ان نشير الى تحفظ مبدئي : فغالبا ما يضطر ناقد النقد الى الوقوع في اخطاء كبيرة تاتي من طبيعة النقاش الذي يقوم به . فحين نتصدى لدراسة مقالات نقدية متفرقة ، فاننا غالبا ما نضطر الى تغييب المشروع الكلي الذي يفترضه الناقد اساسا لعمله ، في سبيل احاطة موضوع النقد ـ المقال ، بشكل نهائي . هنا منشأ المنزلق الذي نقع فيه . فلا احاطة نهائية بموضوع النقد ، نريد فقط قراءة هذه المقالات لنسجل ملاحظات من طبيعة منهجية اساسا ، تسمح لنا لاحقا ، بتقييمها بشكل قريب من علمية نتوخاها .

حين يطرح معين بسيسو في مقاله « محاولة لكتابة سيناريو جديد لفيلم عن الثقافة العربية » ضرورة العودة بالنقاش النقدي الى ما قبل الهالة التي وضعت على الادب القادم من الارض المحتلة ، لنعيد تقييم الحركة الادبية المعاصرة بشكل كلي وشامل ، فاننا نرى معه مشروعية هذا الطرح ، رغم اسلوبية الاثارة الصحافية التي كتب بها المقال ، والتي تثير مسالة بمثل هذه الاهمية والخطورة ، ورغم انه لا يقدم في مقاله هذا اية عناصر اضافية تضيء مشروعية القيام بمثل هذه الدراسة النقدية . غير ان بقية دراسات العدد لا تطرح مسائل لها طابع التوجه الشامل هذا ، او انها حين تطرحها ، فانما تطرحها بشكل خاطيء . والافضل مثال على هذا هو مقال هاني الزغبي « ازمة الشكل والمضمون الفني في الرواية والقصة القصيرة الفلسطينيتين » . فهو يبدأ بطرح موضوعات نظرية عامة : التمهيد الفكري في الساحة الفلسطينية الذي يبرهن « على خصب التربة السياسية الفلسطينية ونمو الاتجاهات الديمقراطية والمتحاورة فيها » . ثم ينقل مستوى تحليله الى الرواية والقصة القصيرة بدون مقدمات ليكتشف عدم قدرتهما على استيعاب التيارات السياسية الفلسطينية التي تندفع بقوة عاتية . ثم يسجل ان حداثة الفن الروائي والقصصي هي السبب الاخر لعدم القدرة هذه . بعد هذا ننتقل مع الناقد الى تعريفين للرواية العالمية. فيقدم تعريفا لالبيريس يؤكد على كون الروائي مكتشف الحياة الباطنية واخر للوكاش يؤكد فيه على موقف الشخصيات الفكري والايديولوجي . ثم يمر بشكل سريع جدا على تجربة كنفاني الروائية، ويتوقف عند ثلاثة روائيين فلسطينيين فقط هم رشاد ابو شاور ، تيسير سبول وفيصل حوراني ، ويقوم بتحليل مضامين رواياتهم دون اثارة مسالة الشكل الفني اهمية مركزية ـ رغم عنوان المقال ـ وحين ينتقل الى القصة القصيرة يتوقف عند قصتين « المهرة » ليحيى يخلف و« الخطيفة » لربعي المدهون .

يسمح لنا هذا العرض السريع للمقال بتسجيل اربع ملاحظات:

١ ـ حين يحاول الكاتب تجديد مفهومه للرواية ، فانه لا يتوقف لحظة واحدة عند الرواية العربية وتطورها . وكأن الرواية الفلسطينية الحديثة الولادة نسبيا ، لا علاقة لها على الاطلاق بالرواية العربية.

يقود هذا الخطأ الاساسي في المقابل الى دمج المستويات بشكل تعسفي . فعلاقة السياسة بالادب ليست بمثل هذه الميكانيكية التي يفترضها الناقد .

٢ - حين نريد مناقشة الرواية الفلسطينية بعد ان نحذف غسان كنفاني واميل حبيبي وجبرا ابراهيم جبرا ، فمن يبقى ؟ وما هي مبررات هذا الحذف ؟ فهو يعالج رواية كنفاني بشكل سريع جدا ، ولا يتوقف بشكل تفصيلي عند افتراضاته ، بل يصل الى النتائج فورا وكانها مسلمات ، ثم لم يتوقف الا عند ثلاثة روائيين يمثلون جيلا ادبيا لاحقا على جيل جبرا وحبيبي . فما هو مبرر حذف هذين الروائيين الهامين جدا في حقل الرواية العربية باسرها .

٣ - اما نقاش القصة القصيرة ، فانه يعاني من نفس المشاكل . نحذف كنفاني وتوفيق فياض وجبرا ، ونتحدث عن قصة فلسطينية قصيرة ؟.

٤ - تبقى مسالة منهج المعالجة التوفيقي جدا ، الذي ينطلق من فرضيتين متناقضتين عن الرواية دون ان يعالجهما او يبين دلالتهما بالنسبة للرواية العربية . وبذلك يفتقد المقال المنهج النقدي المتماسك . كما لا يتوقف في تحليله للرواية الفلسطينية الا عند نماذج ادبية معينة تجيب بشكل سريع على افتراضاته في بداية المقال . ثم يتوقف كثيرا عند مسالة المضمون ، فرواية حوراني لا تناقش بوصفها رواية ، بل يناقش موقف كاتبها السياسي فقط ، وليس هذا نقدا ادبيا على اية حال ..

اما مقال نزيه ابو نضال « الشعر والجماهير » فانه يبدأ بطرح مسائل من طبيعة شاملة : علاقة الشعر بالجماهير ، معنى الالتزام .. ويقوم بحلها بشكل سريع على طريقة حل المعادلات الرياضية . فعوض ان يتوقف عند التجربة الادبية في الاتحاد السوفياتي في السنوات الاولى التي تلت ثورة اوكتوبر ، حيث طرحت هذه المسائل بشكل جدي وخلاق ، او يتوقف عند الدراسات النقدية العربية التي طرحت المسالة ، فانه يقفز بسرعة الى استنتاجات لا تقدم سوى مقدمات نظرية مفرطة في عموميتها من نوع اقحام « جمهورية افلاطون » :. ونحن نتحفظ كثيرا في مناقشة هذا المقال لانه جزء من كتاب سوف يصدر قريبا ، لكننا نشير فقط الى ثلاث نقاط :

١ - التعامل السهل مع الحركة الشعرية العربية المعاصرة ، ووصفها بالغرق في « الرموز الغريبة والايماءات والدلالات المبهمة » . ثم تأتي هزيمة حزيران ، وعلى ايقاع الثورة الفلسطينية يولد « الشعر المقاتل » . هذا النمط من النمذجة لا يقنع احدا . لانه يقفز بسهولة على ممارسة ابداعية ونقدية ، دون مناقشتها بشكل جدي . كما يجعل من الهزيمة حدا ثقافيا كاملا دون اي تفسير .

٢ - الفهم الالي والمبسط لعلاقة الشعر بالجماهير : « في العلاقة بين الشعر والجماهير تبرز مسالة بالغة التاثير على طرفي العلاقة ان اجهزة الالتقاط الجماهيرية تتميز بحساسية عالية لما تلتقطه من الشعر . وفي اللحظة التي تكتشف فيها هذه الجماهير ان صوت الشاعر مشوش وغير مفهوم او غير واضح بالنسبة لها ، تدير مؤشر اجهزتها لشاعر اخر او تقفل اجهزتها » . على هذا الاساس تنهار جميع المقاييس وتصبح « اجهزة الالتقاط الجماهيرية » مقياسا وحيدا ومطلقا . هذه الفرضية قد تقود الى منزلقات هائلة : فاجهزة الالتقاط الجماهيرية قد تفضل مطربا من الدرجة الثالثة على اهم الشعراء العرب ، نتيجة اثر الايديولوجيا المهيمنة وسط الجماهير. فهل يعني هذا ان مقياس الناقد خاطىء او ماذا ؟؟. ان اهمال دور الممارسة النضالية التي تقوم خلالها الجماهير باعادة تثقيف نفسها بثقافتها الثورية في مواجهة الثقافة الرجعية السائدة ، وهي عملية معقدة لا تفترض دائما تطابقا بين الفن والذوق العام ، تقوده الى منزلقات نظرية ، تقترب من شعبوية فنية تعتقد نفسها ثورية. فالفن الثوري ، هو اولا الفن الاصيل الذي يعبر عن الجماهير التي تصنع الثورة بلغة جديدة هي لغة الثورة نفسها .

٣ - غياب شعراء الارض المحتلة ، عن نماذج هذا المقال . فهل هذا يعني موقفا سياسيا - نقديا من هذا الشعر بوصفه لا ينـدرج في مقولة الشعر الفلسطيني المقاتل ؟ ام ان مساهمات درويش والقاسم وزياد ليست بنفس اهمية مساهمات الشعراء الذين يستشهد بهم المقال ؟ ام ماذا ؟.

على طرف اخر ، تقف دراسة يوسف اليوسف لمجموعة درويش الاخيرة « محاولة رقم ٧ » . فهو منذ بداية دراسته يطرح مسائل محددة ، تقوم جميع عناصر الدراسة بمناقشتها بشكل متكامل ، حتى نصل الى نتائج منطقية واضحة . وهو لا يتوقف عند « مضمون الشعر » بل يقوم بدراسة بنية القصيدة . اي انه يتعامل مع الاثر الفني بوصفه بنية متكاملة . يقدم اليوسف في دراسته هذه مثالا على دور النقد الجديد داخل العملية الابداعية . فالنقد ليس تفسيرا للشعر وشرحا لجوانبه الغامضة ، بل هو محاولة لدراسة عناصر الاثر الفني وعلاقة هذه العناصر ببعضها . وعند نقطة العلاقة هذه يتحدد الشعر بوصفه شعرا . لكن الملاحظة الاساسية على دراسة اليوسف هي في تركيزها على العامل السيكولوجي في القصيدة ، اذ يقوم هذا التركيز بحجب بعض العناصر الاخرى : الايديولوجية ، التحليلية على سبيل المثال. فالشعر، وبنية القصيدة يتحددان داخل جماع كلي من العناصر المختلفة . ولكن دراسة اليوسف تبقى الاضافة النقدية الوحيدة التي قدمها هذا العدد . ان تركيزها على مسالة بنية القصيدة، ومحاولتها تحليل الرموز بشكل تفصيلي ودقيق في اغلب الاحيان ، اضفيا عليها طابع المقترب العلمي الذي نحتاجه في دراستنا للشعر العربي عموما .

يبقى مقال د . احسان عباس « تنازلات من اجل الموت وحده ». والذي عالج فيه مجموعة علي زين العابدين الحسيني « خميس يموت اولا » . ومجموعة سلوى البنى « الوجه الاخر » . يطرح هذا المقال كيفية فهم الموت في الادب الفلسطيني من خلال قصص هاتين المجموعتين، ليطرح اشارات اولية تصلح لدراسات تفصيلية لاحقة . فهو يلاحق موضوعه منذ البداية وحتى النهاية في سبيل كشف الية العلاقات، وكيفية فهم مسالة الموت داخل الادب الفلسطيني من خلال هذين النموذجين . لكن هذا المقال يبقى مجرد ملاحظات اولية بالغة الاهمية نستطيع من خلال متابعتها دراسة هذه المسالة المركزية في ثقافتنا المعاصرة . ويبقى كذلك مقال عادل اديب اغا النقدي ، الذي ليس اكثر من قراءة سريعة جدا لرواية ابو شاور .

●

ان هذا الاستعراض النقدي السريع الذي قدمناه لمقالات العدد الماضي من « الاداب » يريد التاكيد على مسالتين :

١ - ان الغياب النقدي المرعب الذي يطالعنا به هذا العدد ، بالاضافة الى المستوى العام لبقية مواده ، لا يشير الى واقع الادب الفلسطيني المعاصر . فالصوت الفلسطيني مهما كانت سقطاته ليس بهذه الرداءة . كما ان الممارسة النقدية الفلسطينية تستطيع ان تكون افضل من هذا بكثير . لكن « تحرير الاداب » قد وقع في منزلق بالغ الخطورة من موقع النية الحسنة . فقدم اسوأ تجميع للادب الفلسطيني المعاصر . ان هذا يقود الى ضرورة قياس المسائل الادبية بمقياس ادبي ثوري ، فالفرق واضح بين الابداع الادبي « الثوري » والاعلام «الثوري». فلكل منهما مجاله الخاص . ويجب عدم مزجهما بالطريقة التي تم بها هذا المزج هنا .

٢ - يفترض بالنقد وهو من طبيعة تقترب من التحليل العلمي ان يعيد بشكل شامل تقييم تجربة السنوات الماضية ، واعادة نمذجتها ، حتى لا يبقى النقد مجرد هامش على الاعمال الادبية .

بيروت



د . محمد ديب

يشير الباحث الفرنسي اوليفييه كاري Olivier Carré في تقديمه لدراسته المهمة عن ايديولوجية المقاومة الفلسطينية انه يعنى بأربعة منطلقات رئيسية :

اولا : تيار المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن ، ثانيا : تحليل عدد محدود من النصوص الادبية والسياسية على ضوء المنهج العلمي ثالثا : وضع هذه النصوص في مظانها من تاريخ فلسطين منذ ظهور الصهيونية السياسية حتى سنة ١٩٧٠ ، ورابعا : ضرورة اليقين ان فلسطين واهل فلسطين قدامى قدم التاريخ الانساني المسجل (*).

واذا حاول القارىء تطبيق هذه المقدمات (وهي في رأيي اكثرملاءمة لطبيعة الادب الفلسطيني المناضل ، وان لم تكن بالضرورة معايير نهائية) على النماذج الشعرية التي يحفل بها عدد الاداب الخاص « بصوت الادب الفلسطيني » ، وجدها توشك ان تكون مقتصرة تماما الى المقومات الثورية للنضال الفلسطيني السياسي والمسلح ، والى الحاسة التاريخية والحاسة الانسانيــة الجامعة التي تتميز بها انتفاضة الشعب الفلسطيني ، وترتكز عليها قضيته وحقوقه الوطنية المشروعة .

لست اعني ان العواطف الوطنية والقومية التي افرزت هــذا الشعر يخالطها الشبهة ، وان بقي وعي الاخوة الشعراء السياسي والايديولوجي محلا لاختلاف وجهات النظر .. ولست اعني ان بعدهم عن النضال اليومي الدائر على ارض فلسطين المحتلة قبل هزيمة حزيران وبعدها يبرر ظاهرة الفتور الغالبة على شعرهم ، وانما كل ما اعنيه هو ان هذه « التجارة » وليدة الهامات او استلهامات ذهبية بمعزل عن وهج المعركة تمثلا او ممارسة .

ويخيل لي ، وآمل ان اكون مخطئا في تقديري ، ان فلسطين ـ اسما على خرائط ما قبل الاحتلال الصهيوني ١٩٤٧ ـ لم تزود معظم شعراء العدد باكثر من اطر لهموم شخصية ، او ذكريات طفولة او صبا ، فقدت رصيدها العاطفي والفكري ، ومن هنا ياتي التناول الشعري للافكار او المضامين التي تثيرها المأساة الفلسطينية باردا كالسقط . ومما يؤسف له ان هؤلاء الشعراء لم يكادوا يتجاوزون في قصائدهم المنشورة دائرة الصدمة الشعرية او النثرية المبتسرة ، وقد كان في مقدورهم ان يسلكوا فلسطين في شرايينهم كما يقال ، ان يتمثلوها تاريخا ووجودا ، وان يحيلوا تجاربهم الذاتية الضيقة الى تجارب انسانية ثورية تتعدى التخوم الفردية والجغرافية بحيث تواكب غيرها من التجارب الفنية المعاصرة التي تغذي حركات التحرير في العالم الثالث .

اي محاولة لتناول قصائد العدد ، كلا على حدة ، تفضي حتما الى التورط في تكرار ممل ، وخاصة ان هذه القصائد تشترك في خصائص كثيرة عامة من حيث المحتوى ، والصياغة الفنية ، ولهذا ارى من الاسلم ان اجتزىء بالعرض لخمس قصائد فقط .

١ ـ « حكمة الطوفان »

يختلط في قصيدة الاستاذ دحبور الحديث عن الوطن بالحديث عن حب مجرد ، ذي طابع غريب :

« تاخذني كواكب سبعة وتعيدني مئة لاعرف ان من احببت لا يسعى على قدم ، فاسعى » .

ويمعن الشاعر في هذه الرؤية الضبابية للوطن ، ويوغل في سفر غير قاصد :

« كلما اقتربت تحركت قدماه »

ويصادف الشاعر توفيقا نسبيا فيما يحققه من تلاحم بين لقيا الحبيب وانعتاق الوطن . وان كان هذا التلاحم في ذاته فكرة رئيسية حينا ، او فكرة فرعيه متكررة (Leitmotif) حينا اخر ، يكثر ورودها في الشعر العربي والعالمي . بينما يستشرف الشاعر انعتاق الوطن من ثنايا جراحات المقبلة يرسم صورة دقيقة لحيرة الانسان العربي ، والفلسطيني بنوع خاص ، وتوزعه من ناحية بين روافد الدين ، والتراث بمفهوميه الرسمي والشعبي ، وبين مقتضيات النضال ، واملاءات المرحلة الانية من ناحية اخرى . والشاعر نفسه لم يتحرر بعد من اسار التقاليد ، اذ يغلب عليه الروح الخطابي كما يتمثل في تعدد الاسئلة وغيرها ، وهي وسائل اسلوبية لا تصمد السياق ، ولا تسعف على تطوير التجربة . من هذا القبيل اقحامه العاطفة الدينية التي لا اجد لها مبررا فنيا او فكريا كافيا ، وايراده لمثل هذه الاسئلة :

ـ « اين انا ، واين الله ؟ »

ـ « فكيف يحل روح الله في الجسد ؟ »

دون ان يهيء لها الجو الفكري او الفلسفي المناسب لا يعدو ان يكون حشوا لا طائل وراءه ، او وقوف المستجدي على عتبة ميتافيزيقية ساذجة ، ويندرج تحت هذا المعنى ما يتردد من اصداء قرآنية تبدو كذلك قلقة في مواطنها : « يتلو » ، « آية » ، « بريد النار فوضني بقول الحق » ، « واذن في الجياع .. »

برغم ان تصميم القصيدة الفكري قائم على نوع من التهويم غير المركز ، وبرغم غياب الايدولوجية الاستراجية التي يتطلبها الصراع العربي ـ الصهيوني ، لا تخلو القصيدة من مقابلة ممتعة بين عجز التراث ، والفرد العربي :

« لا تكفي المفاتيح العتيقة في الخيام
ولا المواويل العريقة ،
لست اكفي »

وبين التساؤل عن اشراقة الغد التي تجمع بين النضال العربي والانساني :

« نهار ، ام يطل الصنوبر ؟
ذاكرتي فلسطينية ، ويداي ساريتان
...
ملامحي عربية .. وقرارتي الانسان »

٢ ـ « فاتحة للعذاب وفاتحة للاغاني »

كانت قصيدة الاستاذ القيسي « فاتحة لعذابي » انا ، فقد قرأتها عدة مرات قراءة حفية مستانية ، وبمعزل عن اي مسبقات لنظرية الشعر ، ولكني لم اعثر على كثير يقنعني اني امام عمل شعري متكامل. تتجاوب في القصيدة اصداء الضياع والحنين والشحوب ، وقد يعترض مسيرة هذه الاصداء الى اذن المتلقي او حاسته الشاعرة اضطراب الوحدة الموسيقية (التفعيلة) في غير موضع . وقد يكون من العوامل السلبية في هذه القصيدة ان زمام المضمون ، على رومانطيقيته ، وقصوره دون حركة التحرير الفلسطينية ، افلت من يد الشاعر ، وتبعثر على الصفحة في غير احكام . على ان الشاعر قادر احيانا على التصوير الحركي لغربة الفلسطيني في منفاه النفسي والعربي :

« .. فالمساء بعيد
عميق كاحزاننا العربية . كان السفر
يقربنا نخلتين
ويبعدنا جدولا .. »

ولعل التكرار ، واللغة التقريرية المباشرة ، واقتراب المعجم الشعري من اللغة المحكية ـ كل ذلك يكمن وراء نجاح الشاعر في تجسيد الضياع الفلسطيني كما يطالعنا في هذا المقطع :

« وما فرح القلب يوما

(*) انظر Olivier Carré , L'Idéologie Palestinienne de Résistance (Armand Colin : Paris , 1972) , P . 9 .

ولكن هذا الرحيل الطويل يجدد ..
تاشيرة للقاء ،
وتاشيرة للوداع ،
وتاشيرة للمدينة »

وما دمنا بصدد المضمون او جزئياته المتداخلة هل يأذن لي الشاعر ان اذكره ان الشعر العربي الفلسطيني بوصفه انعكاسا لقضية انسانية كبرى ينبغي له ان يواكب انتفاضة الجماهير الفلسطينية، ومن لم يتحفظ من مثل المعادلات الحسابية بين المرأة والوطن :

« تعالي اذن
تعالي وكوني
طريقا وموتا
يكون (كذا) الوطن . »

٣ ـ « من دفتر فدائي في قوات العاصفة »

يقول الاستاذ ابو خالد في المقطع قبل الاخير من قصيدته هذه :

صارت القصيدة التي شكلتها
دورية ..
وصلية .. »

وهذا وصف مقارب لشكل قصيدته الفني ، فهو عبارة عن دورات، او دوائر تتنافر محيطاتها ، وان تلامست فربما لوقت غير طويل. وهذا يرجع الى ان الشاعر لم يغربل مادته الخام ، ولم يستطع السيطرة عليها ، وكان من الطبيعي ان يقع فريسة الاغراءات الانسراح القصصي، وان يستبدل العموميات بالاساسيات الرامزة ، ولهذا تبقى هذه الحكاية ذات البداية المحبوكة متهافتة ، مفككة الاوصال .

ليست هذه القصيدة بأجود ما قرات في « الآداب » لابي خالد ، وربما يكون من باب الاتفاق المحض ان تعكس هذه القصيدة ، على اهمية موضوعها (وهو موضوع لم يحظ بعد بمعالجة فنية متكافئة) ، كثيرا من عيوب الشعر الحديث ، وبخاصة انفصال الشاعر عن جمهوره ، او عجزه عن تحقيق التوازن بين الجوانب الاسطاطيقية والوظيفية لعمله الفني ، وجنوحه الى الخطابية اي احباطه للتجربة ، ولجوؤه الى حيل لا تمت الى الشعر من قريب ، كاستخدامه لبياض الصفحة او لادوات الترقيم ورق تين لا يخفي عورات الفكرة والبنية والموسيقى .

وقبل الانتقال الى ما تبقى من قصائد لا اجد بدا من طرح هذا السؤال : تحت اي التصنيفات العروضية الجديدة تقع قصيدة ابي خالد هذه : التفعيلة الواحدة ؟ البوليفينة (Polyphonic) القصيدة النثرية (Poéme - en - prose) ؟ ام انها تزاوج بين النثر والشعر ؟ طبيعة الصياغة والمحتوى تجعل البديل الاخير اكثر رجحانا، وهذا بدوره يقتضي معالجة هذه القطعة خارج نطاق الشعر .

٤ ـ « رسالة من مواطن غساني الى ملك رومي »

تتخذ هذه القصيدة من الانفصام بين الشعب والطبقة الحاكمة مادة لها وموضوعا ، وعلى ما يشيع في القصيدة من حديث مهموس تضج مقاطعها بالتمرد في وجه السلطان ، واجهزة مخابراته . ولن احاول كتمان اعجابي بهذه القصيدة لاني اؤمن بحتمية الصراع الجماهيري وتفجير التناقض الطبقي ، ولان الاستاذ الشاعر استطاع ان يخرج تجربته صورة نفسية وشعرية متكاملة . ويعجبني بصفة خاصة هذا المقطع :

« يغسل دمي النازف رجسي
وعلى دمهم .. جاوزنا اخدود الياس
والنفس
حين تسابق في ارضي سريان الفاس
تتوهج في كبد الفلاح الشمس »

لان الشاعر يلتفت للطبقة العاملة ويغني لها ، ويؤكد ، فضلا عن ذلك ، نوعا من المستقبلية المتفائلة التي لا تعرف طريقها الى شعر الانهزامية والرثاء الذي يكتب هذه الايام في فلسطين عن جهل او حسن نية .

عيب في الستينيات على الموسيقار الفرنسي الشاب موريس جار Maurice Jarre ، وهو الذي وضع الحان فيلم دكتور جيفاغو Doctor Zhivago ، ان حلاوة موسيقاه ، واغراقها في الحسية صرفت النظارة عن متابعة مضامين الفيلم الفكرية والسياسية. واخشى ان يكون حرص عبد الرؤوف يوسف على التزام الروي ، والتفعيلة الواحدة بحيث يؤدي الى تغليب الموسيقى الخارجية على الموسيقى الداخلية للمضمون ، ولكن هذه الملاحظة من حيث هي مسالة ذوقية بحتة ، ولعل غيري من القراء يعد هذه الموسيقى من ابرز مزايا القصيدة .

٥ ـ « تخطيطات على البيارق »

تكشف هذه القصيدة الذكية عن الفرق بين فلسطين الحقيقة ، وفلسطين التي طمستها التخطيطات المغرضة ، والشاعر ، حيال اكثر من نصف قرن من تشويه الوجه العربي المشرق لفلسطين ، يحاول انتزاع نفسه انتزاعا من ركام الزمن ، وقيود اللغة ، ويمسح عن وجهه وجلده التخطيطات والرسوم التي سجنته طويلا في جو اشبه بجو الف ليلة المخدور :

« حينما غرد بي فن التخطيطات ، الرسم على جلدي ،
مررت الاصبع في عيني ،
ثقبت حروف اللغة العربية ، كالخرز اللماع ،
على عنقي عقدا سحريا
نمت على صدر العشاق المشوقين ،
... ايقظني الزلزال الاول والثاني ، الثالث والرابع
في الليلة بعد الالف »

للاستاذ الخليلي قدرة رائعة على خلق صور فنية مركزة ولامحة من مثل :

ـ « انبثق من المحبرة »
ـ « اتكىء بظل المشنقة »

وان كانت صورة الاخرى لا ترقى الى هذا المستوى من التركيز ، وقد يرجع هذا الى استعماله اداة التشبيه :

ـ « اسمك يسقط كالراية من قبضة يدي .. »
ـ « كانني سحابة مهربة .. »

لانها ، فضلا عن اضعافها للتلقائية بين طرفي الصورة ، تقلل من قدرتها على الاستقلال والتماسك والتجسد .

على ان الشاعر ، وهو « يعبر باب الكلمة » كما يقول ، ما زال يتعثر في غير قليل من التكرار ، والخطابية ، والحشو او المادة الجاهزة المستهلكة :

ـ « الصوت ، الصوت .. الصوت ! »
ـ « وراء قصاصات الصحف ، الصحف ، الصحف الرسمية ! »
ـ « انا المهرج ، القاتل ، الممزق ، التناقض ، الصرامة ، الخيانة ، البطولة ، البقاء ، والزوال ! »
ـ « احمل بيرقا ملطخا ، وقصة قديمة عن الرجال والفئران ! »

بعد هذا الطواف السريع احب ان اقرر امرين :

اولهما : ان معظم قصائد العدد ، فضلا عن انها صادرة عن فهم مجزوء قاصر لوظيفة الادب ، ومسئوليته تجاه القضايا العربية والانسانية ، لا تتكافأ مع ابعاد حركة التحرير الفلسطينية على مستوييها المحلي والعالمي ،

والثاني : انه لا يزال في عنق الاداب ان تستدرك في اعدادها القادمة ما غاب عنها من اصوات فلسطينية اكثر اصالة .

محمد ديب
استاذ الادب الانكليزي والمقارن بجامعة البرتا ـ كندا

القصص

سعيد حورانية

اعترف ان قراءة ثلاث عشرة قصة لثلاثة عشر قصاصا مختلفي الاساليب والرؤية الفنية ، لتقديم دراسة عنهم لمجلة « الاداب » .. امر في غاية الصعوبة في مثل هذا الوقت القصير . يضاف الى ذلك انني لم اقرأ لبعضهم من قبل بسبب غربتي الطويلة عن الوطن، ولذلك اعتذر سلفا عما قد يشوب هذه المحاولة من نواقص لا بد منها ، او احكام قد تبدو غير صائبة او غير دقيقة او كلاهما معا .

الملاحظة الاولى التي يدركها القارىء للوهلة الاولى هي ان هذه القصص تعبر عن معاناة حقيقية للانسان العربي الفلسطيني : الشعور بالتمزق والانسحاق ، والبحث عن هوية حتى حدود الموت والفداء ، والفناء في الارض ، والعودة الى رحم الاشياء،والشخصيات فيها حبلى بالبروق ، تنطلق الى الجوهر المجيد والمرعب انطلاق الرصاصة الى الهدف وهي واعية اتم الوعي انه طريق الخلاص .

الملاحظة الثانية : ارتفاع مستوى التكنيك الفني اجمالا في اكثرها وابتعادها عن الصراخ والمباشرة وطقطقة الشعارات فيمواضيع تغري بالانزلاق الى مثل هذه المحاذير والحلول السهله . ولقد لجأ بعض الكتاب الى اكثر الاساليب صعوبة رغم طراوة عودهم الادبيكربعي المدهون في قصته المعقدة « اعتقال ذاكرة مواطن » وموسى الشيخ في قصته « الغائب الذي سيجيء » .

الملاحظة الثالثة : ان رؤية بعضهم رؤية وحيدة الجانب ! فمن الطبيعي ان الهم العربي الاولوخاصة للفلسطيني هو قضية فلسطينولكن تناول هذه المشكلة بنواحيها الشديدة التعقيد يجبالا يوقعنافيالتجريد واغفال العالم الموضوعي . ففلسطين ليست رؤيا او حلما ، ليست موتا وبعثا فحسب ، وانما هي واقع تاريخي ، واناس يعيشون في ظروف معينة ، وشعب خصوصي لانه شهيد ، يعيش بين اخوانه وبين اعدائه في واقع اجتماعي متميز . ان رفع فلسطين الى مستوى التجريد والرؤية الشعرية يجعل القصص اقرب الى القصائدالمبتورة مفقرا اياها من ذلك الكشف الاجتماعي والفنى الحياتي اللذينتتيحهما القصة . وفي بعض الاحيان يبدو اللجوء الى الرموز المعقدة تشوشا فكريا وفقرا شديدا في ملاحظة العالم الموضوعي الذي لا يمكن تجاوزه الا بفهمه اشد الفهم . لنتذكر « سداسية الايام الستة » لاميل حبيبي كمثال باهر على تفاعل الفنان الحق مع الحياة والواقع وحركة الجماهير التي تبدو نشيدا وصلاة .

* * *

مواضيع هذه القصص التي بين يدينا تتناول جميعا (ما عدا قصة الطاحونة لاحمد الرضواني) فلسطين ومعاناة الانسان العربي الفلسطيني ونضاله الصامد العنيد بمختلف الاشكال في سبيلاستعادة ارضه وتحقيق وجوده في وطنه .

ويحتل وضع الفلسطينيين في الاردن وماساة ايلول ومذبحة الفدائيين مكانا بارزا بين قصص العدد .

« فحكاية الازعر الكوكباوي » لمحمود الخطيب رصد لحياة الفلسطينيين الفقراء في مخيمات الاردن ، واضطهاد البوليس لهم ، ومعاملتهم بحقد طبقي حاد يصل الى حد الاجرام .

وفي « مربعات فلسطينية » يلجأ رشاد ابو شاور الى الشعر والوثائق والرمز ليصور لنا بشكل عنيف بعض وقائع المذبحة التي اودت بشباب هم زهرة المجتمع العربي ، والتي وصل حقد البدو فيها الى التنكيل والتمثيل بالاطفال والنساء بسادية نازية .

ويقدم لنا ربعي المدهون في قصته « اعتقال ذاكرة مواطن » شهادة كابوسية عن اساليب التعذيب التي تفوق الخيال ضد المقاومين في زنزانات سجون الاردن الملطخة بالدماء .

ويمر شبح المذبحة ايضا في هذه القصة او تلك كما في قصة « الباب السابع » لنواف ابو الهيجاء.

وتحظى اوضاع الفلسطينيين في الارض المحتلة باهتمام مماثل في قصص العدد .

ففي قصة « المخبر » لتوفيق فياض يصور الكاتب موقفالمواطنين الفلسطينيين العرب من احد الخونة وكيف يتبرأ منه الجميع حتى زوجته وابنته ، ويكون القصاص رهيبا اذ انه يدل في احدى المرات على جماعة من الفدائيين في الجبال فيقتلون وتستعرض جثثهم امام اهل القرية فاذا ابنه الاصغر الذي نزح مع اخوته الى الاردن بعد احتلال الضفة واحد منهم .

وفي قصة « سرالبري» لعلي زين العابدين الحسيني وصف لنمو احساس المقاومة عند الاولاد في الارض المحتلة تأثرا ببطولات الفدائيين وانضمام احدهم - البري - الطفل الذي لا اهل له الى صفوفهم ليحس الانتماء الى النفس والجماعة والوطن .

ويتناول محمود الريماوي في قصته « محمد الصغير فيالدائرة » نفس الموضوع تقريبا ، من خلال طفلين يعتقل والدهما لاشتغالهما بالعمل الفدائي ونقل الاسلحة .

اما محمود موعد فيقدم لنا موضوعا اخر من الارض المحتلة وهو محاولة السلطة سحق الانسان العربي المثقف لتشعره باغترابه عن ارضه ووطنه ومواطنيه ونفسه ، ومهما حفر من انفاق ليختبىء بها فان عيني السلطة تلاحقانه حتى داخل النفق وهو يشعر اخيرا انه عار ويقرر عدم حفر الانفاق والنظر الى الحقيقة وجها لوجه .

وهناك قصة واحدة ، زهرة « الحنون » لوليد رباح تتحدث عن ثائر فلسطيني قبل نكبة عام ١٩٤٨ كان يغير على المستعمرات اليهودية تطارده القوات الانكليزية والصهيونية حتى يشي به احد الخونة فيقتل .

والقصص الباقية تتناول مواضيع مختلفة تتعلق كلها بفلسطين ايضا ، فيستعرض موسى الشيخ في قصته « الغائب الذي سيجيء » باسلوب رمزي مسؤولية العرب عن ماساة فلسطين ، بينما يقيم يحيى يخلف في قصته « مقامة من كتاب الزيت » تضاداً بين البترول العربي واضطهاد الانسان الفلسطيني . اما « طريق اخر الى البحر » لفاروق الوادي فترصد مشاعر مواطن من القدس يعود اليها بعد الاحتلال ليرى مرابع طفولته وصباه وقد تركت عليها بصمات المحتلين اثارا زلزلت اعماقه ودلته على الطريق الوحيد الى البحر .

واخيرا تقف قصة « الطاحونة » لاحمد الرضواني وحدها لتصور عذابات الثوريين في كل مكان الذين تفترسهم طاحونة القمع . ولكن دماءهم شاهد يومي على خلود قضيتهم .

* * *

وتتعدد اساليب القصص كما ذكرنا من السرد العادي كما في قصة « المخبر » لتوفيق فياض و « سرالبري » لعلي زين العابدين الحسيني و « محمد الصغير في الدائرة » لمحمود الريماوي .. الى الرمز البسيط والمركب كما في قصص « مقدمة من كتاب الزيت » ليحيى يخلف،و« الخلد » لمحمود موعد و« الطاحونة » لاحمد الرضواني و« الغائب الذي سيجيء » لموسى الشيخ .

ويلجأ رشاد ابو شاور في قصته « مربعات فلسطينية » الى اسلوب انتقائي اذا صح التعبير ، فيستخدم الشعر والوثائق والرمز لتكتمل الرؤيا الماساوية لمذبحة ايلول . وعلى نحو اقل توفيقا يختار نواف ابو الهيجاء في قصته « الباب السابع » مقدمة وخاتمة رمزيتين ، اما ما بينهما فيسقط في المباشرة حيث يتخلخل التوازن الفني للقصة . وكذلك تبدو قصة « حكاية الازعر الكوكباوي »

لمحمود الخطيب حيث تختلط التقريرية بالاسلوب الشاعري والرمزي في كل متنافر يتعب القصة ويقطع الايصال .

ويحمل الاسلوب الشاعري الايحائي عند فاروق وادي في قصته الممتازة « طريق اخر الى البحر » قوة تاثيرية عظيمة ، ويحاول نفس المحاولة وليد رباح في قصته « زهرة الحنون » ولكنه يقع في بعض التفاصيل الزائدة التي تقطع تسلسل النص مما يضعف من قدرته على الاقناع .

ويظل اخيرا ربعي المدهون متميزا باسلوبه الاقرب الى الاسلوب السريالي ، حيث يختلط الحلم بالواقع بانتقالات الذاكرة الفجائية مما جعل القصة مركبة شديدة التعقيد تحتاج الى اكثر من قراءة واحدة .

وهناك ظاهرة تستحق التسجيل وهي غياب الحدث الواحد والبطل الواحد في كثير من قصص العدد وخاصة الرمزية منها ، فهي تعدد الاحداث ، ولا تتقيد بالزمن ، وتقدم كمجموعة من المشاهد تختلف زمانا ومكانا وشخصيات ليصل القارىء الى رؤيا متكاملة يشدها خيط غير مرئي ، كما في قصص « مقدمة من كتاب الزيت » و « الخلد » و « الطاحونة » و « مربعات فلسطينية » و « الباب السابع ».

ولننتقل الان الى استعراض القصص واحدة واحدة في ايجاز سريع :

« المخبر » لتوفيق فياض

اذا كانت قصة « المخبر » قصة غير لامعة ، فليس معنى ذلك انها تعبر عن افضل ما كتب توفيق فياض الذي اثبت منذ زمن انه قصاص ذو موهبة اصيلة ، وشخصية متميزة ، واعتقد ان (ربطها) في نهاية الحديث الذي اجري معه يدل على انه لم يجد الوقت ليختار قصة اخرى اكثر دلالة على مستواه الفني .

« المخبر » اذن قصة مبسطة فيها نوع من من التسرع في سوق الحدث ورسم الشخصيات . فشخصية ابي صالح المخبر الخائن باهتة وغير مقنعة ، فهل تكفي لهفته لرؤية اولاده الثلاثة الذين نزحوا عن الضفة بعد الاحتلال ،لان يصل في توسطه لدى الاسرائيليين لارجاعهم ، الى الضلوع معهم وخيانة بني قومه ؟ ثم كيف يستطيع رجل يصل حبه لاولاده الى هذه الدرجة المميتة .. ان يطلق زوجته لانها تتدخل في شؤونه ؟ هذا الى جانب ان القرية كلها علمت فلم تخبر الزوجة التي خرجت الى كرم الزيتون ورأته يركب سيارة عسكرية فتيقنت ؟ ولم تستطع النهاية الجميلة ان تمحو سوء التفاهم مع القارىء الذي حدث منذ البداية .. لغة القصة بسيطة .. لغة السرد العادي ، ولكن تعترضها في بعض الاحيان جمل شاعرية تبدو غريبة في موضعها ، انظر الى الام البسيطة كيف تتذكر وجه اصغر ابنائها حيث « تسقسق البسمة الياسمينية تحت اللثام لتنساب في عينيه الغاضبتين » !

حكاية « الازعر الكوكباوي » لمحمود الخطيب

يمكن لهذه القصة ان تختصر الى النصف او اكثر ، فهي ممطوطة جدا ، واسلوبها غير متوازن ! فهي تبدأ بمقدمة تقريرية تحليلية لا داعي لها ، ثم تقفز في المقطع الثاني ودون داع ايضا الى لغة شعرية فيها كثير من الحذلقة والصور المجانية التي لا علاقة لها بالحدث وتحس ان الكاتب يجهد نفسه فلا تسعفه الكلمات ، يتحدث عن القهر الذي يعانيه بطله : (عندما تقتحم اللحظة حياته ينطبع اللمعان في رواق الموت ..) (وعندما يفكر بنفسه ، تندلق اعماقه امام عينيه فتئن جثث الايام ، ويؤرقه صرير الكوابيس الكافرة ، وحينما يجول في الاحزان المترامية يخر صريعا بين عينيه والافكار . .) الى مثل هذه الجمل التي تشل موسيقاها الكاتب وحده والتي تغرق بطله المسكين (بالمناسبة هو عاطل ثم عامل بسيط في محجر) تحت ركام من الفصاحة،

وبعد هذا تبدأ القصة فجاة بتشكك شرطي به وهو يعد صرة النقود مرة بعد مرة (يظهر ان الاجرة كانت من الدنانير المعدن) ويقبض عليه ويسوقه الى مخفر الوحش البشري الشاويش دحيلان الذي يضع عينه على الصرة ويستجوبه من اين اتى بها ، ويحاول ان يوقعه على محضر يدينه بالسرقة ولكنه يرفض ، وهنا يبدأ الشاويش بتعذيبه . الحوار هنا كله بسيط وعار دون اي ظل وعلى حدود الغيبوبة يبدأ حلم المسكين مختار « الازعر الكوكباوي » بهذه المقدمة : (في لحظة مادت الارض وتلاطمت نبضات الحياة وزلزلت الاشكال .. وانبثق من الحلم ، خيال لعالم اخر فاخذت خيوط العنكبوت تكبسل انفاسه ـ وبزغ من بين الحدقتين مارد حالك السواد ، هلامي الملامح ، انفلش الى ما لانهاية. ها هو كيان يختنق ويولد اخر مشحون بحمى مثقلة بمرساة .سقط في قاع بحر من العار فتراكمت فوقه ملايين الاطنان من السواد ، وراحت اشباح مبندقة تسبح في خضم الديجور ، وبقي هو عالقا بالصدمة) .

هذه الصورة التهويلية كلها لتصوير سقوطه في الغيبوبة وهيمنة المعذب الشاويش دحيلان عليه كشبح اسود ، وبعدها يبدأ الحلم : قام مختار من تحت التعذيب بعد ذهاب دحيلان ، وخطف البارودة من الشرطي وسجنه في الزنزانة ثم لحق دحيلان الى بيته فاخذ الصرة منه وساقه امامه ، ويجري بينهما حوار فلسفي وطبقي ساذج ثم يصل الى بيته فيعطي الصرة الى ام اولاده ثم يسلم نفسه الى دحيلان قائلا :

ـ ويداي والبندقية لك !

وينتهي الحلم ومختار مغمى عليه من اثر التعذيب وتنتهي القصة الميلودرامية العجيبة ايضا .

« سر البري » لعلي زين العابدين الحسيني

تندرج هذه القصة في ما يسمى بالادب التعليمي التحريضي ،انها تشبه قصص اركادي غايدار المدهشة ذلك الكاتب السوفييتي الشهير الذي استشهد في الحرب ضد الفاشيست وكتب قصصا للاطفال والاولاد حتى سن الثامنة عشرة ، فخلقت كتبه وقصصه جيلا كاملا من الاولاد المناضلين الذين انضموا الى صفوف الانصار ، والذين خلدهم فاديف في كتابه المعروف « الحرس الفتي » . لقد كانت قصصه تقرأ في المدارس والخنادق على السواء ، وتنمي في الجيل الصاعد روح التضحية والفداء .

هذا النوع من الادب نادر في الادب العربي والجيد منه اكثر ندرة وهو يعتمد على التبسيط الشديد باسلوب السرد القصصي مع مراعاة الجودة الفنية . واعتقد ان على زين العابدين الحسيني قد توجه بقصته هذه الى هذا الجيل بالذات وكان مقنعا ومؤثرا وقدم لنا شخصية طفلية ساحرة :

قال البري ـ اريد ان اصبح فدائيا مثلكم .

ـ لكي تصبح فدائيا هناك شرط !

قال البري على الفور ـ اشترطوا ما تريدون .

قال الفدائي ـ عليك بالحصول على سلاح جندي من الاعداء ... هذا هو الشرط .

ظل البري ساكنا ، فقد كان الشرط صعبا للغاية (البري في الثالثة عشرة) .

قال الفدائي ـ ما رأيك ؟

اجاب البري ـ كيف افعل ذلك ؟

اجاب الفدائي ـ عليك ان تعرف وحدك .. وعندما تنجح تكون قد نطقت بكلمة السر واصبحت واحدا منا .

عندما سمعهم يبتعدون قال : كيف اتصل بكم عندما انفذ الشرط ؟

فرد احدهم : ـ عندما تنفذ الشرط سيعرف كل الفدائيين في كل انحاء البلاد لانك تكون قد نطقت بكلمة السر .

وبعد تجارب عديدة اعتمد فيها على نفسه وملاحظاته استطاع

البري ان ينفذ الشرط الصعب وان ينطق بكلمة السر ويصبح واحدا من الفدائيين .

((مقامة من كتاب الزيت)) ليحيى يخلف

قصة من ثلاث لوحات مختلفة وتعليق ، يشد بينها خيط واحد خفي وهو تاثير اكتشاف البترول العربي على غزو فلسطين واستعمارها واستيطانها لتامين حماية لشركات النفط .

وفي اللوحة الاولى يقدم لنا يحيى صورة فنية آسرة :

تلوث البحر ذات صباح . وتكاثف الزيت الدبق في دائرةضخمة. وبدا ينتقل في كل الفصول مثل هجرة الطيور الجارحة .. وهكذا بدات المشكلة ..

وهبت ذات يوم عواصف ثلجية فتجمدت الامواج العالية، وحفرت شركة ميكو البترولية بين التلال الثلجية فلم تجد غير سمكة .. سمكة جميلة وملونة .. ويا للعجب .. كانت عيناها مفتوحتين على سعتهما .

هذا الرمز المركز شديد الخصوصية ، كل كلمة فيه محسوبة ولكنه مع ذلك لا يفقد حرارته وقوة تاثيره .

فاذا ما انتقلنا الى اللوحة الثانية والثالثة اختلف الحال تغير الاسلوب واصبح ايحائيا وان كان الخيط لم ينقطع ، ولم يؤثر الانتقال كثيرا على توازن القصة ، وترمز اللوحة الثانية الى تفسخ بعض الفلسطينيين الذين جرفتهم موجة البترول وارباح التوظيف فيه فهادنوا الانكليز ونسوا تاريخهم النضالي . اما اللوحة الثالثة فترصد زمن التشريد واللجوء ، زمن خصي القوى ، وسقوط الامجاد . وفي اخرها يدير ابو السعيد الحيفاوي الملاكم والمصارع وبطل فلسطين في الملاكمة لعام ١٩٤٥ ، يدير على ثيابه تنكة بنزين ويحرق نفسه اتذكر هذه اللوحة بقصة شتاينبك ((قطعة بفتيك)) وان كانت تختلف عنها في توظيف الرمز .

وفي التعليق الاخير انطلاقة الثورة ونسف انابيب التابلاين .. لم ار موجبا للسطرين الاخيرين وكان يمكن حذفهما دون اي اخلال .

((مقامة من كتاب الزيت)) قصة موهوبة لكاتب اصيل .

زهرة ((الحنون)) لوليد رباح

هذه القصة هي الوحيدة التي تجري حوادثها قبل نكبة ١٩٤٨ قصة الفلسطيني الفقير الثائر الذي لا يرضى ان تنهب بلاده ويجوع ابناؤها ويذهب الخير كله للانكليز واليهود والبورجوازيين الفلسطينيين المتعاونين .. ماخذ القصة هي مسحة رومانتيكية الثائر الفرد بما فيها من جمال غنائي ، وضعف يتاتى من ضيق التجربة ، لان الجماعة ترعاه ولكنها لا تتخذه مثلا وقدوة وطريقا الى الخلاص .. الفكرة مطروقة .. ولكن جمال لغة وليد الشفافة والمشعة ، وتمكنه من خلق الصور الموحية ، ومعرفته العميقة بالروح الشعبية الفلسطينية جعل لقصته نكهة لاذعة ، واضفى عليها جمالا حزينا يحز في النفس .

((الخلد)) لمحمود موعد

لقد قلت تجاوزا من قبل ان هذه القصة قد تصور الانسان العربي المسحوق داخل الارض المحتلة ، ولكن تجريديتها تجعل هويتها مفقودة، ويمكن ان تتخيل نفسك في اي بلد عربي ، فبطلها عربي يتحدث مع عرب باحثا عن البراءة والدهشة والحب التي فقدها ، ولوحاتها تبدا هكذا : التقيت به في الشارع العام . او كنا جالسين على مائدة واحدة صغيرة وجها لوجه . او كنت انتظر في موقف الباص . او في المطعم كان كل شيء على ما يرام .. الى اخره ، اذن فالمكان قد ينسحب على العالم العربي كله . البطل يرى التزوير في كل مكان : في العلاقات البشرية في الفن في السياسة في الحب . وهو لا يجرؤ على ان يجابه ، فهناك دوما عين شريرة تلاحقه الى الانفاق التي يحفرها لنفسه، وفجاة يتهدم النفق بفعل رجل ثقيلة داست عليه ويعجز عن الانتقال الى نفق اخر ، وعندها يقرر الا يعود الى حفر الانفاق ما دامت الارجل الثقيلة وعينا الحداة ستطاله على كل حال ، وينظر الى الوراء ويدرك انه قد امضى حياته عبثا .

يبدو الكاتب مقتصدا في الكلمات ، يراقب نفسه بقسوة ولغته جافة تكتسب حضورها من موضوعيتها الصلبة ، فتترك في النفس تاثيرا عميقا ، ولكن لا ادري وانا اقراها لماذا تذكرت بالحاح قصة زكريا تامر ((الاعداء)) المنشورة في عدد ((الاداب)) الخاص بالقصة العربية .

((الطاحونة)) لاحمد الرضواني

((فتحت الصنبور ، فسالت دماء)) هكذا يبدا احمد الرضواني قصته .. تساءل : من اين تاتي الدماء ؟ ومن هنا بدات المطاردة .. مطاردة الذين يسالون هذا السؤال الخطير بعد جري الدم متدفقا عوضا عن الماء في صنابير المدينة ، وبعدها الاعتقال ؟ ثم المحاكمة ثم السوق الى الطاحونة ((لم يكن معي الا بعض الذين تساءلوا مثلي، فهنا لا يوجد سواهم ، ربطني بهم السؤال من قبل ، والان نلتقي في جوف الطاحونة)) وهنا عرفوا جواب السؤال الذي سيحيا دائما : من اين تاتي الدماء ؟ ((فليس الا من هنا تنبع الدماء)) .

يلجا احمد الى الشعر الفصيح ليطرح السؤال على الناس فيستخدم مقطعا كاملا من قصيدة ، ثم انه في لوحته الثالثة ((اغنية ممنوعة)) يورد اغنية عامية قد تكون مغربية ففيها كلمات غير مفهومة بالنسبة لي ، وهو يدخلهما في صلب القصة مقتحما تجربة جريئة جديدة في استعمال التناغم الهرموني للايصال ، وارى شخصيا ان ايراد القصيدة الفصيحة على الاقل لم ينسجم مع المقاطع النثرية ، وذلك لمباشرتها وبعدها عن روح اللغة النثرية ما قبلها وما بعدها . مما جعل لغة اللوحات كلها غير متوازنة .

((محمد الصغير في الدائرة)) لمحمود الريماوي

لن اقف عند هذه القصة ، فليس فيها جديد لا شكلا ولا موضوعا ناهيك عن ان الحدث فيها عادي ومطروق .

((مربعات فلسطينية)) لرشاد ابو شاور

يبدا رشاد قصته بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد عن مذبحة ايلول ، ثم بمقطع وثائقي من كتيب الدكتور محجوب الذي كان في مستشفى الاشرفية في عمان وقت المجزرة ليضعنا فورا في قلب الحدث الفاجع .

ثم يقدم لنا ثلاث لوحات : ((القتلة)) و ((الحية)) و ((الصحراء)) لنلم بالصورة وخلفياتها من مختلف المنظورات .

فالقتلة لوحة واقعية طبيعية عارية تاخذ شكل الوثيقة التاريخية لا الادبية ، تروي همجية الجنود الاردنيين وهم يغمدون حراب بنادقهم في ارحام النساء واثدائهن ((ومرة اخرى طعن : تحت الثدى .. فتهدل الثدى مع خروج الحربة التي علق بها بعض فتات اللحم والعظام الدقيقة والحليب الذي جمد على الثدي بعد آن لم يرضعه الطفل ..)) اعتقد ان حقد رشاد المشروع طغى على الاختيار الفني فبقيت اللوحة رغم عنفها مقطعا من كتاب تاريخي لا رؤية فنية . اهو التسرع في ايصال الصدمة الى القارىء باسهل الطرق ؟ اهو ضيق الخلق من استبطان الحدث وخلقه من جديد ؟ اهي بقايا الحس الميلودرامي الذي بدا رشاد يتخلص منه هو والغنائية المفرطة (مقتل القصاص) في مجموعته ((بيت اخضر ذو سقف قرميدي احمر)) ؟

فاذا ما انتقلنا الى ((الحية)) تغير الاسلوب الى اسلوب حي شعبي مشرق ، في حوار يدور بين فلسطينيين مخضرمين يعلقان على الاحداث وخلاصته ان ((اللي بيحط الحية في عبه بدو يذوق الويل من نابها او سمها)) الاخطاء ليست خارجية فقط وانما نحن شاركنا في الخطا ايضا .

وفي اللوحة الثالثة ((الصحراء)) ترتفع القصة ويرق الحوار

فيصبح شفافا موحيا مغلفا برمز دقيق ! الفلسطيني المخون الذي يتركه اقاربه وحيدا في الصحراء بعد ان قطعوه عن رحم امه : « الصحراء من كل جانب .. راحوا وخلوني هنا وحدي .. اخذت اتشمم رائحة القميص والزوادة ولكن الليل جاء .. وامتلأ قلبي بالرهبة والاحساس بالوحدة ... » تترك هذه اللوحة في القلب انطباعا عميقا ، انها تمتص، بتفهم حكيم ورؤية بصيرة ، عنف « المقدمة » و « القتلة » لتتجاوزهما الى عمل فني مقنع .

اعتقد ان حذف لوحة « الحية » لا يضير القصة .

يملك رشاد ابو شاور حس القصاص الاصيل ، ويخونه في بعض الاحيان اصطياد اللحظة الجوهرية ، وذلك راجع في رأيي الى انفعاليته السريعة التي تفسل ، احيانا ، طريقها فتنشظى الى الخارج بدلا من ان تغور عميقا في الداخل .

« الباب السابع » لنواف ابو الهيجاء

نواف قصاص مخضرم ، يكتب منذ اوائل الستينيات او قبل ذلك قليلا ، ولذلك كنا ننتظر منه اكثر مما قدم ، فمعظم قصص الصدد تتجاوزه شكلا ومضمونا ، الى جانب ان التزامه بفكرة وحيدة الجانب تدين كل من لا يؤمن بها ، حتى رفاق السلاح ، ضيقت من مجال رؤيته وجعلته داعية سياسيا قاسي الاحكام ذا اسلوب سردي شديد المباشرة .

بدأ نواف قصته بمقطع رمزي متكئا فيه على اسلوب الف ليلة وليلة : الاميرة (فلسطين) مريضة ياتي به العملاق ــ اخوها ــ ليجد دواء لها ويضعه في قاعة فيها سبعة ابواب ويحذره من فتح الباب السابع ويفتح بطلنا الابواب الستة فاذا بها كلها تطل على لذائذ الدنيا ولم يبق الا الباب السابع .

ثم يقدم لنا الكاتب عدة لوحات تقريرية تصور نمو الفلسطيني من مشرد الى فدائي مقاتل « اهزوجة للولد العاق » يتصلب فيها عود الشاطر محمد بالعمل الشاق ، وعشية حرب الـ ٦٧ يطالب بالسلاح فيقبض عليه في الاردن ويجر الى المخفر « ويتقدم منه الشعر الكثيف الاسود ، والبريق في العيون .

ــ تريد السلاح يا ... ابن الـ ... »

ويبدأون بتعذيبه .

واللوحة الثانية « الولد يحمل البارودة » يفرج عن الشاطر محمد بعد الحرب ويعمل في مكتبة ، ثم يدعوه احد الفدائيين للانخراط في صفوف المقاومة فيقبل « لانه قرأ كثيرا من الكتب » .

واللوحة الثالثة « الولد يدافع عن الخيمة » وتتناول الاستعداد لمقاومة عمليات افناء الفدائيين في الاردن .

والرابعة « الابواب » وفيها يستعرض الكاتب مع رفاقه في المقاومة آراءه السياسية ويسخر من آرائهم .

ــ نحن نمسح ما خطه غيرنا بالدم بدعاوى التكتيك والستراتيجية، ثقوا انني افضل الموت على ان امد يدي الى (الاخ كيسنجر) وليكن معلوما لكم انني ساقطع اليد التي ستمتد الى الاخ المذكور من اجل ان تستسلم .

ــ رفيق عدي (اسمه الحركي) .. كنت الرفيق عدي وستبقى .. ظاهرة صحية ان تتواجد افكار وآراء مختلفة في تنظيم ثوري .. كل الثورات مرت بهذه التجربة !

. . . . .

ويقول محمد بعد ذلك :

ــ اذن ؟

ــ ابق في الصفوف وناضل .. كن ايجابيا .

ــ وانت ؟

ــ انا معك والرفاق سميح وناظم ونايف ورعد وهصور وهمام .. كلنا معك .

لاحظ ان الرفاق الستة (فصائل المقاومة الفلسطينية) اصبحوا هنا رموزا للابواب الستة التي تطل على لذائذ الدنيا والتي ليس فيها شفاء الاميرة .

ينظر اليهم ويرى مرة ثانية « الشعر الكثيف الاسود والبريق في العيون .

ــ تريد السلاح يا ... ابن الـ ... »

لقد وضعهم في موضع ذلك الجلاد الاردني الذي عذبه ذات يوم .

ويعود في الخاتمة الى ما بداه في المقدمة فيفتح الباب السابع فيرى فلسطين مصلوبة من شعرها ، فهي الاميرة الحقيقية والاولى مزورة ، وتدله على مخبأ سري في الباب الاول فيه سيف وتنصحه ان يغري العدو ــ العملاق ــ « بضربة واحدة » لانه سيقوم ان لم يمت من الضربة الاولى وبذلك يحل الكاتب مشكلة اسرائيل . اظن ان هذا النوع من الادب وهذا النوع من الفكر ليس في حاجة الى تعليق .

« طريق اخر الى البحر » لفاروق وادي

« اوقفوه في النقطة على نهر الاردن ، فتشوه حتى ثقوب الجسد وقالوا له : اهلا بك في اسرائيل » .

ويصل الى القدس لزيارة عمته ويتذكر المدينة التي قضى فيها طفولته وفتوته ، ويقف عند ذكرى صغيرة .

لقد كان وهو صغير يريد ان يرى البحر .. البحر الذي سرقه المغتصبون وكان يسعى مع رفاق له الى باب البحر المغلق بالمسامير (باب الخليل) وينتظرون تعب الحارس ليبحثوا عن ثقب او شق يضعون عليه اعينهم علهم يرون ذلك البحر العزيز الكبير بحرهم الذي حجبته الاسوار ولكن دونما فائدة .

ــ لا تتوغل في القدس الاخرى يا عمتي !

باب الخليل الان مفتوح على مصراعيه ووجوه غريبة تندفع منه الى الداخل . وتخطى الباب وسار ، ولم يكن الطريق الذي مشاه يحمل ملامح طريق البحر الذي رسمته ذاكرته من قبل .

« وقالت له عمته وهي تستقبله على عتبة البيت :

ــ هل رأيت القدس تغيرت ؟

ولم يجب .. كان لا يزال يفكر في الطريق الاخر الى البحر . »

كل كلمة .. كل جملة .. مدروسة في هذه القصة البديعة دون ان يحجب ذلك تلقائيتها وبساطتها الآسرة . انها عمل متين لكاتب متمكن . ما اروع ان يكتشف الانسان لنفسه قارة جديدة تمور بالحياة .. احسست بين السطور روح محمود درويش في « يوميات الحزن العادي » ولكن فاروق يتشعب نهرا اخر والنبع العظيم واحد .

« اعتقال ذاكرة مواطن » لربعي المدهون

والان نصل الى النص الصعب ، قصة ربعي المدهون الكابوسية كما سميتها قبلا .. لوحة مريعة من لوحات « غويا » الشيطانية، قصة اعتقال فلسطيني مناضل في الاردن واغتصاب امرأته ثم قتلها .

في الزنزانة فتح الباب والقوا الى يونس بالصحف فدهش وكانت المانشيتات :

ــ القبض على زوجة يونس عبد الفتاح تمارس الدعارة .

ــ الزوجة تمضي ليلة كاملة في احضان المحامي المعروف محمود خالد السوافيري ويرن سؤال المحقق للمرة الالف :

ــ ما هي علاقتك بمحمود خالد السوافيري ؟

ــ صديق .

وبعد اسبوع ترمى اليه الصحف مرة اخرى :

العثور على شريفة يونس قتيلة امام البناية التي تقيم فيها .

لماذا اخترت هذا المقطع؟ذلك انه في رأيي المفتاح لفهم القصة ..نعم لفهم القصة! ذلك ان النص يصل في اللامعقولية والاستغلاق مبلغا يصبح اشبه بلوحة سريالية : تحطم الزمن بتنقلات الذاكرة الفجائية ، وتحطم

الحدث ، بانتقال الزوجة بين الموت والحياة وتحطم المعنى بتارجح سبب القتل بين الجريمة والاستشهاد ، وتحطيم حضور المراة بين القهر والصمود حتى الموت ..

هذا التضاد المربك ، ناهيك عن خلو النص من الاشارات المضيئة في مفارق الطرق ، والرموز التي تدل على مفاتيح المغالق ، الى جانب اللغة المشحونة ذات الطاقة المتفجرة ، والتي تخلق جوا يغرقك في التوتر النفسي والعقلي .. كل ذلك ادى الى بلبلة القارىء وافقده التواصل الذي جهد للحصول عليه . ومع ذلك .. بل ورغم كل ذلك يترك القارىء القصة وهو يشعر ان شيئا رهيبا قد حدث ، وان عليه ان يعيد القصة مرة واخرى لعله يمسك بطرف الخيط ويعيد ترتيب هذا العالم كبقايا كاس مكسورة تحت اشعة شمس حارقة .

هل هذا مدح ام ذم ؟ ليس هذا ولا ذاك .. لا ابرىء ربعي المدهون من انه لم يفعل شيئا ليلم شعث هذه الشهادة السيكوباتية لانسان لحقه الجلادون الى اقصى جزر الطاقة البشرية ، ولا ابرئه من انه وقف كالطبيب امام تجربة عرف كل نبضاتها وقدمها كالرموز الخطية المتعرجة لورق تخطيط القلب ، فكان قاسيا لانه لم يثق ان احدا يمكن ان يحس بهذا الاسى العظيم الذي احس به ، ومن عدم الثقة هذه ، ترك للشهادة ان تتكلم بنفسها .

لقد تحدثت عن مانشيتات الصحف قبل قليل ، فمن هذا الخيط الذي امسكته باستماتة ، توصلت الى فهم لا ازعم انه هو الصحيح ذلك انه لا يركب (كل) حطام الكاس !

ساعيد الترتيب . بداية القصة قطعة زجاج من منحدر خصر الكاس :

واقعة : الزوجة اغتصبت امامه وقتلت قهرا وعارا لانه لم يعترف.

(مهد الجلادون لامكان موتها وتلويثها قبل الموت باعلان في الجريدة وخاصة المانشيت الاخير :

(العثور على شريفة يونس قتيلة امام باب البناية التي تقيم فيها)

لا شعور الرجل الشرقي ، مهما كان ثوريا صلبا ، يطرح نفسه بكل هلوساته : سمع في الطريق ضحكتها .. قفز الى الدرج .. واقتحم الغرفة .. ورأى يد الجندي تغطي ما بين ساقيها استل سكينه وقتل الاثنين بثلاث طعنات ثم قطع ساقها من اصل الفخذ (رؤيا طهرية عن الانتقام للشرف) .

واقعة : لا شعور المعتقل الذي لا يزال يعمل في زنزانته بعد اغتصاب الزوجة وقتلها .

يحس بيد تقبض على ياقة قميصه ، ويعتقل .. يركب اللاشعور سببا اخر لاعتقاله وهو قتل زوجته والجندي (تبرير يريح النفس) يسير في نهر من الدم .. الساق المقطوعة تلاحقه يغوص في الدماء .. الدماء ترتفع .. يستفيق : كل شيء جاف .. لا دم .. الاعتقال كان لسبب اخر .

واقعة : لم يلق لا شعوره بالا الى الاعلانين التاليين :

ـ القبض على زوجة يونس عبد الفتاح تمارس الدعارة .

ـ الزوجة تمضي ليلة كاملة في احضان المحامي المعروف محمود خالد السوافيري .

ذلك انه يعرف ان هذا غير ممكن ، وانه من حملة تحطيم الاعصاب، والتحضير لممارسة جريمتهم المنكرة . ولم ينشط لاشعوره وهلوساته الا بعد الاغتصاب والقتل ذلك لانه رأى الجريمة بعينيه .

الخاتمة : يخرج من السجن في توافق مع النفس .. لم يعترف .. دفع الثمن غاليا .. رفع عينيه الى الشرفة ، رأى زوجته تلوح له بيدها وهي مشرقة بالسعادة (رمز مركز فكريا) انها اغتصبت وماتت لاشرف قضية ، ولكنها خالدة ، تعيش معه حية دائما ، ما دام مخلصا للقضية التي نذر نفسه لها .

((الغائب الذي سيجيء)) لموسى الشيخ

قصة ترمز الى تاريخ القضية الفلسطينية منذ التشريد ينتزع فيها موسى الشيخ كل الاقنعة ، ويرشق بالنيران على كل الجبهات ، ويدين كل العرب والفلسطينيين منهم ، بانهم زرعوا المسامير في المصلوب ، وانهم انزلوه عن الصليب واخذوه الى الجوار ليتاجروا به في موكب جليل يقوده سائح امريكي ، ولكن المصلوب القتيل سيعيش مرة اخرى كطائر الرعد بمجرد مرور موكب الجنازة فوقه .

لغة الرمز بسيطة ، شديدة الجمال في بعض المقاطع كما نلمس ذلك في بداية القصة ، ولكنها لا تظل على كل هذا المستوى من التركيز. ونقطة ضعف القصة هي سهولة المأخذ الفكري التعميمي الذي يراه الكاتب وتبسيط الامر الى هذا الحد ، وقد المحنا الى ذلك في الملاحظات الاولى من بحثنا .

دمشق

الفهرس العام لسنة « الأداب » الثانية والعشرين ١٩٧٤

راجع بريد الآداب تحت مادة « بريد » . والقصائد تحت مادة « شعر » . والقصص تحت مادة « قصة » والنتاج الجديد تحت مادة كتاب . والمناقشات تحت مادة « مناقشة » . والنشاط الثقافي تحت مادة « نشاط » .

١ ـ فهرست الموضوعات

٢ ـ فهرس الكتاب